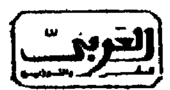

١٩٥٢
١٩٦٤
رسائل سجين سياسى
ى حبيبته
العربى
0016248



مصطفى طيبة

رسائل سجين سياسى إلى حبيبته

الجزء الأول



سجن مصر
ليمان طره
تخشيبة الوايلى
معتقل القلعة
سجن الواحات الخارجة
ليمان أبو زعبل
تخشيبة مصر الجديدة
سجن الاستئناف
تخشيبة السيدة زينب
سجن المحاريق
سجن القناطر الخيرية

إليكِ



حبيبتى

هل تذكرين حديثك التليفونى معى فى اول يناير عام ١٩٦٥ ؟
انا ما زلت اتذكره بالحرف الواحد ٠

ـ الاستاذ ٠٠٠٠
ـ انا هـو ٠
ـ متى خرجت من السجن ؟
ـ **٤ ابريل ١٩٦٤**
ـ كم سنة مكثت فى السجن ؟
ـ **١٢ سنة**
ـ سجن أو اعتقال
ـ **١٠ سنوات سجن و ٢ اعتقال**
ـ ولماذا لم تخرج بعد قضاء مدة العقوبة ؟ ٠
ـ من انت ؟
ـ صديقة ٠
ـ ما اسمك ؟
ـ وهل يهمك اسمى ؟
ـ ما دمت صديقة كما تقولين فيهمنى ان اعرف اسمك ٠
ـ وهل تعرف اسم كل صديقاتك وأصدقائك ؟
ـ أظن ذلك والا أكون قد فقدت ذاكرتى ٠
ـ تواضع هذا ؟
ـ واين التواضع هنا ؟
ـ انت فارس الاربعينات ٠

ومرت ثوان شهدت خلالها شريطا سينيمائيا يسجل أحداث الأربعينات حتى يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ اليوم الذى اعتقلت فيه وهنا جاء صوتك يحمل رنة سخرية ٠

ـ لماذا توقف ارسالك ؟

وبدت رنة الغضب فى نبرات صوتى ٠

ـ هل تسخرين منى ؟

ووصلت الى نبرات صوتك تحمل الأسف والاعتذار

ـ عفوا « آسفة » كنت امزح معك ٠

واستمرت رنة الغضب فى صوتى ٠

ـ هل أنت من شباب الستينات الذين شطبوا على كل ما قدمناه لشعبنا؟

وجاءت نبرات صوتك تحمل أسفك للمرة الثانية ٠

ـ كلا ، كلا

ـ ابدا • ابدا • ولكن لنـا بعض الملاحظات • ومن واجبكم ان تسمعوها •
ـ هل هى ملاحظـات أو أحكـام مسبقـة ؟
« ولم تردى الا بعد ثوان ـ ادركت خلالها انك فهمت ما أقصده »
ـ معك حق هنـاك فـرق بين ملاحظات قـد تكون سليمة وقـد تكـون خاطئة ومن الضرورى أن تناقش والا صارت أحكاما مسبقة تضر بالمسيرة •
« ومـرت لحظة عادت ذاكرتى خلالها الى الوراء •• الاربعينات والخمسينات والسنوات الاربع فى الستينات •• ثـم جـاء صوتك يحمل رنة الصدق »
ـ أرجو ان لا أكون قـد لست جانبـا مـن مسيرتكم يثيـر حساسية خاصـة عندكم •
ـ أبـدا • أبـدا • من رأيى أن هـذا الجانب بالذات هو الذى يجب أن تعرفـوه يا جيـل الستينات •
ـ ولماذا لا تكتبيـه ؟
ـ اخشى أن لا التزم بالموضوعية التـامة •
ـ حـاول •
ـ حاولت مـرات وفشلت •
ـ ولمـاذا ؟
ـ لاننى فـرد ، جـزء من ظاهرة كبيـرة ومعقـدة •
ـ لكنك لست مجـرد فـرد •• كنت أحد البارزين من قادة المسيرة •
ـ هذا هو بالتحديد الذى يشل تفكيرى عنـد محاولتى الكتابة فى هـذا الموضوع •
ـ مـا العمل اذن ؟
ـ اكتبى انت :
ـ وهل أملك قـدرة الكتـابة فى مثل هذا الموضوع ؟
ـ نعم تملكين •
« وجـاء صوتك يحمل الدهشـة كل الدهشة »
ـ انا لا املك الا خبرة صغيـرة •
ـ الا تملكين الايمـان بالشعب ؟
ـ كل الايمان • ولكنى لا املك أدوات البحث ومصادره •
ـ ابحثى عنهـا وستجدينهـا •
ـ أيـن ؟
ـ عند الذين اشتركوا فى صنع المسيرة •
ـ ولكنهم مختلفـون •
ـ الأموات فقط هم الذين لا يختلفون ••
ـ كانت خلافاتهم جذرية وعميقة الجذور •
ـ ابحثى عن أسباب ذلك •

ـ ايــــن ؟
ـ فى كل ما يمولونه ويفعلونه ٠
ـ سيكون مجــرد تسجيل ٠
ـ سجلى أولا ثــم بعد ذلك يجىء دور التحليل ٠
ـ لا أملك القــدرة على التحليل ٠
ـ لا تفكــرى فى ذلك الآن ٠ هيــــا ابــدئى وستجدين معك آخـــرين يســاعدونك ٠
ـ هل تعــدنى أن تكون أحــد الذين يساعدونني ؟
ـ ليس وعــدا ٠ بل التزامــا ٠
ـ موافقــة ٠ ولكن بشرط ٠
ـ ما هو الشرط ؟
ـ **ان تكتب ذكرياتك خــلال ١٢ سنة سجن ٠**
ـ موافق ٠
ـ ومتى تبـــدأ ؟
ـ حين أجــد نفسى فى ظــروف تساعدنى على الكتابة ٠
ـ وهل هناك ما يشغلك عن مثل هذا العمل الكبير ؟
ـ نعـــم ٠
ـ ما هــو ؟
ـ ابحث عن شىء صــادق ٠
ـ هل انت متشائم ؟
ـ بل فى غــاية التفــاؤل ٠
ـ لســت أفهم ٠
ـ لا تتعجلى ٠٠ غــدا تفهمين ٠
ـ هل تساعدنى على الفهم ؟
ـ اعــدك ولكن بشرط ٠
ـ ما هــو ؟
ـ ان تبــدئى أنت فى تسجيل تاريخ الاربعينات ٠٠
ـ سأبــدأ بالبحث عن فرسانها ٠
ـ أو لست أنا أحد فرسانها ٠٠ كمــا تقولين ؟
ـ نعم ٠٠ ومن فرسانها البارزين ٠
ـ اذن نلتقى ٠٠
ـ كل لقــاء لــه شروط
ـ وما هى شروطك ؟
ـ ليست شروطى ولكنهــا شروط الحيــاة ٠

« وساد الصمت لحظــة دار خلالها بيننا حــوار صامت لكنــه ، كـــان **أعمق من كل حوارنا الســابق المسموع »**

ومنـذ ذلك التاريخ قمت بمحاولات عديدة كى اكتب ، وفشلت كنت لا اعـرف لمـاذا ظللت أعلق نجاحى فى الكتـابة على لقـا فرحت أبحث عنك عنـد كثيـرات ولم اجـدك • لم أجـد الصورة التى خـلال حديثك التليفونى معى وبعـده • ومضت السـنوات تجـ السنوات وكأننى أسـير وراء سراب ، حتى التقيت بك ، وعرفت • اننى كنت **ابحث عن لحظـة صـدق هى اشـبه بالسراب فى عـا بالزيف والنفـاق** •

ورغم أن هذه اللحظه قـد أعـادت الى الثقـة فى قـدرتى على ومنحتنى الشجاعة كى اكتب كل ما اعـرفه عن الحقيقة ، فاننى لم **غيـر جـزء منها لأسـباب موضوعيـة لم تكن مطـروحة منـذ ١٢** يـوم وعدتك ياحبيبتى بأن أكتب •

ولقـد حاولت كل جهـدى أن أتجنب مـا يمكن أن يلوى البعض ليضعـه فى خدمـة الفـوى المشبوهة ، وفى نفس الوقت كنت مو قـدر استطاعتى ـ عندما تعرضت لعـدد مـن المواقف السياسية ، **لبعض قيادات « التنظيمات »** •• فاعفـرى لقلمى حين تناولهـا **بسخرية** مريرة •• ولا ترفضى اجتهـاده عندمـا طرح تسـاؤلات **القضايا النظـرية** • وأحسب أنه قـد آن الآوان كى تعرف الأجيا حقائق فتـرة خصبة فى تاريخ مصر •

الرسالة رقم ١

حبيبتى

اللحظة الصادقة التى بحثت عنها ١٢ **سنة** ، **أعيشها اليوم** بكل كيانى • ومن هذه اللحظة أستمد الثقة فى قدرتى (على الكتابة)

وأبدأ بيوم خروجى من السجن فى ٤ أبريل ١٩٦٤ : بدأت رحلة الافراج عن آخر دفعة من المعتقلين الشيوعيين **يوم ٤ أبريل ١٩٦٤** نقلتنا السيارات من سجن «**المحاريق**» القابع فى قلب الصحراء **بالواحات الخارجة** الى أسيوط ، ومنها بالقطار الى محطة ثكنات الجيش بالعباسية• لن أحك كيف تم « شحننا » •• وأحسب ان **طريقة** « شحن » الحيوانات أفضل بكثير من الطريقة التى « شحنا بها » • ولم تكن هذه هى مشكلتنا فنحن على أى حال فى طريقنا الى « الحرية » • فبل ذلك حين كانوا « يشحنوننا » من سجن الى آخر كنا نحتج ونرفض هذه المعامله اللاانسانية أملا فى ان نجد معاملة أكثر انسانية فى السجن « المشحونين » اليه • لكن هذه المرة كانت مشكلتنا من نوع آخر هى مشكلة حياتنا فى ظل «الحرية» كنا أكثر من ٧٠ شخصا • فى طريقنا الى الحياة التى غبنا عنها سنوات طويلة وصلت الى ١٢ **سنة** بالنسبة للبعض ولم تقل عن **٥ سنوات** للبعض الآخر • وبالطبع كان لكل واحد منا مشاكله الخاصة ولكنها كلها تصب فى مشكلة واحده هى « لقمة العيش » • فالجميع ، عمالا ، وفلاحين وطلبة ، ومثقفين وأساتذه جامعات ومدرسين ، فصلوا من أعمالهم منذ سنوات • والبعض يستطيع مواجهة حياته الجديدة بحكم وضعه الاجتماعى . وقتا طال أو قصر ، غير أنه بالتاكيد سيجد « لقمة العيش » والبعض ــ بحكم وضعه الاجتماعى ، لن يستطيع مواجهة الحياة الا أياما معدودة تحددها قدرات عائلاتهم المالية المحدودة • بعدها ستكون لقمة عيشهم صعبة وعسيرة • وغير هؤلاء كان هناك من يبحث عن المكان الذى سيقضى فيه أياما معدودة يبحث خلالها عن أحد من أهله أو أقاربه فقط كى ياويه ليلا بعد البحث بالنهار عن « لقمة العيش » التى لايدرى متى سيجدها ، ان وجدها ، فهناك من لم يجدها حتى اليوم الا فى شكل أبشع أنواع الاستغلال • هكذا راحت « الفرحة » وجاءت « الفكرة » •

راحت « فرحة » عنا خلال الوقت الذى استغرقته رحلة السيارات

من سجن المحاريق الى اسيوط · وجاءت « الفكرة » بعد ركوبنا القطار المتجه الى القاهرة · وفي محطة العباسية وضع الجميع أمام « المحنة » !

ارتفع صوت الضابط قائد الحرس يقول :

ــ اللى بيته في القاهرة وضواحيها يركب العربية دى ، ودى · واللى بيته في المحافظات الأخرى يركب العربية دى ، ودى ·

ركب الجميع عدا ثلاثة زملاء لم يركبوا السيارات · سالهم الضابط ، عن سبب عدم ركوبهم · لم يجب أحد منهم · ذهبت الى الضابط وهمست في أذنه :

ــ الثلاثة الزملاء ليست لهم عناوين معروفة في مصر كلها ·

قال الرجل بصوت خافت وبتأثر شديد :

ــ ما العمل ؟ ليس أمامي الا أن أسلمهم لسجن الاستئناف حتى يعثروا على محال اقامتهم ·

ــ صبرا ·· سنجد حلا ·

وانتظر الرجل والدمعة تكاد تقفز من عينه · والجميع ينتظرون تحرك السيارات وهم لا يعرفون سبب عدم تحركها ، ولا سبب عدم ركوب الزملاء الثلاثة · كنت الوحيد تقريبا الذى لم يفاجأ بهذا الوضع · ربما لأن صلتي بجميع الزملاء من مختلف الاتجاهات على مدى ١٢ عاما لم تكن مجرد صلة سياسية وانما كانت صلة انسانية في معظمها ، مئات المشاكل التي واجهت مئات المسجونين والمعتقلين كان لا يعرفها أحد غيري · ساهمت في حل بعضها بما يتفق مع الظروف العامة والخاصة ، لكن البعض الآخر كان مستعصيا على الحل ، منها هذه المشكلة · ناديت على أحد الزملاء المقتدرين وطلبت منه أن يجد للزملاء محلا لسكنهم حتى يدبروا أمر اقامتهم · وركب الزملاء الثلاثة سيارة الذين يعيشون في القاهرة ! أما كيف عاشوا هم والآخرين ·· فتلك قصة ساحكيها لك في رسالة أخرى · عندما أكتب عن ١٢ سنة بعد خروجي من السجن ·

تحركت السيارات وكنت في احدى سيارات الذين يعيشون في القاهرة بالطبع لم تكن وجهة السيارات هي العناوين المختلفة لركابها وانما كانت تتجه الى أقسام بوليس أحياء العاصمة حيث يتم اجراءات الافراج بعد التاكد من محل السكن لننفذ باقي العقوبة ! نعم يا حبيبتي باقي العقوبة ، وهي « المراقبة » · انا مثلا كان الحكم الذى صدر ضدى هو ١٠ سنوات أشغال شاقة ، و ٥ سنوات مراقبة ــ طبعا السنتين الزيادة كانوا اعتقال ــ وعلى فكرة عدد شهور السنة بالنسبة للقاتل وتاجر المخدرات وهاتك العرض واللص ٩ شهور فقط وفقا للائحة السجون ، اما بالنسبة لمسجون الرأى فهي ١٢ شهرا بالتمام والكمال ، فقد

تنبهوا فى عـــام ١٩٥٥ الى أن أصحاب الرأى أخطـر من أعتى المجـــرمين، فاستثنوا المسجونين السياسيين من قانون السجون ! معنى هذا اننى قضيت فى السجن **١٢٠ شهـرا** بـدلا من **٩٠ شهرا** ثـم تفضلت مباحث أمن الدولة باستضافتى **٢٤ شهـرا** أخـرى ، فيكون المجموع **١٤٤ شهـرا** وكـان يمكن ان يمـد الى البقية الباقية من عمرى لولا قرار **الرئيس الراحل عبـد الناصر** بالافـراج عنـــا • والافراج لم يكن يعنى أسقاط العقـوبة وبالتالى كان على ان أنفـذ بقيــة العقـوبة بأن اتواجد فى مسكنى ابتداء من غـروب الشمس حتى شروقها • والمراقب معه دفتــر يوقع عليــه شرطى بما يثبت وجـــود المسجون فى بيته • وطبعا من حق هذا الشرطى ـ حرصا على **أمن الدولة** ـ أن يوقظ « **المراقب** » فى أى وقت من الليل ليتأكـد مـن وجـوده ! ولك أن تتصورى يا حبيبتــى حـالة المراقب المسكين حين يرتفع صوت غليظ فــى عـز الليل ليوقظـه ويجبـره على النزول الى حيث ينتظـره الشرطى علــى البـاب الخارجى للمنزل ليوقع لـه على الدفتــر مـرّة ثانيـة وربما ثالثـــة ورابعة حسبما يرى رجل مباحث أمن الدولة !

وهل تعرفين يا حبيبتى عقـوبة الهرب من حكم المراقبـة ؟ السجن مـرة أخـرى وقـد يصل الى الحـكم بقضـاء مـدة المراقبـة فى السجن ! ولقـد حاولوا هـذا معى بعـد خروجى من السجن باسبوع واحـد حين جـاء زوار الفجـر ليقبضـوا على بتهمه الهـــرب مـن المراقبـــة اللبلبـــة • فـى تلك الليلـة لـم يات الشرطى كالمعتـاد فى كل ليلة • ولمـا وصلت الساعة الثانية عشرة مساء توجست شرا تبيته لىمباحث أمن الدولة، فطلبت من بعض الاصدقاء الذين كانوا فى زيارتى ان يذهبوا الى القسـم ويثبتوا فى محضر اننــى موجود فى المنــزل وأطلب حضور الشرطى ليوقع على الدفتـر • وكان هذا المحضر هو السند القـانونى الـذى استند اليــه المحامى الذى تطـــوع للدفاع عنى عنـــد محاكمتى وافــرج عنى القاضى ولكن بعـــد أن قضيت **٤ أيــام فى** سجن الاستئناف وتسمى « **التخشيبة** » وكانت افضـل على أى حـال رغم قسوتها من ٥ سنوات أخـرى •

وقـد اعتــرف رجل المباحث (••) فى الداخلية بأن هدفهم كان بالفعل هو عودتى للسجن لقضاء السنوات الخمس ! ثـم اعتـرف لى بعـد ذلك أنــهم حاولوا مـرة أخـرى معى ومع عـدد من الزمـلاء تلفيق تهمـة الهـــرب مـن المراقبة لولا صدور قرار **الرئيس الراحل جمال عبد الناصر باسقاط العقـوبة عن كل الشيوعيين الذين افرج عنهم** • اذكـر اننى فــى اليوم نفسه الذى صـدر فيـه هـذا القـرار خرجت لأجوب كل شوارع القاهـرة سـيرا علــى الاقـدام طـول الليل • وكانت هذه اول مـرة أرى فيهـا ليل القاهرة بعـد **اثنــى عشر عامـا ونصف** !

أعـود بك الى ٤ ابريل ١٩٦٤ ، يـوم خروجى من السجن وعودتى اليــه مـرة أخـرى فى اليـوم نفسـه •

قلت لك اننـــى زكبت سيارة الذين يعيشون فى القاهرة واودعونى مـــع عـــدد من الزمــلاء فى **قسم بوليس السيدة زينب** • لم يكن لى مسكن خاص، فبعــد حوالى ٦ **ســنوات** اتفقت مع زوجتى « الايطالية » على الانفصــــال فهى لم تعــد تحتمل مطاردتها فى رزقها • وأنا من ناحيتى لم أكن أرى شعاعا واحدا من أمل الخروج من السجن • بل اننـــى فى السنوات الأخيرة وطــدت نفسى على اننى ساقضى ما بقى **من عمــرى فى السجن** • وبالطبع استبعــدت الذهاب الى منزلى الســابق • لم يبق أمامى غيــر ثلاثــة أمكنــة فى القاهرة• الأول فى شبرا حيث يسكن أحــد أخوتى الكبــار •• لكنـــه قاطعنى تمامــا منــذ أكثــــر من ٨ ســنوات خوفــا على عمله وعلى بيتـــه ، فانقطع تمامــا عن زيارتى • وأخى الثانى وهو أكبــر منى أيضــا ــ رحمه الله ــ كان يسكن فى طــره بجوار السجن الذى قضيت فيـــه ٤ سنوات ولــم يفكـــر أبـــدا فى زيارتى منــذ قبض على ــ ولم يبق أمــامى غيــر منزل أخى الصغيــر ــ رحمه الله ــ كــان صديقى وزميلى وعرف السجن أيضــا ثــم آثــر الســلامة بعــد خروجه من السجن عــام ١٩٥٥ لكنـــه تزوج وأنجب طفلة خــلال وجودى فى السجن ، ولا أعــرف مدى استعداد زوجته لاستضافتى • وقررت أن انتظر الى الصباح كى أعطى نفسى فرصة للتفكيــر أكثــر وارسال مــن يتحسس الموقف عند الاخــوة الثلاثة • ولــا طلبت من الضابط النوبتجى ذلك فوجئت بقـــوله :

ــ لا استطيع ان احتمل بقاءك هنــا حتى الصباح •

قلت لـــه مشكلتى •• وتأثــر الرجل وقبل مشكورا أن يستضيفنى فـــى مكتبـــه حتى الصباح • كـــان شـــابا لـــه صلة بالسياسة واهتماما بهـــا • وبينمـــا نحن فى حديثنا اذا بأخى الصغر مسعد « رحمـــه الله » أمامنـــا فى المكتب • لقــد راح منــذ الصباح يسأل عنى فى أقســام الشرطــة حتى عــرف من بعض الزمــلاء اننـــى هنـــا فى **قسم السيدة زينب** • لن انسى ابدا اللحظات الأولى لهذا اللقــاء الانسانى بعــد أكثــر من ٨ **ســنوات** لم يستطع خلالها أن يزورنى فى الواحات ، فالزيارة فى الواحات كانت تكلف **مالا** يقــل عن **١٢ جنيهـــا** أجــور مواصلات فقط • يضاف اليهــا مصاريف المبيت فى أسيوط وثمن بعض لوازم الزيارة !

قـــال :

ــ صدفــة عظيمة جــدا •

ــ مـــا هـــى ؟

قال ــ رحمه الله ــ والدموع تسيل من عينه :

ــ اليوم ٤ أبريل عيــد ميلاد ابنتى وذكــرى زواجنــا •

ــ كل سنة وأنت طيب يا مسعد • ثلاثة مناسبات سعيدة فى يوم واحد !

حقـــا لـــا ينسعد الفقـــى تيجى لـــه عشوتين فى ليلة واحــدة •

كان مسعد يسكن فى مصر الجديدة قريبا من مسكنى السابق • وكان على أن نذهب فى حراسة أحد الشرطة الى قسم مصر الجديدة لعمل اجراءات المراقبة ، وحيث يجرى تنبيهى لطريقة تنفيذ عقوبة « المراقبة » • الطريق من السيدة زينب الى مصر الجديدة يستغرق حوالى ٤٥ دقيقة بالتاكس • خلالها تحدثت معه فى أمور كثيرة ، أبى الذى مات فى أحد الملاجىء !!
تصورى مات فى ملجأ لأنه لم يطق الحياة مع أى من أولاده ! وأختى التى مرضت بسبب القبض على عام ١٩٥٢ وقال لها الأطباء ان شفاءها بصدمة أخرى ولكن مفرحة ، وظلت المسكينة تنتظر ابريل ١٩٦٢ — تاريخ انتهاء العشرة سنوات — ولما اعتقلت ولم أخرج كما كانت تتوقع ماتت المسكينة بعد يومين من عودتى الى السجن ! والخلافات بين الأخوة وكيف وصلت الحالة بينهم الى درجة بالغة السوء • و • و • و تجسدت امامى مشاكل بلدنا ومجتمعنا بالنسبة لقطاع محدودى الدخل • وشعرت فجأة بصداع شديد لم يفارقنى الا بعد ان تناولت أسبرين وفنجان شاى فى مكتب الضابط النوبتجى بقسم مصر الجديدة • بعد أن هنأنى الضابط بكلمات تقدير ومشاعر انسانية اعتذر عن عدم امكانه اتمام الاجراءات اللازمة لخروجى الليلة لأن الموظف المختص غير موجود • لم أعلق • لكن مسعد همس فى اذنه بكلمات ترجوه أن أحضر معه حفلة عيد ميلاد ابنته • وسمح لنا الرجل بالذهاب الى الحفلة بشرطين : الأول ان يأتى معنا الشرطى الحارس • والشرط الثانى أن أعود الى القسم قبل الثامنة من صباح اليوم التالى • وطبعا قبلنا الشرطين وشكرناه •

المسافة بين قسم البوليس ومنزل اخى مسعد لا تستغرق أكثر من ٥ دقائق ، خلالها همس مسعد فى اذنى :

— ميمى « زوجتى السابقة » تنتظر منك الموافقة على حضورها الحفلة •

— وما رأيك انت ؟

— انها لم تنسك لحظة واحدة

— وأولادها كيف حالهم ؟

— الابن فى كلية الطب ، والبنت موظفة •

توقفت عن السير بحجة اننى أبحث عن شىء وقع منى • ولما استأنفت السير ظللت صامتا حتى وصلنا الى الباب الخارجى للعمارة التى يسكن فيها • قال :

— هل ارسل من يطلب ميمى ؟

لم يسمع منى جوابا ، وانما سمع بكائى المتشنج · لم أعرف لحظتهـا لماذا بكيت كالأطفال · بعـد اقل من نصف ساعة قضيتها فى جـو غـريب عنـى ، جـو لم اعـرفه منـذ شبابى المبكـر ، شعرت وكأننى لا انتمى الى هذا العـالم · **وحلمت بالسجن مـرة أخـرى** ! بل ان نفسى لـم تهـدأ الا بعد أن عـدت مـرة أخـرى الى سجن **قسم مصر الجديدة** · هل تصدقين ؟ **هذا** ما حـدث ·· احكيـه لك فى الرسـالة المقبلة يا حبيبتى ·

٥ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم ٢

حبيبتى

كان صوت الموسيقى الراقصة « يطن » فى اذنى وانا ما زلت عند باب العمارة ٠ أخذت أصعد السلالم ببطء شديد ، توقفت مرات ، وفى كل مرة كان الشرطى يمسك بذراعى ٠٠ كى لا أهرب ! على باب الشقة طلبت من اخى أن يعفينى من حضور هذه الحفلة ٠ لم يجب ٠٠ واحتوانى بين ذراعيه وأخذ يقبلنى ، وجاء صوت نسائى لينتزعنى من هذه اللحظة الانسانية ٠

ـ أهلا وسهلا ٠٠ حمد الله على السلامة ٠

« لابد ان هذه السيدة زوجة أخى » ٠ حدثنى عنها كثيرا فى خطاباته القليلة الى فى السجن ٠ هذه الابتسامة التى تملأ وجهها لم تبدد احساسى ببرودة صوتها وهى تحيينى ولا برودة يدها وهى تسلم على ٠ معذورة ٠ عليها أن تقوم بالواجب أرضاء لزوجها ٠ لكن اخى حدثها عنى كثيرا ٠٠٠

هكذا كتب الى فى خطاباته ! ٠ أغلب الظن انها لم تفهم سيئا مما قاله٠ سكتت الموسيقى فجأة وأتجهت كل انظار الحاضرين الى هذا المشهد الغريب ٠ **احد المدعوين يتابط ذراعه شرطى** ٠ منظر يستحق الفرجة ٠ همس يدور ، وزوجة أخى تتركنى لتنتقل بين المدعوين لتفسر لهم الحكاية ٠ هكذا أصبح فرجة على آخر الزمن ٠ لماذا لم تعطهم فكرة يا مسعد !

لكن المسكين لم يكن يعرف ٠٠ وارتفعت أصوات :

ـ حمد الله على السلامة ٠

ـ أهلا وسهلا ٠

وعادت الموسيقى تصدح مرة اخرى ٠ الذين عرفوا الحكاية عادوا الى الرقص ٠ والذين لم يعرفوها بعد يتهامسون قليلا مع زوجة أخى ثم يعودون الى الرقص ٠ وراح المصور يلتقط لى صورا كثيرة ٠٠ على باب الشقة ٠ وبين المدعوين واثناء جلوسى ٠ وكان الشرطى الحارس حريص على ان يظهر معى فى الصورة وهو يتابط ذراعى ٠ انا لا احب الأضواء لا كما يقولون فى الاذاعة والتليفزيون والسينما ، ولكن لأن المباحث كانت حريصة جدا على ان تلتقط لى صورا عديدة من كل الجهات ، ٠ وفى كل مناسبة وكانت المناسبات كثيرة ٠٠ يوم قبضوا على ٠٠ وعند نقلى من سجن الى آخر ٠٠ وما اكثر السجون التى تنقلت بينها ! وكانوا يطبعون هذه الصور بالعشرات ٠٠ لتوزع على جميع **اقسام بوليس المملكة المصرية**

ثـم ـ جمهورية مصر ـ ثـم الجمهورية العـربية المتحـدة ـ ! فيـوم دخلت السجن يا حبيبتى كانت مصر ما زالت « مملكـة » ٠٠ ومكثت به ١٢ عـاما وهى « جمهورية مصرية » ثـم « جمهورية عربية متحدة » !

كميات كبيرة من السندويتشات والجاتوه والمرطبات وضعوها أمامى ٠٠ لأول مـرة منـذ غـادرت قسـم السيدة زينب مـرورا بقسم مصر الجديدة ، حتى وصولى المنزل ، لم تترك يـد الشرطى اليمنى يـدى اليسرى الا ليتفرغ للأكل ! لكنه كان بين كل ساندويتش وساوندويتش يتحسسنى ليطمئن على وجود وديعتـه ! رغم اننى استحق الشفقـة فقـد اشفقت حقيقة على اخـى مسعد ٠ كـان المسكين يجلس الى جانبى لحظـة يرحب بى ويعزم على بالأكل ثـم يذهب الى مدعـويه وهكذا ٠

« مـالى انا وهذا العالم » ٠ ١٢ سنة يا مصطفى لم تر خلالها لحما أبيض لم تسمع صـوت امـرأة ٠ لـم تلمس يـداك يـد امـرأة ٠ عينـاك لم تر غير لون الزنزانة الأصفـر ٠٠ ولون الصحراء ٠٠ الأصفر ٠ واذناك لم تسـمع سوى أصوات « بروجى » حرس السجن ـ والسلاسل التى يقيدونك بها٠٠٠ تسمع صوتهـا فى نومك ويقظتك وحتى عندما كنت تستحم ! هكذا تنتقل فجأة من المـوت الى الحيـاة ٠٠ واى حياة ؟ » كـاد رأسى ينفجر ٠٠ هاجمنى الصـداع ٠٠ صرخت ٠٠

ـ أسـبرين ٠٠

توقفت الموسيقى وعـادت بسرعة بعـد أن تناولت الأسبرين من فتـاة كانت تجلس الى جانبى طـول الوقت ٠٠ كـانت صامتـة ولكن نظـراتها ودودة ٠٠ وابتساماتها حلـوة ٠

« هذه الفتـاة من تكـون ؟ ربمـا ابنـة أخى الكبيـر ٠ ان له ولد وبنتين٠ يوم دخلت السجن كـان أحمد فى الثانوية العامة ٠ وكانت آمال فى الاعـدادية واميـرة فى الابتدائيـة ! أغلب الظن انهـا آمال ٠ هل أسالها ؟ لا داعى ٠ لكن هى بالقطع ليست ابنة أحد من أخوتى الاخرين ، وهى أيضا ليست ديدى بنت أختى ـ الله يرحمها ـ فقد ولدتها وأنا فى السجن ، وهذه الفتاة لايقل عمـرها عن ٢٢ عامـا ٠ ربمـا تكون « تيتى » بنت زوجتى السـابقة ٠٠ يا سيدى لا تتعجل الأمـور ٠ بكـرة تعـرف كل حاجة »

راسى يتثاقل ٠٠ أشعر برغبـة شديدة فى النـوم فقـد انهـد جسـدى تماما ٠٠ ورحت فى اغفائه ٠٠ وحلمت ٠٠ نعـم حلمت ٠

مازلت اذكـر كل تفاصيل هذا الحلم البعيـد ٠ سأحكيه لك يا حبيبتـى بالتفصيل ٠ الفتـاة التى كانت تجلس الى جانبى تقـول لى وابتسامتها الودودة لا تفارقهـا ٠

ـ أنا لست قريبتك يا استـاذ ٠٠٠

ـ عفـوا ٠٠ وهل سـألتك ؟

ـ تعبيرات وجهك كانت تسال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ تقرئين افكـــارى ؟
ـ اقرأها ٠٠ وأومن بالعـام منهـا ٠
ـ لا زلت صغيــرة ؟
ـ وأنت ٠٠ ألم تبـدأ فى مثل عمـرى ؟
ـ يبـدو انك تعرفين عنى الكثيـر ؟
ـ لست وحـدى ٠٠ كثيرون يعرفون ٠
ـ كيف ومتـى ؟
ـ كمـا عرفت أنت الذين سبقوك ؟
ـ عرفناهم من الكتب والصحف ٠
ـ ونحن كذلك ٠٠ ولكـن ازيـد عليك ٠٠ فأنـا اعـرفك شخصيا ٠
ـ شخصيا ! انت فى عمـر ابنتـى لو كان لى بنتـا ٠
ـ كنـا جيرانك حين أتـوا للقبض عليك
ـ اذن كان يجب ان اعـرفك ٠
تسكت الفتــاة لحظـة ثـم تقـول :
ـ كنت طفلة ٠٠ وكـان عمرى ٨ ســنوات ٠٠ وكـــانت « زوجتك » وما زالت تحبنى ٠٠
ـ لم تنسك لحظـة واحـدة ٠٠
وأصرخ قائــلا وبضحكة هيستيرية
ـ لم تنسنى لحظـة ٠٠ سيدى يا سيدى ٠
تأخذنى الفتــاة بين ذراعيها ٠٠ تهدهدنى كالطفل وتقـول :
ـ انها تحبك ٠٠ صدقنى ٠
أصرخ مـرة أخـرى وأقـول ٠
لكنهـا قتلت ابنـى ٠٠ أسقطته وهو جنين ٠٠ كان عمره الآن ١٣ ســنة ٠
ـ أدركت خطأها ! ٠ وهى تريـد طفـلا منك ٠
ـ بعدها ٠٠ تصرف نظـر ٠
وتعود الفتــاة الى هدهدتى كطفل رضيع :
ـ انهـا تنتظـرك ٠٠ صدقنى انها تحبك ٠
ـ انا لا احبها ولم أحبهـا فى حياتى ٠٠ لن ترانى ابدا ٠٠ ابدا ٠
ـ لماذا تزوجتهـا اذن ؟
كـان من الضرورى ان استيقظ من النـوم ٠ فهذا السؤال لن أجـد لـه جوابا فى حلمى أو فى يقظتى واستيقظت على صوت رقيق يشدنى ٠
ـ فيـه حـد ينـام ليلة الافـراج عنـه ؟
أخذنى عبد السلام هاشم وهو الأخ الأصغر لصلاح هاشم زميل الدراسـة وزميل السجن ٠ تركتـه فى سجن المحاريق فهو من بين المحكوم عليهم الذين لم ينهـوا مـدة العقـوبة مثلى ٠ حكم عليه فى نفس قضيتى بـ ١٠ سنوات

(م ٢ ـ رسائل)

سجن • ثم حكم عليه **بثلاثة سنوات** أخرى وهو فى السجن ! وتهمته أنه قاد مظاهرة من طلبة **الجامعة عام ١٩٥٤** حين خرج لتأدية امتحان هناك • لم يكن وحده الذى قاد مظاهرات فى الجامعة •• كان غيره كثيرون صدرت ضدهم أحكام أيضا • ولذلك صدر قرار بحرمان المسجونين الشيوعيين من الدراسة وبالتالى من الخروج للامتحان •

قلت وانا ما زلت فى حالة نوم

ـ والله كبرت يا عبد السلام •

ـ ومخى كبر كمان •• مالك ؟

ـ قرفان تعالى ننزل •

ـ نروح فين ؟

ـ نقعد على قهوة •• عاوز أشوف الناس •• والشارع ••

ولكن رغم احساسى بالفة أكثر مع جو القهوة بصخبها وضجيجها فلم أستطع أن أمكث أكثر من نصف ساعة بعدها شعرت بحنين شديد للعودة الى السجن •• وذهبت مبكرا الى سجن قسم بوليس مصر الجديدة وهناك شعرت باننى عدت الى موطنى ! عدت الى أهلى !! وهذه قصة اخرى •

أحكيها لك فى رسالتى المقبلة يا حبيبتى •

٧ ينساير ١٩٧٧
بغداد

الرسـالة رقـم ٣

حبيبتـى
مازلنـا فى يوم ٤ ابريل ١٩٦٤ ـ يـوم الافراج عنى ٠
عـدت الى سجن « التخشيبة » بقسم مصر الجديدة بعـد مالا يزيـد عن « ساعتين » قضيتها فى حفلة عيـد ميلاد بنت أخى ثـم أحد المقاهى الشعبية٠
مـا ان وطأت قدماى أرض « التخشيبة » حتى ملأنى الاحساس بالأمان !
تصورى يا حبيبتى ٠٠ احسست بالأمـان مـع اللصوص والنصـابين والقوادين ٠٠ الصغار طبعـا ٠٠ فالكبـار لا يأتون عنـا ٠٠ ومع المتسولين والمشردين و ٠ و ٠
الأمان داخل « حجـرة » أرضها مكسـوة « **بالزفت** » وخليط من « **بصاق** » النزلاء وبولهم ٠٠ وبرازهم ٠٠ فهى للنـوم ٠٠ و « لقضاء الحاجـة » فـى نفس الوقت ! وجـدران « التخشيبة » يلطخهـا خليط مـن دم البشر ، ودم الحشرات ٠ فمن النـادر ان تمـر سـاعة واحـدة دون أن تحدث « خنـاقة » بين النزلاء تستخـدم فيهـا الأمواس والمطاوى ٠ كمـا لا يمكن أن يعيش « الانسان » لحظـة واحـدة فى هذه « التخشيبة » دون ان ـ يقتل مئـات من حشرة « البق » تلك التى تنافس الانسـان فـى امتصاص دم أخيـه « الانسان » !
لماذا يسمون هذه الحجرة « التخشيبة » ؟
ربمـا لأن البشر يكدسـون بهـا كمـا يكدس الخشب فى المخازن !
هذا هو الأرجح ٠٠ فقـد رحت أبحث عن مساحة أقف عليهـا داخل هـذه « التخشيبة » ٠
ـ اتفضل يا بيـه هنـا ٠٠
ـ لا يابيه تعـالى هنـا ٠٠
وكادت تحدث خنـاقة تستخدم فيهـا كالعـادة الأمواس والمطـاوى لولا تدخـل « المعلـم »٠
ـ بس يا واد انت وهوه ٠٠ سيب « الايـراد » ده ليـه ٠٠ اتفضل هنـا يابيـه ، وأشار الى مكان بجانبـه ٠
ـ الف شـكر يا معلـم ٠
ـ جاى فى أيـه يا بيـه ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظرت الى الساعة فلم أجدها ، تحسست المحفظة فلم أجدها ، والقلم الباركر أيضا لم أجده لم أجب ‥ وضعت الاكل الذى كان فى يدى على الارض ٠

ـ اتفضلوا يا رجالة ٠

ما كاد الرجال يهجمون على الاكل حتى صاح فيهم « المعلم » :

ـ اسنني باواد أنت وهوه ٠٠

تراجع الجميع ووقفوا ينتظرون أوامر المعلم ٠

ـ ياولاد « الكلب » بقى برضه أحنا ولاد بلد نفهم الأصول ٠ اسمع يا بيه أنت بابن عليك ابن ناس أنت عرفت ان حاجتك اتلطشت منك ، ومع دلك تعزم علينا بالأكل الحلو ده ٠٠ يا واد يا عبده هات حاجات البيه ٠٠

يتناولها من « عبده » ويعطيها لى :

ـ اتفضل يا بيه آدى الساعة ، وآدى القلم ، وآدى المحفظة ٠ فيها خمسة جنيه أهم ٠

ـ متشكر قوى ٠٠ اتفضلوا ٠٠

ـ متشكرين يا بيه ٠٠ دلوقت نقدر ناكل معاك عيش وملح ٠

« لم ينسوا القيم الشعبية ٠٠ أكل العيش والملح يعنى الأمان ٠٠ أن لا تخن من أكلت معه ٠٠ اللصوص الصغار دفعتهم ظروف المجتمع الى السرقة من أجل أن يعيشوا ٠ لكن اللصوص الكبار ٠٠ نجوم المجتمع ٠٠ غارقون حتى رؤوسهم فى بحار الخيانة ٠٠ خيانة الناس ٠٠ وخيانة الوطن »

واستمرت جلستنا حتى الصباح ٠٠ يسألون واجيب على أسئلتهم ٠٠ نظراتهم تفيض مودة وحبا ٠

قال أحدهم :

ـ يا بيه أنت صحيح بنى آدم ٠٠

قلت ضاحكا ٠٠

ـ ٠٠ هو مش كل الناس ولاد آدم ؟

ـ لا يابيه ٠٠ فيه ناس ولاد الشيطان ٠٠ بيعاملونا زى الكلاب ٠

ـ الحكاية مش حكاية ولاد آدم ولا ولاد الشيطان ٠٠ انما هى حكاية الانسان « ووجدت نفسى اتكلم باستفاضة وباسلوب بسيط عن استغلال الانسان لأخيه الانسان ٠٠ كيف ؟ ولماذا ؟ والطريق الى القضاء على الاستغلال » ٠

ويسأل أحدهم :

ـ والاشتراكية دى يا بيه تدينا الفرصة اننا نعيش زى البنى آدمين ؟

ـ طبعا ٠٠ الاشتراكية تدى الفرصة لكل انسان أن يعمل وينال حقه

ـ زى ما عبد الناصر بيقول ؟

ـ تقريبا ٠٠

تعرفين يا حبيبتى اننى دخلت السجن قبل ثورة يوليو باسبوع واحد ٠٠ ولم أشهدها الا فى **٤ ابريل ١٩٦٤** ٠٠ ولكن كـان لى موقف مختلف تمامـا عن مواقف زملائـى حين كانوا خارج الأسـوار وكان مختلفـا أيضـا عندمـا قبض عليهم فى **ينـاير ١٩٥٩** ٠٠ وسأحكى لك عن ذلك فى رسائلى المقبلة ٠

١٠ ينـاير ١٩٧٧
بغــداد

الرسالة رقم ٤

حبيبتى

طلع على صباح **يوم ٥ ابريل** وأنا مستغرق فى حديث منذ العاشرة مساء اليوم السابق مع نزلاء « تخشيبة » **قسم شرطة مصر الجديدة** • ولقد عرفت « **التخشيبة** » مرتين ، كانت المرة الأولى فى « **تخشيبة** » **قسم شرطة الوايلى** يوم قبض على **أحمد حلمى** رئيس المباحث العامة « البوليس السياسى سابقا » **فى ١٨ يوليو ١٩٥٢** ، فقد أودعنى هناك لحسابه حتى انتقل الى **سجن مصر** لحساب النيابة العامة • فى ذلك اليوم حذر **أحمد حلمى** مأمور القسم من خطورتى على المواطنين ! وطلب أن أسجن فى غرفة انفرادية ! • واحتار مأمور السجن ، ماذا **يفعل** ؟ ليس فى القسم غير غرفة للرجال وأخرى للنساء ، فأين يضعنى ؟ وأخيرا وجد الحل •• غرفة النساء ليس بها سوى اثنتين وهى تبعد عن غرفة الرجال •• فوضعنى فى طرقة صغيرة تطل على غرفة النساء •• ولكن ظلت مشكلة هى أنه يمكن الحديث مع النساء المسجونات من شباك واسع لغرفتهن ••• ولم يكن أمامه من حل خوفا على المرأتين سوى أن ينبهما الى خطورتى • وبعد أن اغلق بنفسه باب غرفة النساء •• وتأكد من اغلاق باب الطرقة •• وبعد اعطاء التعليمات المشددة للحراس بأن لا يتصل بى أحد والتنبيه الى أى حديث يجرى بينى وبين المرأتين •• أنصرف مطمئنا !

ويبدو ان تلك الاجراءات والتنبيهات المشددة أثارت فضول المرأتين فبعد دقائق قالت أحداهن :

ــ أيه الحكاية يا بيه •• أنت جاى فى أيه •• أنا عمرى ما شفت كده•

ــ وانتى بتيجى هنا كثير ؟

ــ مرة كل أسبوع •• مرتين •• حسب الأحوال •

« لم أفهم ما تقصده •• فلم أرد عليها •• فقالت بغضب »

ــ أيه يا فندى ما بتردش على ليه •• مش قد المقام والا أيه ؟

وتدخلت المرأة الأخرى •

ــ يا أختى •• حيلك على البيه شوية •• ده باين ابن ناس ومش فاهم•

قلت وابتسامة خفيفة على وجهى :

ــ الحقيقة مش فاهم •

قالت نفس المـرأة :

ـ متى باقول ـ والنبى ده ابن ناس ٠٠ شوفى ضحكته يا روحى عليـه

قالت الأولى :

ـ آه والنبى ٠٠ ضحكته حلوة ٠٠ يحميك لشبابك ٠

ـ الله يخليكى ٠٠ لكن ٠٠ بتبجى هنـا كثير ليـه ؟

ـ لـما تتسحط وما اقدرش أدفع المعلوم

« ويبدو أن وجهى لم يستطع اخفـاء الاحساس بالألم والاشمئزاز » ٠

قلت :

ـ أيه ابدا ما فيش حاجـة ٠

قالت بغضب :

ـ أيه يعنى أحنا ولاد ناس برضه ٠٠ بس الزمان اللى حكم علينـا ٠٠ ولقمـة العيش مـرة ٠

« لقـد حسبت المسكينة اننى احتقرتها ٠٠ كمـا يحتقرها حتى أولئك الذين يستمتعون بها ارضاء لشهواتهم الحيوانية » قلت معتذرا :

ـ وحياتك يا ستى أنت فهمتى غلط ٠٠ انا زعلان علشانك !

وتدخلت المـرأة الثانيـة

ـ والنبى ماليكى حق يا ستيه ٠٠ شوفى صوته فيه حنية قد أيه !

قـالت الأولـى :

ـ متأسفة يا بيـه والنبى أنت طيب وباين عليك خام قـوى ٠

« عرفت لأول مـرة انهـا اذا نادتنى بيا بيـه تكون راضية عنى واذا قالت يا افنـدى يكون ذلك تعبيـرا عن غضبها ٠٠ قلت :

ـ لا أبـدا مفيش داعى للأسف ٠٠ أنتو مظلومين ٠

قالت الأولـى :

ـ أول مـرة فى حياتى حـد يقول لى أنتى مظلومة ٠

قالت الثانية :

ـ والنبى ده خـام قوى ٠٠ أنت يا بيـه جاى فى أيه ٠

ـ جاى فى قضية سياسية ٠

ـ يعنى أيه يا بيـه ٠٠ عملت أيـه ؟

ـ بنطالب بأن الناس تعيش كويس ٠٠

ـ طيب واللى يطالب بكـده يحبسوه ؟

ـ طبعـا لانهم مش عايزين كل الناس تعيش كويس ٠٠

قالت المـرأة الثانيـة

ـ يعنى البيـه عاوز يخلـى كل الناس كويسين ؟

قالت الأولى :

ـ صحيح يا بيـه ؟

قلت :

ـ كل الناس لازم تشتغل وما فيش حد يكسب من ورا حد

قالت الأولى .

ـ الله يحميك لشبابك أنت واللى زيك يا أخويا ..

وقالت الثانية :

ـ الله ينصرك انت وزمايلك يا حبيبى ..

« حبيبى !! لم أسمع هذه الكلمة من قبل بمثل هذه الرقة والعذوبة .. سمعتها كثيرا من زوجتى السابقة ولم انفعل كما انفعلت هذه المرة .. هذه المرأة قالت هذه الكلمة لزبائنها وستقولها بعد ذلك كثيرا ولكن هل ينفعلون كما انفعلت .. بالقطع لا .. وبالتأكيد لم يكن انفعالى حسيا .. كان انفعالا انسانيا خالصا »

وجاء صوتها ليقطع لحظة صمتى وتأملاتى :

ـ شوفى يا سنية .. وشه زى الملاك .. والنبى ده بني آدم .

« رغم الحياة اللا انسانية التى تعيشها هذه المرأة وأمثالها فهى بأى لمسة صادقة تعود اليها انسانيتها المهدرة ... » .

كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا .. ووصلت الى اسماعنا اصوات وشتائم متبادلة بين رجال ونساء ، قالت الأولى :

ـ الايراد وصل ..

وقالت الثانية :

ـ الكبسة المرة دى على بيت مين يا ترى ؟

فتح الباب .. وامتلأت الطرقة بحوالى ٧ نساء شبه عاريات وثلاث مخبرين يقودهم رجل مدنى يبدو انه ضابط بوليس الآداب .. زج المخبرون بالنساء فى الغرفة وسط سيل من اقذع الشتائم .. وبعد ان اغلق الباب عليهن .. تنبه الضابط الى وجودى .. سأل بغضب .

ـ انت أيه .. وأيه جابك هنا ؟

قلت بسخرية :

ـ انا زى ما انت شايف .. واللى جابنى هنا المأمور .

ـ ليه ما دخلتش حجرة الرجالة .

ـ والله تسأل المأمور فى الحكاية دى .. يظهر انه مش حريص قوى على حماية الآداب !

قال بغضب :

ـ انت بتهزر .. انت جاى فى أيه ؟

ـ أسأل البكباشي **أحمد حلمى** رئيس البوليس السياسى .

• وما كاد الرجل يسمع اسم **أحمد حلمى** حتى ظهر على وجهه الرعب ..

فأسرع بغلق الباب خلفه ثم نادى على الشرطى لينبه عليه بأن يمنعنى من أى كلام مع النساء ٠

بعد انصرافه ٠٠ قال الشرطى محدثا نفسه بصوت عال :

ــ طيب وازاى اقدر امنعه من الكلام مع الستات ٠٠ طيب وليه هوه راح يقول لهم أيه يعنى ٠٠ ومهما قال طب ما هو الباب مقفول عليهم ٠٠ انا مش فاهم ٠

ناديت على الشرطى وقلت له :

ــ افهمك انا ٠٠

ــ الله يسترك فهمنى انا عقلى راح بطير ٠٠ الظابط النوبتجى قال خد بالك من الشاب ده أحسن يتكلم مع الستات ٠٠ والعسكرى اللى استلمت منه قال خد بالك الراجل ده خطر قوى على الأمن ٠٠ وأنا من ساعة ما استلمت الساعة ١٢ وانا سامع كلامكو ٠٠ كلامك حلو ٠٠ ما فيهش ابدا لا مؤاخذة ٠٠ قلة أدب ٠٠

قلت مقاطعا :

ــ اهو الكلام الحلو ده هو الخطر على الأمن ٠٠

قال :

ــ أمن مين بس ؟

ــ أمن الأغنياء اللى بينهبونى وينهبوك ٠٠

ــ آه فهمت ٠

ــ أيوه ــ فهمت أيه بقى ٠

ــ فهمت ٠

« انصرف الشرطى بعيدا ٠٠ ولم يعطنى فرصة كى ابين له الفرق بين البلد والنظام السياسى للبلد » ٠

واردت أن أروح فى اغفاءة حتى أستطيع مواجهة تحقيق النيابة الذى لم يبق عليه سوى ساعات ٠٠ لكن تعليقات كثيرة من النساء فى الغرفة المجاورة لم تمكنى من هذه الرغبة ٠٠ سمعت احداهن تقول :

ــ وأنت شفتى سياسيين قبل كده ؟

وترد أخرى ٠

ــ آه وحياتك ٠٠ جانى واحد مرة ٠٠ ما عملش حاجة ٠٠ لكن اداانى فلوس ٠

وترد الأولى ٠

ــ وعرفتى منين أنه سياسى ؟

ــ هوه قال كده وكان جاى لى هربان من البوليس ٠٠ ولما اطمأن مشى ٠٠

« ربما لم يكن هذا هو السبب الحقيقى ٠٠ اغلب الظن انه كان مثلى لم

يستطع بأن يتواصل حسيا فقال ما قاله ·· اذكر اننى حتى زواجى الأول عام ١٩٥١ لم اعرف الجنس ·· وذات يوم فى عام ١٩٤٨ حاولت ذلك مع احدى بائعات الهوى وكنت مع بعض زملاء العمل فلم اتمكن من ذلك ·· واذكر اننى مشيت من الجيزة حيث كانت مغامرتى الأولى والأخيرة حتى منزلى بشبرا وأنا لا أعرف سببا محددا لهذا الموقف الشاذ فى نظر زملائى الذين عرفوا القصة من المرأة ، فراحو يتهكمون على ويسخرون من قدراتى ويشككون فيها · ولسنوات طويلة ظننت ان ذلك نقصا فى تكوينى ·· لكن بعد أكثر من ٢٤ عاما عرفت الحقيقة ·· عرفت ان لحظة الاتصال الحسى بالنسبة للانسان السوى لا تحدث الا نتيجة التفاعل الانسانى والفكرى والعاطفى · وهذه اللحظة هى أصدق لحظات الانسان الحقيقى ·· واظن ان مثل هذه اللحظات الصادقة ·· نادرة جدا ندرة الانسان الصادق وسط عالم مزيف منافق ·

ورحت فى اغفائه صحوت منها على صوت ينادينى ·

شرطيان وضابط بملابسه الرسمية يقودهم البكباشى **أحمد حلمى** ·· جاءوا كى يصحبونى الى نيابة أمن الدولة ·· للتحقيق معى ·

كانت هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها « **تخشيبة** » قسم الشرطة ومنها خرجت الى **سجن مصر** ثم الى **سجون أخرى** كثيرة سأحدثك عن ذكرياتى فيها فى رسائلى المقبلة · وكانت المرة الثانية التى عرفت فيها « **التخشيبة** » هى يوم الافراج عنى بعد **١٢ عاما** عشتها فى سجون مصر المختلفة ·

وكل « **تخشيبات** » **أقسام الشرطة** تشهد مع صباح كل يوم نشاطا كبيرا ·· اعداد من رجال الشرطة يحملون **القيود الحديدية** التى توضع فى المعصمين وهو يستخدم مع « الخطرين » **أو جنزيرا** طويلا يربطون به عددا من المتهمين « غير الخطرين » · ومع اشراقة صباح كل يوم عندما يسمع نزلاء التخشيبة صوت القيود والسلاسل الحديدية مختلطة بأصوات الشرطة تنادى عليهم يستعدون جميعا للرحيل ·· وعادة يعرف كل واحد اين سيذهب ·· هذا للتحقيق معه ثم السجن ·· وهذا لترحيله الى سجن بعد ان حكم عليه ·· وهكذا ·· كنت انا الوحيد الذى قضى ليلته فى « التخشيبة » ليفرج عنى فى الصباح ·

وعندما نودى على ، تجمع حولى كل من فى « التخشيبة » وعانقونى فى ود ومحبة وأصر بعضهم على ان يعرفوا عنوانى ليزورونى ·· وبالفعل حدثت صداقة مع عدد منهم لسنوات طويلة بعد الافراج عنى ·

وعلى الرغم من اننى خرجت من **التخشيبة** حوالى الساعة الثامنة صباح يوم

٥ أبريـل ١٩٦٤ فاننى لـم اغـادر **قسم مصر الجديدة** الا الساعة التاســـعة مساء حيث صحبونى الى المباحث العـامة ومنهـا الى المنـزل الـذى وصلته حوالـى الثانية عشر مســاء وخلال تلك الساعات حدث الكثير ٠٠ وهو مـــا سأحيكه لك يا حبيبتى فى الرسالة المقبة ٠

١٢ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم ٥

حبيبتى

فى الثامنة والنصف صباحا كنت فى مكتب **مأمور قسم مصر الجديدة** لعمل الاجراءات اللازمة للافراج عنى • حيانى الرجل بابتسامة عريضة وودودة وحولنى الى الجاويش المختص بمثل هذه الاجراءات •• وما كاد الجاويش يبدأ فى تدوين البيانات المطلوبة •• الاسم •• السكن •• العمل •• الخ حتى دخل رجل بملابس مدنية •

وهمس بكلمات لم اتبينها فى اذن الجاويش الذى تحرك ليتوجه مع ضابط المباحث الى مأمور القسم •• ثم عاد ليقول لى ان على ان انتظر حتى تأتى الأوامر بالافراج •

قلت مستفسرا :

ـ أوامر ؟

رد على الرجل بصوت فيه كل رنات الأسى :

ـ والله يا ابنى ما أنا عارف •

ـ امال مين اللى يعرف ؟

ـ المباحث العامة •

ولعب الفار فى « عبى » •• لا بد ان أمرا قد حدث •• طلبت من الجاويش ان اقرأ صحيفة الصباح •• فناولنى اياها وهو يبتسم ابتسامة من يعرف ما الذى اريد ان اعرفه من قراءتى للجريدة •• وبعد ان تصفحت **أهرام ٥ أبريل ١٩٦٤** قلت :

ـ مفيش انقلاب ضد عبد الناصر •• ايه الحكاية آمال ؟

ـ والله يا ابنى ما يعرف الحكاية الا **المباحث العامة** •• اصبر شوية ربنا يفرجها •

ذهبت الى مأمور القسم لاعرف منه الموضوع وقبل ان ادخل مكتبه قابلت بعضا من أهالى المسجونين الذين ما زالوا فى **الواحات** ولم يصدر عنهم قرار الافراج بعد •• وعرفت منهم الحكاية ،

بعد أقل من ساعتين من تحرك السيارات بنا من سجن **المحاريق** **بالواحات الخارجية الى اسيوط** ومنها الى القاهرة للافراج عنا نحن المعتقلين ٠٠ دبرت المباحث مع مأمور السجن **مؤامرة** ضد المسجونين الذين تركناهم فى انتظار القرار **الجمهورى بالافراج** عنهم راح ضحيتها الشهيد « **لويس** اسحق » وجرح محمد سيد أحمد و د٠ اسماعيل صبرى عبدالله ٠

بدأت **المؤامرة** بتحرس **مأمور السجن** بواحد من الزملاء الشبان اثناء « فسحة » الزملاء المسجونين ٠٠ وكان هذا التحرش هو ساعة الصفر ما ان بدأ المسجونون يتجهون الى حيث يقف المأمور والزميل حتى انهال **رصاص المدافع الرشاشة** من وراء الأسوار الخارجية للسجن ٠٠ وأسقطت احدى الرصاصات الغادرة **الشهيد** « **لويس اسحق** » واصابت اخرى وجه **محمد سيد أحمد** وأخرى ساق د ٠ **اسماعيل صبرى عبدالله** وكادت تتحول الى مجزرة بروح ضحيتها عشرات الزملاء لولا تدخل أحد ضباط السجن الذى صاح بأعلى صوته ٠

ــ احذروا هذه مؤامرة ضدكم ٠

واعطى أوامره للسجانة دون اذن من المامور ويبدو أنه كان يعرف تواطؤه مع المباحث العامه بالكف عن اطلاق الرصاص ٠٠ ونصح الزملاء المسجونين بدخول العنابر ٠

وحمل هذا **الضابط الوطنى** برقيات الزملاء المسجونين الى الرئيس **جمال عبدالناصر** يوضحون فيها ابعاد المؤامره وأهدافها ويطلبون التحقيق الفورى ويكررون تأييدهم لسياسة الرئيس الوطنية التقدمية ٠ كما حمل خطابات الى أهالى المسجونين كى يرسلوا برقيات مماثلة الى الرئيس ويذهبوا الى رئاسة الجمهورية يطلبون التحقيق ٠

وحتى ساعة متأخرة من ليل يوم ٤ أبريل كان كل أهالى المسجونين مقسمين بين **رئاسة الجمهورية ومنزل الرئيس جمال عبد الناصر** يعلنون تأييد أبناءهم للثورة وقائدها ويطلبون التحقيق فى المؤامرة التى تستهدف الايقاع بين الشيوعيين والثورة وبالتالى الغاء قرار الافراج عنهم ٠

ولم يهدأ بال الاهالى الا بعد ان سافر بعضهم مع النيابة التى أمر الرئيس عبد الناصر بسفرها فورا الى **الواحات** للتحقيق ٠ وفى التحقيق شهد الضابط الوطنى وبعض السجانة بما حدث من استفزاز مامور السجن لأحد الزملاء ٠ وشهد بعض السجانه بأن المامور أمرهم بالاستعداد **بحمل الرشاشات واتخاذ مواقعهم خلف الاسوار الخارجية للسجن واطلاق النار على المجسونين عند حدوث مشاحنة بينه وبينهم ، وان هذه الاوامر** صدرت فى حضور واحد من ضباط المباحث الذى **كان قد حضر بعد رحلينا مباشرة** ٠

وعندما عرض التحقيق على **الرئيس عبد الناصر** أمر باحالة **مأمور السجن** الى المعاش والتحقيق لمعرفة من الذى دبر هذه **المؤامرة فى المباحث العامة** • ويبدو ان نقل حسن الصيلحى من **المباحث الى الجوازات والجنسية** كان دليلا على تدبيره للمؤامرة • ولحسن الصيحلى هذا ـ وهو منذ **أواخر عام ١٩٦٤** يملك شركة للتصدير والاستيراد فى جنيف ـ قصص مع الشيوعيين المسجونين والمعتقلين سأحكيها لك يا حبيبتى فى رسائل مقبلة•

وبالطبع كنت انا وبعض الذين لم يخرجوا **يوم ٤ أبريل** ـ وقبل ان تصل أوامر المباحث بحجزنا رهائن فى أقسام الشرطة لحساب المباحث العامة ـ فى انتظار نتائج المؤامرة حتى اذا حققت أهدافها والغى قرار الافراج نعود مرة أخرى الى المعتقل • حتى الذين أفلتوا وخرجوا **يوم ٤ أبريل** ذهب رجال المباحث الى بيوتهم للاطمئنان على وجودهم للقبض عليهم مرة أخرى عندما تنجح المؤامرة ! غير ان الكثيرين منهم تركوا منازلهم ولم يعودوا اليها الا بعد ان فشلت مؤامرة المباحث العامة •

وفى الساعة الثامنة **مساء ٥ أبريل** كنت فى حجرة الضابط النوبتجى لانهاء اجراءات الافراج عنى •• وعلى باب قسم البوليس حيث تجمع حولى الأهل والأصدقاء ، رأيت ضابط مباحث القسم وعلى وجهه ابتسامة مسطحة •• هنأنى بالافراج •• وبأدب رجال المباحث المعروف طلب منى أن أصحبه فى سيارته لمقابلة حسن الصيلحى • انهال عليه أخى « رحمه الله » بالشتائم وصرخت زوجتى السابقة ورفض الأصدقاء ان اصحبه •

قال ضابط المباحث فى برود شديد

ـ لك مطلق الحرية فى ان تحضر أولا تحضر •• كل ما فى الأمر ان سيادة اللواء « **حسن الصيلحى** » يريد أن يتحدث معك قليلا • « تملكتنى رغبة شديدة فى الذهاب الى **حسن الصيلحى** كى اسمع ما سيقوله عن المؤامرة التى دبرها من مكتبة فى القاهرة قلت للضباط بسخرية :

ـ سأحضر معك من الواجب ان اشكر الرجل الذى استضافنا واكرم ضيافتنا !

قال :

ـ انتو مش فاهمين •• احنا موظفين بننفذ أوامر علينا •

ـ ومؤامرة المحاريق •• كانت أوامر علينا أيضا ؟

امتقع وجه الرجل ولم يجب ركبت معه ومعى أخى وبعض الأصدقاء فى عربته •• ولحقت بنا ثلاث سيارات أجرة تحمل الأصدقاء •• استقبلنى **أحمد صالح داود** رئيس قسم مكافحة الشيوعية وكانت هذه هى المرة الثالثة التى اقابل فيها هذا الرجل • كانت المرة الأولى فى **سجن مصر** عندما رحلت اليه من

سجن **المحاريق بالواحات** حيث كان من المفروض ان يفرج **عني في ابريل١٩٦٢** •
غير ان **المباحث العامة** استضافتني عامين آخرين كما سبق ان اخبرتك
يا حبيبتي في رسالة سابقة • في ذلك اليوم كان معي زميل في قضيتي
نفسها وزميل آخر في قضية أخرى ، أنا وزميلي الأول قبض علينا في يوم
واحد وحكم علينا بعقوبة واحدة ، أما الزميل الآخر فكان حكمه
٣ سنوات وسيفرج عنه قبلنا بأيام • وفي صباح اليوم نفسه الذي خرج
فيه الزميل الثالث وبعد أقل من ساعتين ، اهتزت جدران السجن ••
انتباه •• انتباه •• انتباه • يصيح بها السجانة بصوت عال جدا
حين تصل الى السجن **شخصية خطيرة** مثل شخصية **أحمد صالح داود** •
دقائق وكان هذا الرجل الخطير ومعه ثلاثة من **ضباط المباحث ومأمور
السجن** وعدد من الضباط والسجانة قد ملأوا الزنزانة الضيقة
التي تحتويني وزميلي صاح سجان بصوت عال :

ـ تفتيش •• تفتيش ••

الذعر يملأ مأمور السجن وضباطه •• تلتقي نظراتهم بعيني التي
ترسل اليهم نظرات مطمئنة معناها بلغة السجون •

ـ لا يوجد شيء ممنوع • اطمئن ••

والتقت نظرات **أحمد صالح داود** وضباط المباحث الذين معه بعيني فلم
يجدوا بهما سوى تساؤل ساخر عن سر مقدمهم المفاجيء • وبعد دقائق
معدودة كان كل شيء واضحا • الغرض الذي أتى من أجله ضباط المباحث
لم يتحقق •• لم يجدوا **علبة السلمون !**

لا تضحكي يا حبيبتي •• أقسم لك انهم جاءوا من أجل **علبة سمك**
سلمون ! لكنهم لم يجدوها ولم يجدوا حتى « الكوز » الفارغ !

قال أحد الضباط بغيظ :

ـ فين الأكل اللى كان معاكو •

قلت بسخرية ••

ـ قصدك علبة السلمون ؟

ازداد غضبه ولوح بيديه •

ـ أيوه فين هيه •• ؟

ـ اظن كان فيه علبة هنا واخذها معاه زميلنا الذي خرج
اليوم اسألوه عنها •• لعله لم يزل عندكم بعد في الانتظار •

خرج ضباط المباحث وقد امتلأت وجوهم بالحقد والغضب •• لقد
فشلت مؤامرتهم لتلفيق **قضية جديدة لي ولزميلي من أجل استضافتي
عشر سنوات اخرى** •

كان معنـا بالفعـل علبة سـلمون ٠٠ تركهـا معنـا الزميل الثالث الذى ترك السجن فى صباح ذلك اليوم طالبـا منـا ان نعطيهـا لاحـد زملائنـا فى سجن القناطـر الخيرية الذى سنذهب اليـه انا وزميلـى الثانـى قبـل اعتقالنـا مـن جـديد أو الافـراج عنـا من هنـاك ٠ لا أدرى لماذا ساورنى الشك فى الزميل الثالث ربمـا لانـه مكث طـول الليـل يكيل لـى المديح والثنـاء كيـلا الـى الحد الـذى جعلنـى اشـك فى أنـه يدبـر شـيئا ٠ وحتـى صباح اليـوم التـالى كانت علبـة السلمون فـى حوزته ٠٠ واعطاها لـى قبـل ان يتـرك سـجن مصر بدقائق ٠٠ ولـم تمض دقائق بعـد أن تـرك الزنزانـة الا وكـانت العلبـة مفتـوحة ٠٠ لـم يكن بهـا سـمك السلمون اللذيـذ ٠٠ وانمـا كـانت محشـوة بالأوراق ٠ بعضهـا مكتوب بخط اليد ٠٠ وبعضها مطبوع على الرونيو ٠٠ وبسرعة أحرقت وزميلى كـل الأوراق فى « جردل البـول » وتصـادف ان جـاء موعـد « الفسحة » ٠٠ والفسحة معناها ان يخرج السجين الى دورة الميـاه ليقضى حاجـة ولبـلق « الحاجة » التى تجمعت فى الجردل طـول الليـل وسـاعات النهار التـى تغلق فيها الزنزانـة ٠٠ وفى دورة الميـاه ازال زميلـى الثانـى أى أثـر للورق المحروق واعطى الكوز لأحـد المساجين الذى فـرح بـه كثيرا فـان لـه استعمالات عـديدة فى السجن ، مأمور السجن فهم هذا كلـه دون ان انطق بكلمة ٠٠ وكان سـعيدا سـعادة لا حد لهـا ٠٠ وعنـد انصراف هـذا الجمع الحاشـد الذى جـاء لبضبط علبـة السلمون ٠٠ تاخـر المأمـور خطوات ليشد على يـدى شاكرا ممتنا فلو ان المباحث وجدت علبـة السلمون لنكلت به وبكل ضباط السجن وسجانيه ٠

تسألين ٠٠ لماذا ياحبيبتى ؟ ٠٠ سأقول لك ٠

عنـد دخول أى سجين الى السـجن أو خروجه منـه لأى غـرض ٠٠ التحقيق معه ٠ أو العلاج ٠٠ الخ يجرى تفتيشـه بدقـة شـديدة حتـى لا تدخل معه أو تخرج ممنوعـات ٠ والممنوعات كثيرة جـدا ٠٠ تبـدأ من الشاى والسجاير والمخدرات وتنتهـى بالمنشـورات « الشيوعية » ٠ وكـل الممنوعات بمـا فيها **المخدرات لا تسـاوى شيئا الى جانب « المنشـورات »** ! ويا ويـل المسجون السياسى الـذى تضبط معـه ورقة مكتوب بها أى كلام أو حتـى نظيفة فهى دليـل على انـه ينـوى كتابـة افكـار « **هـدامة ومستوردة** » ولكن اذا وجدت مخـدرات مع مسـجون فلا بأس ٠٠ فالجميـع يمكـن ان « ينبسـطوا » !

وعـادة يقـوم ضباط السـجن بتفتيش المسجونين الخطرين أمثالنـا بحثـا عن منشـورات أو أوراق نظيفـة بوصفها « مشروع منشـورات » ٠ وفى حالتنـا هذه لو ان المباحث وجدت علبة السلمون أياهـا وما بهـا من أوراق لانهدت الدنيـا على مأمور السجن وضباطه وسجانيـه لأعمالهم وعدم

بفظتهم وبالتالـي يضـع رجال المباحث أرجلهم فى السـجن بشـكل واضح وهو ما درفضـه ضباط السجن حيث يجدون فى هـذا تدخـلا فى عملهم ، فقانون السجون لا يسمح لضباط المباحث بدخول السـجن والتفتيش واذا حدث فيكون ذلك باذن من وزير الداخليـة ، حدث ذلك فى حالتنـا هـذه وفـى حـالات اخرى نـادرة جدا · لـم أعرف ماذا حـدث « للزميـل » الثـالث حين عـاد ضباط المباحث بخفي حنين · لكنـه أفـرج عنـه على أى حـال وعـدت وزميلـى الى سجن القلعـة تـم المحاريق معتقلين · وحين افـرج عنى فى أبريـل ١٩٦٤ وجدت هذا الزميـل الثالث يكتب فى الصحف والاذاعـة والتليفزيون ويؤلف الكتب الكثيرة ، فى النقـد والادب ، وحتى السياسـة ! وهو حتى كتابة هذه السـطور كاتب « كبير » يشـار اليـه بكـل أصابع اليدين والرجلين ! كانت هذه هى المرة الأولـى التـى أقابـل فيهـا أحمد صـالح داود ··· وكانت المرة الثانية يوم ان ذهبـوا بـى من سجن القناطر الخيرية الى المباحث العامـة ·· لاعتقالـى ·· أو للافـراج عنـى · يومها لـم أسـك لحظة فى اننى سأعتقـل ·· وما كنت أفـكر فيـه هـو اننى سأفقـد كثيرا من امتيازات السـجون ·· سأخلع الحذاء وامشى حافيا ·· لن يسمح لـى بالزيارة كل مدة كما تقضى لائحة السـجون ·· لن استطيع شراء شيء من الكانتين ·· الخ ·· الخ · والبدلة « الملكى » التى ألبسـها هذه ستجد طريقها مـرة أخـرى الى مخازن السجن الى زمن لا أعـرف مـداه ·· لـم ألبسها قبل عشر سنوات الا أيامـا قليلة خلعتهـا مـره أخـرى كـى ألبس « بدلة » المعتقـل !! ما كدت ادخـل بـاب المباحث العامة حتى وجدت زوج اختى « رحمه الله » ومعه احد اخوتـى الكبـار · هجم علـى وهو يكـاد يختنق من البكاء ويقول :

— اختك فى انتظارك ·· راح تموت لو ما طلعتش ··

ويقول اخـى :

— ذنب اختك فى رقبتك ·· اعمل اللى يقولوا لك عليه ··

لـم أجب عليهم وطلبت من الضابط أن ينهى الاجـراءات المطلوبـة ··· يقـول وعلى وجهـه ابتسامة باردة ·· باهتة ·· خبيثة ··

— مستعجل ليـه ·· خليك شوية مع اهلك ·· يا أخـى هما مش واحشينك والا أيـه ؟ ·

·ـت بغضب والألم يمزقنى

— من امتى المواقف الانسانية دى ؟

وتعمد هذا الوحش فى زى الانسـان ان يتركنـى مع زوج اختى الذى يبكى كالأطفـال واخى الذى يلح على أن أكـون واقعيـا ! واكتب لهم ما يريدون · اكثر من نصف سـاعة لـم اسـتطع ان احبس الدموع التى طفرت من عينى ! ولـم اتكلم كلمه واحـدة ·

(م ٣ — الرسائل)

وفى مكتب أحمد صالح داود كان كل شىء قد اتضح قال :

ـ أنت عارف أيه هيه طريقة الخروج ٠

قلت بهدوء :

ـ طبعا عارف ٠

ـ وأيه رأيك ؟

ـ انت عارفه ٠

وتوجه الرجل بحديثه الى أهلى قائلا .

ـ ما فيش فايدة ٠٠ أنا قلت لكو ٠

وانصرف أهلى يبكون ٠٠ وذهبت انا الى سجن القلعة ٠٠ ومكثت به عشرة أيام فى زنزانة مغلقة لم أخرج منها سوى مرتين ، مرة لمقابلة أحد ضباط المباحث الذى جاء يقول لى ان اختى فى خطر ولن ينقذها سوى خروجى ٠

ـ وهل امتنعت عن الخروج ؟

قال :

ـ كلمتين تكتبهم وتخرج ٠ ٠

قلت بغضب :

ـ انت عارف الاجابة ؟

يومها تضبت أسوأ ساعات عستها فى حياتى٠٠كان سؤال يطن فى رأسى٠ هل أنا مسئول عن موت أختى ؟ ٠ المسكينة التى مرضت يوم اعتقلونى قال لها الأطباء ان سفاءها يتوقف على صدمة مماثلة ولكن مفرحة ٠٠ لا لست مسئولا ٠٠ حياتى نفسها أقدمها ثمنا لما اعتقده ٠ والمرة الثانية التى خرجت فيها من زنزانة سجن القلعة كانت لترحيلى الى سجن المحاريق بالواحات الخارجة ٠ بعد يومين قرأت فى الأهرام فى مكتب مامور السجن اسمى فى نعى اختى رحمها الله ٠ قدم لى الرائد «٠٠٠» مامور السجن العزاء ٠ وكانت تربطنا بهذا الرجل بعد تجربة مريرة علاقات طيبة وانسانية سأحكيها فى رسائلى المقبلة ٠

والمرة الثالثة التى قابلت فيها أحمد صالح داود كانت فى مساء ٥ ابريل ١٩٦٤ بعد الافراج عنى من قسم شرطة مصر الجديدة ٠ ما ان رآنى أدخل عليه فى مكتبه حتى هب واقفا ٠٠ ابتسامة عريضة مصنوعة على وجهه، ويده ممدودة بالتحية ٠٠ وقال :

ـ ارجو انك ما تكونش زعلان ٠

ـ ودى مسالة تهم سيادتك ؟

ـ طبعا تهمنى ٠٠ خصوصا الآن ٠

ـ ولماذا الآن بالذات ؟

ـ من أجـل الثورة والتطـور الاشتراكـى ٠

ـ ومؤامره أمس ضد زملائنـا ٠٠ كانت من أجل ذلك ؟

ويرد الرجل بخبث شـديد :

ـ عبيكو يا شيوعيين انكو بتحطونـا فى كفـة واحـدة ٠ انا ليس لـى علاقـة بما حدث أمس والتحقيق اثبت ذلك ٠

فهمت ما تقصـده ٠٠ ولم أعلق ٠٠ وعنـد انصرافـى قـال للضابط الذى يرافقنـى ٠

ـ اللواء **حسن الصيلحى** عاوز يشـوف الأستاذ ٠٠

وجدت الرجل « مهذبـا » أكثر من اللازم الى درجـة أنـه اسـتقبلنـى على باب مكتبه ثـم رفض ان يجلس حتى اجلس أنا ! قال :

ـ ارجو ان تفهموا موقفـى على حقيقته ٠٠

ـ موقفك بالذات معروف لنـا تماما ٠

قال بأدب متجاهـلا سخريتى

ـ موقفـى ينبع من أرضية فكرية ٠

ـ ولحساب من هذا الموقف ٠٠ الذى تسميه فكريـا ؟

بلع الرجل كلماتى ٠٠ ومد يـده محييا ٠٠ انصرفت الى منزل أخى لأول مـرة بعد ١٢ عاما ٠ وبعد أيـام نقـل حسن الصيلحى الى ادارة الجـوازات والجنسية ٠

والمرة الثانية التى قابلت فيها حسن الصيلحى كانت فى صيف **عام ١٩٦٨!** فى خـلال استراحة احد المسارح وكان معـى **المرحوم الدكتور محمد الخفيف** وجرى حديث بينه وبين **حسن الصيلحى** وكنت صامتـا ٠ وادرك الخفيف اننى لا اتذكـر حسن الصيلحى ٠٠ فقـال من خلال ضحكته العاليـة المشهورة عنـه ٠٠

ـ أنت مش عارف الأستاذ والا أيـه ؟

قلت وانا اتأمله محاولا تذكـره ٠٠

ـ والله مش واخد بالـى ٠

ـ حسن الصيلحى ٠

و[illegible] منى كلمة دون أن أ[illegible]

ـ [illegible] سـاتر ٠٠

ضحك حسن الصيلحى وقال :

ـ لا خلاص ٠٠ انا دلوقت رجل أعمال ٠

وأكمل **الدكتور محمد الخفيف** بخفـة دمه المعروفـة ٠

ـ شركة استيراد وتصدير يا أستاذ ٠٠ فى جنيف ٠٠ أمـال ٠٠ عقبال أملتـك ٠

- أمل عدويتك يا دكتور ٠
وبقول المصيلحى ٠٠
- لبه بقى ٠٠ والشغلة دى فيها أبه كمان ٠
قلت بسخرية :
- يعنى ٠٠ ترقية ٠٠ الشغل بقى على مستوى عالمى ٠
قال :
- يعنى انت لسه عند رأيك ٠٠ طيب دلوقت لحساب مين ؟
قلت ضاحكا :
- لحساب كله ٠٠ عالمى يا أستاذ ٠
قال :
- على أى حال أنا ضد الشيوعية ٠٠ من موقع فكرى ٠
قلت والخفيف فى نفس واحد بسخرية :
- واضح ٠٠ واضح جدا ٠
فى ذلك اليوم حكيت للدكتور محمد الخفيف ما دار بينى وبين حسن المصيلحى مساء يوم ٥ ابريل ١٩٦٤ ٠

حبيبتى
هذه هى الرسالة السادسه اليك ٠٠ ومازلت عند احداث يوم الافراج رأيت ان ابدأ بها ٠ فربما تعطيك فكرة عن بعض ما تريدين معرفته عنى ٠ أما عن ذكرياتى خلال ١٢ عاما من السجن والاعتقال فموعدها رسائلى القبلة ٠

١٤ يناير ١٩٧٧
بغداد

الرســالة رقــم ٦

حبيبتــى

بعــد تلك الليلــه المثيــرة التــى قضينها فى « **تخشيبة** » **قسم بوليس الوايلــى** ، أخذنى **البكباشى أحمد حلمى** « رئيس قسم مكافحه الشيوعية » ومنئذ الى النيــابه العسكرية ، فقــد كانت الأحكــام العــرفيه معلنه منــذ حريق **القاهرة في يناير ١٩٥٢** • كانت الشهور التى تلت حــريق القاهــره تشهد ازمــه النظــام الخانقــة وعجزه عن الاستمرار بالأساليب التقليــدية بمــا فيهــا الأحكــام العرفية ذاتهــا وكانت الدوره تدق الأبواب ، ولكن لم يكن هنــاك التنظيم الجماهيرى القــادر على القيــام بثــوره شعبية تطيح بالنظــام الملكى • ومن هنــا كــان موقفنــا هو التحذير من انقــلاب فاشــى والنضال من أجل عــودة **حكومة الأغلبيــة ،حكومة الوفــد** • كانت الســلطة الحقيقية هى للبوليس السياسى ، وبالتــالى كــان البكباشى **أحمــد حلمــى** هو الحاكم الفعلى وبعد الاستعمار الأمريكى الذى بــدأ منــذ الخمسينات على وجــه الخصوص يوطــد نفــوذه فى البلاد • حين بــــدأ **رئيس النيــابة العسكرية** التحقيق معى تجاهل تماما طلبى بعــدم **حضور أحمد حلمى** التحقيق ولمــا كــررت طلبى القانونى هب واقفا من على مقعــده وقال بغضب كــلاما لم اتبينــه • وحين طلبت أن يثبت فى المحضر حضور أحمد حلمــى •• رفض أيضــا بغضب •• قلت بهــدوء :

ـ طيب على الأقــل •• واحتراما **للسلطة القضائية** •• هل تأمــر بفــك **القيــد الحديدى** من معصمى ! اختلطت حمــرة الغضب بحمره الخجل ليكسو وجهه لون غريب جسد كل ما يعانيه الرجل من مذله ومهــانه •

بعــد فتره صمت قصيره ، **تدخل أحمد حلمى** وأمــر بفك القيــود مــن يــــدى !

كــان [illegible] سريعــا ويسيرا فلم [illegible] أى دليل قانونى يثبت تهمــه تأسيس وإدارة وتنظيم « الحزب [illegible] المصرى » • حتى تقارير البوليس السياسى لم تكن تعــرف اسمى الحقيقى فحتى يــوم القبض على **فى ١٨ يوليو ١٩٥٢** كنت موظفــا بالحكومة لذلك كنت قــد قــررت قبـــل بــــدء التحقيق أن استفيد من موقفى القانونى فى القضية وهذا ما نصح بــه المحامون بعــد ذلك • ولم يكن فى القضية سواى وزميل آخــر مارسوا معــه كل أنواع الضغوط ليعترف على فلم يرضخ • انتهى التحقيق فى أيــام وبقينا

في سجن مصر في انتظار قرار الاتهام ثم المحاكمة وخلال تلك الأيام أكد المحامون بان النيابة سوف تفرج عني حيث لا دليل واحد عندها ضدي .

وخلال شهر أغسطس صدرت تصريحات من **فتحي رضوان وزير « الارشاد القومي »** تفيد بان كل المسجونين السياسيين الذين اعتقلوا قبل **٢٣ يوليو** سوف يفرج عنهم فورا . وخلال زيارات الاهالي لنا قالوا ان **فتحي رضوان** أكد بان السبوعيين الذين اعتقلوا في **العهد** الملكي سوف يفرج عنهم وجاءنا من قيادات التنظيمات المختلفة بان خروج كل الذين اعتقلوا قبل **٢٣ يوليو** وكان عددهم لا يتعدى الثلاثين أمر لا شك فيه وبعد أيام خرج الاخوان المسلمون والمتهمون في الاغتيالات السياسية وفي مؤامرة حريق القاهرة ، ثم صدر قانون يعطي الحق للذين دون أنهم سياسيون ولم يفرج عنهم بتقديم تظلمات أمام **محكمة خاصة** شكلت لهذا الغرض . وتقدمنا بتظلمات نظرت أمام هذه المحكمة وقدم المحامي **أحمد شوقي الخطيب** مذكرة هامة أورد فيها نصوصا من الدستور المصري والقوانين المصرية وأحكام القضاء المصري فضلا عن دساتير معظم دول العالم المتحضرة تؤكد حقنا في الافراج عنا . وبعد عدد من الجلسات أصدرت المحكمة حكما برفض تظلماتنا وقالت في حيثيات الحكم ان الشيوعيين ليسوا سياسيين وانما هم اقتصاديين وأنهم يصبحون سياسيين في حالة واحدة فقط هي حالة استيلائهم على السلطة !!

قبل نظر قضية التظلمات السياسية كان قرار الاتهام قد وصلني فوجدت نفسي أنا وزميلي **مصطفى كمال خليل ، الذين اعتقلنا قبل ٢٣ يوليو في قرار واحد مع ٢١** آخرين قبض عليهم **بعد ٢٣ يوليو** والاتهام الموجه للجميع هو قلب **نظام الحكم** .. اثنان متهمان بقلب **نظام الحكم الملكي** والباقي متهمين بقلب **نظام الحكم الجديد !!**

بعد أيام من رفض تظلماتنا سحبت قضيتنا من امام **محكمة الجنايات** العسكرية وأعضائها من مستشارين كي ينظرها **مجلس عسكري** اعضاؤه **من العسكريين** وبرئاسة القائمقام **أحمد شوقي عبد الرحمن** ونائب **أحكام عسكري وباجراءات مجلس عسكري** . وكانت هذه أول قضية شيوعية يشكل لها **مجلس عسكري خاص** .

وقد نشرت **روز اليوسف** خبرا يقول بان **الدوائر الأمريكية ارتاحت** لتشكيل **مجلس عسكري خاص** لمحاكمة الشيوعيين . وظللنا أياما قبل بدء المحاكمة نسأل باي قانون سوف نحاكم ؟ هل بقانون **صدقي** الذي أقصى عقوبة فيه هي **١٠ سنوات أشغال شاقة ؟** أم بقانون محاكم الثورة والذي تصل أحكامه الى الاعدام ؟

وأصبح قانون صدقي الذي **صدر عام ١٩٤٦** غير الدستوري **لأنه** صدر

مى عتبـة البرلمان حلمـا ننمناه !! ومضت أيـام لم تصلنـا اى اجـابة علـى هذا السؤال حتى المحامين الذين **وكلوا** للدفاع عنـا لم يعـرموا اجابة علـى هذا السؤال ! أكثـر من ذلك لم نكن نعـرف ولا المحامين يعـرمون أين سنحاكم ؟ .. هل مى احدى قاعات **المحاكم الجنائية أم** مى احد **معسكرات الجيش ؟** ووصلتنا اشاعات تقـول بأن النية تتجه الى عمل محاكمات سريعة مى أحد **معسكرات الجيش** واصدار عـدد مـن الأحـكام **بالأعـدام وتنفيذها فـورا رميـا بالرصاص !**

وهكذا عشنا أكثر من عشره أيام نهبا للاشاعات والاخبار المتضاربه ، غير ان الروح المعنـويه للغالبيـة العظمى من الزملاء المدمين الى هذه **المحاكمـة الاستثنائية** كانت عالية للغاية ، وتغلبت روح ـ **الاستشهاد فـى النهـاية** وكنـا فى نهـار كل يـوم نعقـد **الاجتماعات** لتقـوية الروح المعنـوية ، **وفـى** المساء بعـد قفل الزنازين ننشـد الأناشيد الوطنية .

ولم نعـرف موعـد المحاكمـة ومكانها الا فى صباح نفس اليوم الـذى خرجنا فيـه للمحاكمة ، ولم نعـرف وفق أى قانون سنحاكم الا مـن نـائب **الأحكام البكباشي حسن سرى** قبل ان تبـدأ أول جلسـة للمحكمة .

وبـدأت محاكمتنا لتستمر أكثـر من شهرين ثـم توقفت لتبدأ محكمـة جديدة **برئاسـة اللـواء فؤاد الدجوى بعـد أن قبض على رئيس المحكمـة الأولى أحمد شوقى عبد الرحمن .**

وكانوا يريدون لهذه المحاكمة أن تكون ارهابا لنـا ولكل زملائنا فى الخارج، ولكننا حولناها الى مهزلة حين تحدينا ارهابهم وحدثت أثناء محاكمتنا أمام المحكمتين قصص طريفة .. موعدها معك يا حبيبتى فى الرسائل المقبلة .

١٥ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرســالة رقــم ٧

حبيبتـــى

كـــان يوم ٨ **يوليو** ١٩٥٣ **يومـــا** غيـــر عـــادى فى سجن مصر ٠ فمن المعتاد أن تفتح زنازين كل عنبـــر حوالى الثامنة صباح كل يوم « لتنظيفها » ولكـــى يقضى المساجين « حاجتهم » فى دورات المبـــاه ، ثـــم ينزلون الى فناء السجن فى « طـــابور » صباحى ، بعدها يتسلمون وجبه الغذاء ، ثـــم تغلق **الزنازين** ٠ لكن فى ذلك اليوم لم تفتح الزنازين فى الموعد المعتاد ٠ الزنازين التى كان بها الزملاء المتهمون فى القضية الأولى المقـــدمة الى **المجلس العســكرى برئاســة القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن** هى فقط التى فتحت تحت اشراف مأمـــور السجن وضباطه ! ووسط صيحات السجانة وتساؤلات المساجين !

نزلنـــا من الطابق الثانى عنبـــر ب **فى سجن مصر** وهتافاتنا تهز كل جدران السجن ٠٠ عاش نضـــال الشعب المصرى ٠٠ تحيـــا مصر حـــرة مستقلة وكان زملاؤنا من التنظيمات الأخرى ينشدون ٠٠ بلادى بلادى ويلوحـــــون لنـــــا بأيديهم مشجعين ٠

وفى غـــرفة المأمور كـــان هناك عدد من الأطباء الضباط لاجـــراء الكشف على قلوبنـــا ٠٠ لا أدرى لـــماذا ؟

بعـــد الكشف على قلوبنـــا ووضع **القيود الحديدية** فى معاصمنا خرجنـــا من باب السجن العمومى لنجـــد أربع سيارات وقـــد امتلأت برجال الشرطة ٠٠ **الأسلحة الرشاشة فى أيديهم** مصوبة نحونا ٠٠ وعربتان مغلقتان تمامـــا مثـــل الزنزانة ، وفى مؤخرتها شرطيان يمسكان **بالمدافع الرشاشة** ٠ كانت المنطقة المحيطة بالسجن خاليـــة تمامـــا ٠٠ الدكاكين مغلقـــة ٠٠ لا باعة ٠٠ والأهالى فقـــد منعت الزيارة فى هذا اليـــوم ٠ ومن الطريف أن قائـــــد الحرس كـــان لايعـــرف شيئا عنـــا فسألنى ٠

ـ أيه الحكاية يا ابنى انتو متهمين بأيه ؟

ـ شيوعيـــة ٠

ـ طيب وليه الهيصه دى كلهـــا ؟

قلت بسخرية :

ـ بيبـــدو ان احنا خطرين قـــوى ٠٠

وأردت أن أعـــرف منـــه أين سنحاكم وكانت **مفاجأة مذهلة حين قال لـــى أنـــه لايعـــرف بعـــد !**

_ أمـال راح تودينـا فين ؟
قال الرجل الطيب :
_ ادينى مستنى الأوامـر ..
وعرفت من **البكباشى رئيس الحرس** أنه استدعى مسـاء أمس مـن قنـا حيث يعمل هنـاك _ فى مهمـه سرية جـدا وعليه أن يتواجد فى سـجن **مصر يـوم ٨ يوليـو ١٩٥٣ !**
بعـد حوالى نصف ساعة تحرك الموكب المهيب .. سيارتان فى **المقدمـة ورشاشات** تحملها الشرطة مصوبة **الى امام** العربيتين اللتين نركبهمـا .. وسيارتان خلفنا **والرشاشات مصوبة الى الخلف ..**
نادانى مأمور الحرس لأجلس الى جانبـه ... بعد دقائق قلت ضاحكا :
_ أيه العظمة دى كلهـا !
رد على الرجل وكان التأثر بادبا على وجهه .
_ يا ابنى انت فى أيه والا أيه بس !
_ يا سيدى ولا يهمك .. لكن احنا راح نتحاكم فين ؟
_ فى محكمة الاستئنـاف بيـاب الخلق
صحت فرحـا وأعلنت الخبـر للزملاء .
تعجب المأمور وسألنى فى اندهاش
_ أيه الحكاية مبسوطين قـوى كـده ليـه ؟
قلت :
كنا فاكرين اننا رايحين أحـد معسكرات الجيش ... نتحاكم هنـاك زى **خميس والبقـرى ...**
علق الرجل وقـد ازداد اندهاشـه .
_ ليـه يا ابنى وانتو عملتوا أيـه ؟
كـان الموكب قـد وصل الى ميـدان باب الخلق .. هذا الميـدان **المزدحم** الذى لاتجـد فيـه موطأ لقـدم .. كـان خاليـا تمامـا .. مـن السيارات وعربات الكارو .. ومن كل الناس . وقفت عربات الموكب ، وعلـى **طـول** السلم والطـرقات المؤدية الى قاعة المحكمـة .. اصطفت اعداد **هائلـة مـن** الجنود يحملون أسلحتهم ، ووسط هـذا الحشـد الهائل من الجنود .. **سرنا** نرفع ايدينـا المقيدتين **بالقيود الحديديه** نحيى أهالينا الذين **وقفـوا علـى** مبعدة منـا وننشد .. **بلادى .. بلادى .. لك حبى وفؤادى ..**
وبعـد أن ادخلونا قفص الأتهام .. دخل الأهالى والمحامون **الى قاعـة** المحكمـة . جـاء عـدد كبيـر مـن المحامين التقدميين والوطنيين . **كان من التقدميين** أسماء لامعـة ولمعت أكثـر فى الستينات .. وكنت **اعـرفهم جميعـا** .. للأسف كان موقفهم مخزيا .. واحـد منهم تنحى عن **الدفـاع عنـى وآخـرون** تنحوا أيضـا .. ولمـا سألت عن السبب **قالوا :**

ـ أصل ما فيش فايـدة ٠٠ الأحكام صادرة ٠٠ صادرة ٠

يؤسفنى أن أقـرر اننى اسقطتهم جميعـا ٠٠ واحتقارا لشأنهم لم اعلق ٠ الذين دافعوا عنـا كانوا متطوعين كـان من بين **الوفـديين** ٠٠ **سليمـان غنـام** ، **أحمد الحضرى** ، ومن بين رجـال المحاماة البارزين **موريس أرقش وعادل أمين** وغيـرهم ٠ حتى المحامين الذين انتدبتهم المحكمة للدفاع عنـا كان موقفهم عظيما ٠ اذكر منهم **الدكتور مدحت** الـذى جاءنى فـى قفص الاتهام يطلب منى فـى شبه رجاء أن أقبل انتدابه للدفاع عنى مع **الاستـاذ سليمان غنـام** ٠٠ قـال :

ـ رغم اننى لست محامى جنايات لكنى قـرأت كـل التحقيق ٠٠ وأنت ١٠٠٪ بـراءة ٠

ـ ١٠٠٪ بـراءة ؟ سيادتك متفائل قـوى ٠

قال الرجل ورنـة صوته تحمل كل الثقـة ٠

ـ التهمـة الموجهة اليك قلب **نظـام الحكم الملكى** ٠٠

قلت مازحـا :

ـ طب ودى فيهـا أيـه ؟

ـ ما أهو **الضباط** قلبـوا **نظـام الحـكم الملكى** فعـلا اللى انت متهـم بمحـاولة قلبـه ٠

ـ ده كـلام منطقى يا دكتور ٠٠ لكن ٠٠

ـ ما أهو يا تطلع انت براءة ٠٠ **يا الضباط دول بيجوا هنا السجن معاك** ٠٠

لمحت على باب القاعـة الاستاذ **سليمان غنـام** قادما نحـوى ٠٠ سـمع الجملة الأخيرة **للدكتور مدحت** فقـال مبتسما :

ـ يا دكتور مدحت ٠٠ ما تزعلش ٠٠ روق دمك ٠٠

ورأيت الدهشـة على وجه **الدكتور مدحت** ٠٠ وراح يخبط يـده باليـد الأخـرى ويقـول كلامـا لم اتبينـه ٠٠

قال لـه الاستاذ **سليمان غنـام** مبتسما ٠٠

ـ بعدين افهمك يا دكتور مدحت ٠

قال لـى **الأستاذ سليمان غنـام** « رحمه الله » :

ـ موقفك فى القضية سليم جـدا ٠٠ لو طبق القانون فالحكم بالنسبة لك سيكون بـراءة ٠

قلت ضاحكا :

ـ هل للسبب نفسه الذى يسوقه الدكتور مدحت ؟

قال ضاحكا :

ـ انا باقول القـانون ٠٠ مش المنطق ٠٠ ليس هنـاك دليل واحد عليك ٠

قلت :

ـ يا استاذ غنـام ٠٠ أنت موكـل للدفـاع عـن **الديمقراطية والحـريات السياسية** ٠٠ **كل ما** تـريده **هو** أن يسمع الرأى العام **دفاعك عن الحـرية** ٠

وصاح الحاجب :

ـ محكمــة ·

ـ دخل **القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن** رئيس المحكمه ·· وضــابطان برتبــه صاغ ·· بعدهما دخل **حسن سرى** نائب الأحكام ·· ثـم **على نور الدين** « الدعـــى » ·

قبل أن يجلسوا ·· وقف أعضاء المحكمــه ووضعــوا أياديهم اليمين علـــى المصحف ورددوا القســم ·· وبــدأت المحاكمـــه ·

نادى رئيس المحكمة ·· المتهم الأول (···)

ـ هل لك اعتراض على المحكمه ؟

ـ اعترض على تشكيل المجلس العســكرى ·· وليس لى اعتــراض على اشخاص المحكمــة ·

واعلن كل المتهمين اعتراضهم على تشكيل المجلس العسكرى

وتقــدم المحامون ·· **سليمان غنــام ·· أحمد الخضرى ·· موريس أرقش، عادل أمين** يطلبون تأجيل المحاكمة حتى ينظـر **مجلس الدولــة فى المذكـــرة** التى تقدموا بهــا يطعنون فى دستورية **تشكيل المجلس العســكرى** ·

ورفعت الجلســه للمداوله ·

وانعقدت المحكمة بعــد نصف ساعة وأعلن الرئيس

ـ قــررت المحكمة الاستمرار فى نظــر القضية المعروضة عليها حتى يصدر **مجلس الدولة** قــراره بشأن اعتراض الدفاع على تشكيلها ··

واستؤنفت المحاكمة ·· جلسات صباحية ومسائية واستمرت شــهرين كاملين ·· وقبل ان تصل اجــراءات المحاكمة الى نهايتها بأيــام ·· **قبض على أحمد شوقى عبد الرحمن رئيس المحكمــة وعلى المرحوم الاستاذ ســليمان غنــام !** كيف بــدأت المحاكمه ·· وكيف انتهت **بالقبض على رئيس المحكمــة وعلى المحامى الذى** يدافع عنى ؟

سأحكى لك ذلك يا حبيبتـــى فى الرسالة المقبلة ·

١٦ ينــاير ١٩٧٧

بغــداد

الرســالة رقــم ٨

حبيبتــى

ما يقــرب من شهرين استمرت محاكمتنا **أمام المجلس العسكرى** برئاسة **القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن** • وكانت الجلسات تعقــد صباحا ومساء، وبعــد أيام قليلة أصبحت المحاكمة بالنسبة لنـــا فرصة للقـــاء الأهل والاصدقاء وتنـــاول الأكل « **البيتـــى** » الذى حرمنـــا منـــه مـــدة طويلة • كميات وافـــرة من اللحوم والدجاج التى لم نتذوقها منـــذ دخلنـــا السجن •• كنـــا نأكـــل فى المحكمـــة ونأخذ معنـــا أيضـــا • حـــدث مـــرة أن أعتـــرض ضابط السجن (•••) وكـــان معروفا بصلته **بالمباحث العامة** ، على ادخـــال مـــا نأخـــذه معنـــا من طعـــام الى السجن • شكونا لنائب **الأحكام حسن سرى** فأمـــر الرجل بأن يدخل كل الطعام الذى نأخذه معنا للسجن ، كما كان بعد انتهاء جلسات المحكمـــة يسمح لنـــا بالجلوس مع اهالينـــا بعض الوقت فى قاعـــة المحكمة •

قلت لـــه يومـــا :

ـ تبدو انسانا •• خلاف ما يـــدل عليـــه مظهرك •• ودورك فى المحاكمة

ابتســم وقـــال :

ـ وعـــلام يـــدل مظهـــرى ؟

قلت ضاحكا :

ـ فاشى

ضحك وقـــال :

ـ وهل تأخذ بالمظهـــر ؟

ـ أرجو أن نتاح لى فرصـــة معرفة الجوهر :

ورئيس المجلس العسكرى تكونت بيننـــا شبه صداقة • اذا شكونا لـــه من ســـوء معاملتنـــا فى السجن نادى على ضابط السجن ليناقشه ثم يأمـــر بمعاملة حسنة **وفق اللائحـــة** •

ورئيس الحرس •• نشأت أيضـــا معه علاقـــة طيبـــة ، قال يوما :

ـ لقـــد تعودت عليك وعلى الحديث معك •• ساشعر بنقص فى حيـــاتى بعـــد انتهـــاء المحاكمـــة •

قلت ضاحـــكا :

ـ بسيطة •• دعنى أهـــرب ••

قـــال :

والله يا ابنى لولا الولاد لكنت ساعدتك على الهرب .. لكن أنا عارف انك راح تخرج براءة .

– ومنين عرفت .. ؟

– لقد سمعت رئيس المحكمة يهنئك .. عندما انتقلت المحكمة لمعاينه واقعه القبض عليك .

وحقيقة .. لقد هنأنى رئيس المحكمة .. كما هنأنى على نور الدين المدعى العام وحسن سرى نائب الاحكام والبك ما حدث .

حين بدأت المحكمة فى سؤال شهود الاثبات .. تضاربت أقوال الشهود ، واحد منهم قال أنه قبض على وأنا أطرق باب زميلى مصطفى كمال خليل مساء وكان قد قبض عليه صباحا .. والآخر قال اننى بعد ان صعدت بعض درجات السلم لاحظت وجود مخبرين فجريت هاربا وجرى خلفى وهو يصيح :

– حرامى .. حرامى ..

وعلق الاستاذ سليمان غنام ساخرا .

– ما هو لو كنت قلت شيوعى .. كانت الناس ضربتك .

وقبل أن يطلب الاستاذ غنام انتقال المحكمة لمعاينه واقعه القبض على كان رئيس المحكمة يقرر انتقال المحكمة الى المنزل ..

وبالفعل انتقلت المحكمة الى منزل مصطفى كمال خليل وهو يقع فى حارة درب البرابرة بالموسكى .. منزل قديم لا تدخله الشمس ابدا .. ويقبع فى ظلام دامس الى حد ان المرء لا يستطيع أن يرى أبعد من متر واحد فى حوشه أو على السلم فى وضح النهار .

بعد أن نزل أعضاء المحكمة من منزل زميلى وكنت انتظرهم فى الشارع همس غنام فى اذنى .

– المحكمة مقتنعة تماما ببرائتك .

وقال على نور الدين :

– مبـــــروك .

قلت :

– كان المفروض أن تقوم النيابة بذلك .

لم يعلق الرجل

والتفت الى أحمد شوقى عبد الرحمن وقال :

– من الناحية القانونية .. مبـــروك .

والحقيقة اننا كنا غير قادرين على تفسير موقف أحمد شوقى عبد الرحمن . كان يهتم اهتماما ملحوظا بكل الجوانب القانونية . ورغم ان المدعى طلب مرات عديده أن تعقد الجلسات سريه فقد رفض الرجل وكان يصر على علنية الجلسات ويطلب نشر ما يدور بها

فـى الصحف • وبالطبـع لـم تـكن الصحف تنشر شيئـا فيمـا عـدا جـريدة **المصرى** التـى كـانت تتحـايل على نشر بعض مـا يـدور فـى جلسـات المحاكمـة • ويوميـا وطـوال مـدة المحاكمـة كنت أقـول للاستاذ غنـام أن الصحف **لا** تنشر شيئا •• وكـان يطلب من المحكمة ضروره أن تنشر الصحف ما يـدور فى المحكمـة •• وكـان **أحمد شوقى عبد الرحمن** يثبت فى محضر الجلسات أن الصحف عليهـا أن تنشر ليكـون الرأى العـام رقيبـا على ما يـدور •• وكـان يطلب يوميـا من نائب الأحكام الاتصال بالصحف وأن يطلب منهـا النشر •• وكثيـرا مالام منـدوبى الصحافة الذين يحضرون الجلسـات •

وهكذا تحولت المحاكمة ما يقرب من الشهرين الى نزهـة •• فيها ما فيهـا من الطـرائف ••

وفى أحـد الأيام ذهبنـا كالمعتـاد الى المحاكمة •• وقبل ان ندخل قاعـة المحكمة خـرج رئيس الحرس ليصـدر تعليماته للحرس باعادتنا الـى السـجن •

سـألته ••

ـ ماذا جـرى ؟ **هل أجلت المحاكمـة ؟**

لم يستطع الرجل أن يغالب الضحك وقال :

ـ أيـوة أجلت ••

ـ ليـه ؟

ـ **لأن القاضى القى القبض عليـه !**

وعدنا الى سجن مصر لنمكث فيـه شهرا فى انتظار محاكمة جديدة حتـى شكلوا مجلسـا عسكريا جديدا برئاسـة اللواء فؤاد الدجوى •

ومع الدجوى كانت حكايات طريفه ••

موعدهـا معك يا حبيبتـى فى الرسالة المقبـلة •

١٧ ينـاير ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم (٩)

حبيبتــى

بعــد القاء القبض على « **القاضى** » **احمد شوقى عبد الرحمن** مكثنــا فــى السجن أكثــر من شهر ونصف ٠ وبدات محاكمتنا من جــديد امــام مجلس عسكرى برئاسة **اللــواء فؤاد الدجوى فى أكتــوبر ١٩٥٣ ٠**

لم تبــدأ محاكمتنا من حيث انتهت المحاكمة الأولى كمــا يحدث فى المحاكم الجنائيــة ٠ وانمــا باجراءات المجلس العسكرى الذى يلغى كل اجــراءات المجلس السابق ويبدأ من جديد ٠ بعد أن أقسمت المحكمة اليمين ونادى رئيسها علــى :

– المتهم الأول ٠٠ **عبد الرحيم عثمان** – هل لك اعتـراض على تشــكيل المحكمــة ؟

– أعترض شكلا وموضوعــا ٠

– المتهم الثانى (٠٠٠)

– أطلب التأجيل حتى ينظر مجلس الدولة فى الدعوى المرفوعــة أمامــه بعــدم دستورية تشكيل هذا المجلس ٠

– هذه محكمة وليست مجلسا عسكريا ٠

– بل هو مجلس عسكرى ٠٠ وأحكامه جاهزة ٠

ويعلو صوت « الدجوى » يهدد ويتوعد ٠٠ وترتفع هتافاتنا ٠٠ الدستور٠٠ الدستور ويطلب المحامون تأجيل الجلسة حتى ينظـر مجلس الدولة الدعوى المرفوعة أمامه ٠ ويتداول « القاضى » مع نائب الأحــكام ٠٠ ويقول :

– قــررت المحكمة الاستمرار فى نظـر القضية ٠٠ المتهم الثالث (٠٠٠)٠

– تشكيل هذا المجلس غير دستورى وأعترض عليه ٠

ويسأل « الدجوى » :

– [illegible] تعترض [illegible]

– [illegible] ٠٠ أعترض ٠٠

– لماذا تعترض ؟ ٠ ستحكم بالقانــون ٠

– **لا تملكون ٠٠ الأحكام جاهزة ٠٠**

ويصرخ الدجوى ٠ يهدد مــرة أخــرى ويقول :

– كل الضمانات مكفولة بالقانون **المتهم الرابع (٠٠٠)**

– هذا النــوع من المحاكمات **لا يقدم ضمانات ٠٠ لا للقاضى ٠٠ ولاللمحامى ولا للمتهــم ٠٠**

ويعـاود الدجوى صراخه ٠٠ وتتوالى تعليقات الزملاء :

ـ أين القاضى السـابق ؟

ـ **أين أحمد شوقى عبد الرحمن ؟**

ـ **وأين الدفـاع عن المتهمين ؟**

ـ **أين الاستاذ سليمان غنـام ؟**

ـ **فين هيـه الضمانـات ؟**

ـ **الدستور هو الضمـان ٠**

وترفع الجلسة ٠٠ وبعـد خمس دقائق تعـود **للانعقـاد** ٠ يهدد مـرة أخـرى ثـم ينـادى :

ـ المتهم الخامس (٠٠٠)

ـ نرفض التهـديد ٠

ـ جاوب على السؤال ٠

ـ نرفضكم شـكلا وموضوعا ٠

ويعترض المتهم السادس ٠ ثم المتهم السابع ٠٠ وكنت أنا المتهم الثامن٠٠ اقـول :

ـ **أين الاستاذ سليمان غنـام ؟**

ويصرخ الدجـوى ٠٠

ـ جاوب على السؤال ٠

ـ سأجاوب ٠٠ ولكن فى حضور المحامى الموكل عنى ٠

ـ محامى لم يحضر ٠٠ المحكمة مالهـا ؟

ـ المحكمة تعرف لماذا لم يحضر ؟

ويتقـدم محامى من مكتب الاستاذ غنـام ٠٠ يقول :

ـ **الاستاذ سليمان قبض عليـه** ٠٠ وهو يطلب السماح بحضوره للدفـاع عن المتهـم ٠

ويلتفت « الدجوى » الى المدعى العام :

ـ على النيـابة أن تقوم بعمل اللازم ٠٠

ويقـول لى :

ـ جاوب على السؤال ٠

ـ لما يحضر الاستاذ غنـام ٠

ـ المحكمة ستنتدب محاميا آخـر ٠

ـ وأنا أرفض أى محام تنتدبه المحكمة ومصر على الاستاذ غنـام ٠

(صمت)

ثـم ينـادى على المتهم التاسع ٠٠ و و ٠ والثالث والعشرين ٠٠ الجميـع يعترضون على تشكيل المجلس العسكرى من حيث الشكل والموضوع ٠ وفـى الساعة الثالثة بعد الظهر ترفع الجلسة لتنعقد فى صباح الغـد ٠

فى مسـاء اليوم نفسه ناقشت مع الزملاء خطتنا فى المحاكمـة وقـررنا

أن نجعل منهـا مظاهـره سياسية تطالب بالديمقراطية والحـريات السياسية والدسـتور ٠ ومع أننـى اتفقت مـع الزملاء على أن أقـوم بعمل دفـاع سياسـى ٠ الا أن الزملاء فى الخارج رفضـوا ذلك ٠ بحجـة أنـه لا يجب التفريط فى موقفـى القانونـى فى القضيـه ، خاصـه وأن « القاضى » السابق كـان قد أبدى رأيا ببراءتى ٠ واتفقنـا على أن يقـوم الزميـل سعد باسيلى بعمل هـذا الدفـاع السياسـى وكنت قـد انتهيت من اعـداده قبل أن يلقيه سعد باسيلى بوقت كاف حيث أرسلناه للزملاء فى الخـارج لطبعه وتوزيعـه أثنـاء القـاءه فى المحكمة ٠ وبالفعـل بينما كـان سعد باسيلى يلقى دفاعـه السياسى كان زملاؤنا فى الخـارج يوزعونـه وكانـوا قـد أرسـلوه الى القاضـى وأعضـاء المحكمة وكل المحامين ٠

وكان مشهدا طريفـا ٠٠ سعد باسيلى يلقـى دفاعـه السياسـى من ورق مكتوب بخط اليـد ٠٠ وعدد مـن المحامين يستمعون اليـه ٠٠ ويقـرأون ما يسمعونه فى كتيب « مطبوع » ٠٠ الصمت يلف قاعـه المحكمة وأعضائهـا وصوت سعد باسيلى يرتفـع ٠

وتوالـى المحامون يقدمون دفاعهم عن المتهمين وقـد ركزوا على الجانب السياسى فى القضية ولم يكن الجانب القانونى يحتل فى دفاعهم سـوى القـدر الضئيل جـدا واستمرت المحاكمة أكثر من شهر ونصف ٠ بعدهـا سمعنـا اشاعات قويـة تقول بأن القضيـة سـوف تحـول الى محكمـة الثورة ٠ وقد ازعجتنا هذه الاشاعات ، فقانون صدقى « غيـر الدستورى » أقصى عقوبـة ينص عليهـا هـى عشرة أعـوام أشغال شـاقة ، بينما قانون محكمة الثورة يصل الى الاعـدام ٠ وفى أحـد الأيـام همس نائب الأحكام لنـا :

ـ اطلبوا من المحامين الاختصار فى الدفاع ٠

ـ لماذا انها فرصـة لرؤيـة الأهل وشم الهواء ٠

قال الرجل بجديـة ٠

ـ هنـاك اتجاه قوى لتحويلكم الى محكمة الثورة ٠

واستمرت المحاكمة عـده جلسـات ، ثـم رفعت الجلسـة وأعلن رئيس المحكمة انتهـاء المحاكمة فى النصف الثانـى من نوفمبر عام ١٩٥٣ ٠ وبقينـا فى سجن مصر ننتظـر اعـلان الأحـكام ، فالمجلس العسـكرى لا يعلن أحكامه فى قاعة المحكمة وانما بعـد التصديق عليهـا من رئيس الجمهورية !

وفى ١٢ ينـاير ١٩٥٤ أعلنت حـالة الطوارىء فى السجن كله وفى كـل المنطقة المحيطة بـه ٠٠ لسبب لم نعرفـه ولم يعرفـه احد الا بعـد ان وقف ٢٣ زميـلا فى طابـور ليتلو ضـابط كبيـر فى الجيش الحكم الصادر عليهم وكان يوما مثيرا سأحكـى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

٣٠ يناير ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم (١٠)

حبيبتــــى

كتبت جريدة **المصرى فى يوم ١٣ يناير ١٩٥٤** وصفـا للطريقـة التـــى اعلنت بهـا الأحـــكام علينـــا فى ذلك اليـــوم ، وكانت هى الصحيفــة الوحيدة التى انفردت بذلك ، وبالطبـــع لم يكن ذلك مجـــرد سبق صحفـــى قـــام بـــه **الأستاذ محمود مراد الذى كان مسجونا** ويعالج فى مستشفى السجن واستطاع ان يرى من احــدى نوافـذه ما يجــرى فى فنــاء ســجن مصر ، وانمــــا كان تعبيرا عن **موقف حزب الوفــد** من الحريات السياسية والديمقراطيـــة ٠

فى ذلك اليوم ظلت **زنازين السجن** كلها مغلقــة حتى حوالـــى التاســـعة صباحــا وهى عــادة تفتــح فى السابعة ٠ السجانــة يقفـون خـــارج الزنازين لا يعرفـون السبب ٠ والمنادى الذى ينــادى يومبــا على أســماء المســاجين الذين يســتحقون الزيارة لـــم يرتفــع صــــوته كالمعتـــاد ٠ والأهالـــى الذين كنـــا نراهـــم يوميـــا حول السجن من شبابيــك الزنازيـــن الضيقــة لـــم نجـــد لأى واحـــد منهم أثـــرا ٠ الدكاكين والقهـــاوى المحيطة بالســجن أغلقت كلهـــا ٠ ترى ما الذى حـــدث ؟ ربمـــا كـــان **انقلابـــا جديدا** وفرض حظـر التجـول منذ الصباح الباكـــر ٠ سالنـــا السـجانة والححنـــا فى الســؤال ولكنهم صمتوا جميعـــا ٠٠ كما يصـــمت أبو الهول ٠ وفى التاسعـــة صبــاحا ٠٠ فتح بـــاب العنبـــر ٠٠ ثـــم سمعنا صوتـــا ينـــادى ٠٠ بعـــد ان سمعنـــا ثلاثة أســماء ٠٠ عرفنـــا انهم ينـــادون علـــى زملائـــى فى القضيـــة وكنت المتهم الثامن فيهـــا ٠ وبعـــد الاســـم الثـــالث والعشرين سمعنا صوتـــا :

ـ الأسماء دى تجيب حاجتها معاها وتنزل ٠

اذن هى الأحـــكام !

بسرعة اتفقت مع الزملاء على الموقف اثنـــاء تلاوة الأحكام ٠

وقفنـــا صفا واحـــد حسب ترتيبنـــا فى قرار الاتهام ٠٠

قال الضابط الكبير وكان يمسك أوراقا فى يـــده :

ـ كل واحد يسمع اسمه يتقدم خطوتين الى الامام ٠

وبـــدأ ينـــادى ٠٠

ـ المتهم الأول ٠٠ **عبدالرحيم عثمان** ٠

ـ ١٠ سنوات أشـــغال شـــاقة ٠

ويهتف الزميل

- عاش كفاح الشعب المصري
- المتهم الثانى ٠٠ (٠٠) ٠
- ١٠ سنوات أشغال شاقة ٠
- عاشت الحرية ويسقط الارهاب ٠

وهكذا ٠٠ كل زميل يهتف بعد سماع الحكم عليه حتى آخر زميل وكان حكمه ٥ سنوات وهو أقل حكم ٠ ولم يصدر حكم واحد بالبراءة ٠ لم يعترض احد من الضباط على الهتافات ٠٠ وطوال هذه العملية ران صمت رهيب فى كل انحاء السجن ولم يكن يسمع به سوى هتاف الزملاء الذين يسمعون الأحكام ٠ ثم ارتفعت أصوات زملائنا فى الزنازين المغلقة وهم يرددون نشيد ٠٠ بلادى ٠٠ بلادى ٠

كنت انا **ومعى ١٠ زملاء** حكم عليهم بالأشغال الشاقة ١٠ **سنوات** ٠ وتراوحت أحكام الزملاء الباقين بين **١٠ سنوات و ٥ سنوات سجن** وكانوا قد اعدوا سيارات السجن التى ستنقل المحكوم علبهم بالأشغال الشاقة الى الليمان ٠ وبدأت اجراءات تحويل ١١ زميلا من مساجين تحت التحقيق يلبسون الملابس العادية الى محكوم عليهم بالأشغال الشاقة يلبسون **بدلة زرقاء ٠٠ ممزقة ٠٠ بالية** ٠ بها اعداد كبيرة من حشرات « **القمل والبق** » ٠٠ ويدق فى كل قدم حلقة بها **سلسلة من الحديد تتصل بالحلقة الأخرى ووزنها ٤ كيلو جرام ٠٠ وتعلق فى الوسط بواسطة حلقة أخرى تعلق فى حزام جلدى ٠ ويقضى الحكم بأن يظل المحكوم عليه بالأشغال الشاقة مقيدا بهذه القيود لا يخلعها ابدا ٠٠ سواء فى نومه ٠٠ أو فى يقظته ٠٠ أو حتى عند الاستحمام ٠ ٠**

على باب سجن مصر الخارجى كانت تنتظر عربتان ٠٠ انا وخمسة زملاء ركبنا احداها ٠٠ والخمسة الآخرون ركبوا الآخرى ٠

سارت بنا العربة الأولى الى ليمان أبو زعبل واتجهت العربة الثانية الى **ليمان طره** ٠

وعندما تحركت بنا السيارة ٠٠ لمحت على البعد اخى مسعد « رحمه الله » ومعه زوجتى السابقة يلوحان لى من بعيد ٠٠ كانا قد أتيا الى السجن فقد كان هذا اليوم هو موعد زيارتى ! وخلال الرحلة من **سجن مصر الى ليمان أبو زعبل** ٠٠ كنا ننشد نشيد (بلادى ٠٠ بلادى) ٠ وننشد :

أخى ما الحديد اذا البسونا الحديدا
لقد جهلونا اذا حسبونا عبيدا

فجأة ٠٠ قال **وليم اسحق** وهو يبتسم وقد أمسك قيوده بيديه
ـ الا قولى يا درش ٠٠ لما الواحد عايز يستحم يخلع هدومه ازاى ؟
وتنبهت الى مشكلة حقيقية سوف تواجهنا عند الاستحمام ٠

الحلقتان حول الأقدام ضيقتان جدا بحيث لا يمكن أن يخرج منها القدم ٠٠ وحاولنا جميعا خلعها دون جدوى ٠٠ كل حلقة محكمة حول القدم ٠٠ وتصل الحلقتان **سلسلة حديدية ثقيلة** لا يمكن الافلات منها الا على يد « حداد » ٠٠ ومتى ؟ **بعد ١٠ سنوات** ! !
قلت ضاحكا ٠٠

ـ على أى حال نمكن ان نستفيد من خبرة من سبقونا ٠
قال وليم اسحق ضاحكا :
ـ شوفوا استفدوا انتو بقى ٠٠ شوف ٠
كان يرفع قدمه اليمنى الى أعلى ٠٠ ويمسك بالحلقة التى اخرجها منها بيده ٠٠
قال مجدى ضاحكا :
ـ يا نحنك يا وليم ٠٠ عملتها ازاى ٠٠ ؟
قال بزهو :

ـ ده عى يا استاذ ٠٠ امال بنلعب ٠
كان وليم نحيفا الى درجة مخيفة ٠٠ ويبدو ان الحداد الذى وضع له الحلقتين فى قدميه لم يجد حلقة أضيق من تلك التى وضعها فى رجله اليمنى ٠٠ فقد كانت اليسرى ضيقة جدا فلم يستطع اخراج رجله منها رغم محاولاته ٠

قلت لوليم ضاحكا
ـ انت بمبنى يا وليم ٠٠
ـ انا مالى ده الحداد اللى يمينى ٠٠

بعد حوالى ساعة ٠٠ كنا أمام **ليمان أبو زعبل** ٠٠ على باب الليمان كان يقف **المأمور ومعه ثلاث ضباط** واكثر من **عشرة سجانة** ٠٠ من بعيد سمعنا أصوات قيود مئات المساجين العائدين من « الجبل » كان **موكب العبيد يقترب** منا تدريجيا ٠٠ وفى **الأفق** كان شعاع الشمس الأخير يختفى ٠٠ والظلام يزحف مع زحف موكب المساجين العائدين بعد **نهار كامل** من الشغل فى **تقطيع** أحجار **البازلت** فى الجبل ٠ ويحيط

بهم عشرات الجنود وهم يحملون مدافعهم الرشاشه .. وعدد من الضباط يمنطون حبولهم .

وعلى باب الليمان جلس المساجين « ديز » لاجراء التمام .. بعد دقائق ضرب بروجي « التمام » والتمام في لغة السجون هو مراجعه عدد المساجين للتاكد من مطابقة العدد لما في دفاتر السجن .. وهي عملية تجرى يوميا صباحا ومساء عند خروج المساجين للعمل وعند عودتهم .

« اذن سنكون من الغد أفرادا في حشد العبيد هذا . وهل يطول بنا العمر عشر سنوات على هذه الحال .. وهل نحتمل هذا العذاب اليومي » ؟ .

وأفقت من تأملاتي على صوت سجان ينادي علينا ان نتبعه . كان السكون مخيما تماما على الليمان .. العبيد دخلوا عنابرهم .. عدد من السجانة والضباط يغادرون الليمان الى بيوتهم .. وعلى باب مكتب المأمور وقف الضابط النوبتجي و٣ سجانه .. وأمام المكتب وقفنا صفا واحد .. ما ان خرج المأمور من مكتبه حتى سمعنا صوتا عاليا يقول :

ـ اقعد « ديز » يا مسجون أنت وهو

لم ننفذ .. وظللنا واقفين

عاد الصوت أكثر حدة :

ـ يا مسجون أنت وهوه أقعد

ظللنا واقفين .. وهم احد السجانة بعصاته كي يضربنا .. لكن احد الضباط منعه .. وقال :

ـ ليه ما بتنفذوش الأمر

قلت بتحد :

ـ لم نعتد على هذا .

ـ لكن انتو دلوقت محكوم عليكو بالأشغال الشاقة

ـ ولو

ـ يعني ايه ولو ؟

ـ يعني ضروري نعامل بوصفنا مسجونين سياسيين .

كان المأمور في مكتبه يسمع الحوار وفجأة خرج وهو يصيح بصوت عال :

ـ انتو هنا في الليمان ولازم اللايحة تتنفذ .

ـ وهل في اللايحة اهانة المسجونين .

ـ بلاش فلسفة .. حكاية الشيوعية دى مش هنا .. انتم هنا مساجين .

ـ مساجين بس سياسيين .

زاد غضبـه :

ـ وايه يعنى ٠٠ عايزين امتيازات ؟

ـ لا ٠٠ عاوزين بس **تطبيق اللايحـة** ٠

تدخل ضـابط كـان يراقب الموقف صامتـا ٠٠ كـانت فـى نظـراته مودة نحونـا ٠٠ همس فى اذن المامور كلاما لـم نتبينه ٠٠ ثـم جـاء الينا وطلب ان نتبعـه ٠ وفى مكتبه دار معـه حديث ودود ٠٠ قال :

ـ انا طبعـا ماليش دعـوة بالسياسـة ٠٠ وانا عمرى ما شـفت شيوعيين لكن باين عليكو ناس منقفين ٠٠ لكن طبعـا لازم تنفذوا اللايحـة ٠٠ فاهمين اللايحـة ٠٠

ـ احنـا لا نريـد غير تنفيذ اللايحـة ٠

ـ مضبوط ٠٠ يا الله يا سجـان خدهم على **التاديب** ٠٠

قلت محتجـا ٠٠

ـ منين لايحـة يا حضرة الضابط ٠ ومنين تودونا التاديب ٠٠

قـال ضاحـكا :

ـ تعجبنـى ٠٠ اهو كـده ٠٠

ثم تركنا وذهب الى مكتب المامور ٠

فى السجون زنازين نسمى « **التاديب** » يسجن فيهـا المسـجون الـذى يرتكب مخالفـة فى السجن ٠ وتأديب المسجون هو ان يسجن « انفـرادبا » وينـام على **الأسفلت** ٠٠ ولا يأكـل **الا عيش حـاف** وملح الثلاث وجبـات ، ولا ولا يخرج من زنزانته أبـدا ٠

وطبعـا وضعنـا فى هذه الزنازين مخالفـة واضحة للائحـة السـجون ٠

جاء الضابط (٠٠) قائلا وعلى وجهه ابتسامة خفيفة :

ـ أصـل بقى فيـه مشـكلة ٠٠ انتو شيوعين والمامور مش عـاوز يخليكو مع المسـاجين فى العنابـر ٠٠

ـ ليـه بقى وهو احنـا مش مساجين ؟

ضحك الرجل وقـال :

ـ خايف عليهم من المبادىء الهدامة بتاعتكو دى !

ـ معنى كـده اننا نعيش هنـا فى سـجن انفرادى ٠٠ يعنى **اشـغال شـاقة وتأديب** كمـان ٠٠

ـ دى مسـألة مؤقتـة

ووجدنـا الأمـر يصلح للمسـاومة ٠٠

ـ طيب كل ثلاثة يقعدوا فى زنزانة ٠٠

قال الضابط :

ـ أنا عرضت المسألة دى على المامور ٠٠ ووعدنى أنه بعـد كـام يـوم يخليكو تقعدوا مع بعض كل ثلاثة ٠٠

ونظـر الينـا الضابط نظـرة ودودة وكنـا قـد ارتحنـا اليـه حيث

لمسنا منه رغبة جادة في مساعدتنا .. فوافقنا **بشرط ان يتعهد** هو بتنفيذ ما وعد به .

وتعهد الرجل بذلك .

في الطريق الى التاديب .. قال الضابط (...)

ـ والله « التاديب » ده أحسن من العنابر .. نضيف ومستمل .. زى الفيلا تمام ..

ثم ضحك وقال .

ـ وعلى فكرة الفيلا اللى أنا ساكن فيها بتطل عليكو .

قلت ضاحكا :

ـ **يعني جيران .. والجار له على الجار سبع حاجات**

قال .

ـ يا سيدى خليهم عشرة الا حكاية التزاور ..

ـ على الأقل من جانبك .. تزورنا أنت .

قال الرجل بود :

ـ قوى .. كل ما أكون هنا راح أمر عليكو .

فتح السجان ٦ **زنازين** .. دخلها الضابط الواحدة بعد الأخرى ثم

ـ كل مسجون له بطانية واحدة .. **وبرش يا افندم** .

قال السجان :

التفت الينا الضابط ضاحكا :

ـ شايفين وادينى بقيت برش ..

ثم وجه كلامه للسجان :

ـ امشى هات لهم كل واحد بطانية زيادة .

وزنزانة « **التأديب** » يا حبيبتي تختلف عن الزنازين العادية في السجون والليمانات . جدرانها من **الأسمنت المسلح** . ونافذتها **الوحيدة** في سقفها العالي جدا ، وبابها من **الحديد** . وليس به سوى ثقب صغير يسمونه في السجون «**نضارة** » ـ أي التي ينظر السجان منها كلما أراد أن يطمئن على وجود « ودبعته » ! بعد أن يحرك قطعة الحديد التي تس[illegible] الخارج وينظر منه بعين واحدة . هذا الثقب الذي لا يزيد [illegible] عن ٥ سم هو الصلة الوحيدة بين المسجون وسجانه عندما يغلق باب الزنزانة .

واذا حدث مرة أن أراد سجان التحدث مع مسجون وهو داخل الزنزانة كي يسلى نفسه فهو مسجون مثله داخل اسوار مبنى « التأديب » ، فعليه أن يحرك قطعة الحديد التى تسد الثقب ويمسكها بيده ، ويضع فمه على الثقب ويتكلم بصوت عال (كذا .. كذا) .. ثم يسرع بوضع أحدى أذنيه على الثقب ليسمع المسجون (كذا . كذا) ومرة ثانية يضع فمه على الثقب ليرد (كذا . كذا) ثم يضع أذنه.

ويسمع من المسجون (كذا • كذا) ، •• وهكذا حتى « يزهق » السجان أو « يتعب » من طول الوقفة ومن وضع فمه على ثقب الباب تارة ، ثم أحدى اذنيه تارة أخرى •• مرات يزيد عددها كلما طال الحديث •

داخل هذه الزنزانة ، **وفي ١٢ يناير ١٩٥٤** ، وفي عز البرد ، أمضيت الليلة الأولى • انتقلت فجأة من مسجون تحت التحقيق ، يرتدى الملابس الملكية ويأكل الأكل « الملكى » من عند « المتعهد » أو من الأهالى الى محكوم عليه بالأشغال الشاقة ، يلبس ملابس السجن البالية •• ويأكل ؟ ••• يفتح باب الزنزانة •• وأجد « **قروانة** » **بها شيء لم أتبينه** • لم أكن قد جعت بعد فلم أفكر في معرفة « هذا الشيء » ! لكن « القروانة » كانت « سخنة » ويخرج منها « بخار » • وجلست الى جانبها •• ربما تبعث بعض الدفء في يدى المرتعشتين ! لسعات أسفلت أرض الزنزانه تخترق « البرش » الذى أجلس عليه ، فأهب واقفا ، وتحتك **السلاسل الحديدية** بقدمى العاريتين •• أمسكها بيدى •• أزيحها عن قدمى •• فتمتص الحرارة التى أخذتهما من بخار « القروانه » • دقائق وتتحول « القروانة » هى الأخرى الى كتلة من **الثلج** • أفرش بطانيه مهترئة ، ممزقة ، على البرش ، وأجلس ولكن « أنى » لبرش منسوج من الليف وعليه هذه البطانية أن يحمى جسمى الذى أحاول تمديده من البرد القارص •• أنفخ فى يدى •• ونبعث أنفاسى فيهما الدفء •• لكن جسمى كله يكاد يتجمد •• كتفاى •• وظهرى •• وصدرى • • وقدماى • من أين يأتيهم الدفء • جسم شبه عار •• مقيد بسلاسل حديدية •• وتحاصره جدران الزنزانة الاسمنتية « وأرضها الاسفلتيه » ، والهواء البارد يصب على رأسى لسعاته الثلجية من نافذة الزنزانة العلويه هكذا •• طول الليل •• محاولات يائسه للبحث عن أقل دفء •• أقف تارة •• وأجلس تارة أخرى •• وأمدد جسمى المنهك مره ثانيه •• والبرد لا يرحم •• وأصوات الحراس تطن فى اذنى بين لحظه وأخرى .

ـ تـا •• مـا •• م
ـ تـا •• مـا •• م
ـ تـا •• مـا •• م

أى « **تمام** » • يتبادل الحراس الذين يقفون على سور الليمان الخارجى النداء بها طوال الليل • منذ غروب الشمس حتى شروقها فى صباح اليوم التالى •

لا أذكر كم دقيقة نمت ، ولا كيف نمت ! وهل كان **نوما** ، **أم كان سقوطا فى غيبوبة** ؟ **كل ما أذكره أننى تنبهت على صوت** « زقزقة » **العصافير التى خرجت من اعشاشها على الشجر المحيط بمبنى « التاديب »** **تستقبل مولد يوم جديد** • شدتنى أصواتها الجميلة وادخلت فى نفسى هدوءا سرعان ما بدده صوت البروجى يعلن •

ـ تمـا ٠٠ مـا ٠٠ م ، تـا ٠٠ مـا ٠٠ م ٠

أى طلع الصباح يا مدير الليمان وكله « تمـام » ولـم يهـرب أى أحـد من المسجونين ! ٠ السـجان يضـع مفتاحـه فى بـاب الزنزانـة وأهب واقفـا وفى يـدى **جـردل** البول لأذهب بـه الى دورة الميـاه ، ولأمضـى « **حاجة** » « **حبستها** » طول الليـل وسببت لـى آلامـا حـادة ٠ عنـد عودتـى من دورة الميـاه ٠ وجدت على البرش ملابس سـجن أخرى ولكـن « أحسن شويـة » من هذه التى ارتديتهـا فى سـجن مصر ٠

سألت السـجان :

ـ **ألبسها ازاى ؟**

ـ أنت باين عليك « **كركـى** »

و « **كركي** » معناهـا فى لغـة السـجون هو عـدم المعرفـة بعالـم السـجون والليمانات !

ـ أيـوه « كركـى » خـالص ٠

ويبدأ الرجل فى تعليمى كيف أخلع ملابسى !! وكيف ألبسها !!

ورغم أن هذا السـجان وغيره كثيرون شرحـوا لى عمليـة خلـع الملابس ولبسـها فاننى لا أذكـر اننى استطعت يوما أن أقـوم بهذه العمليـة المعقـدة دون مسـاعدة السجان قبل كـل استحمام وبعده ٠

أشرح لك يا حبيبتى هذه العمليـة وأعـرف أنـك لن تفهمى منها شيئا !

لا صعوبـة فى نزع السيـور من على « وسـط الجسـم » ٠ وانما الصعوبة فى خلع الملابس ٠ ولابـد لخلع الملابس من براعة كبيرة وحـذق ٠ ان علـى السـجين بعد نزع فـردة السروال اليسرى أن يمررهـا بين « الحجـلة » ـ أى الحلقـة ـ والسـاق ، وأن يعيد امرارهـا فـى الاتجاه المعاكس تحـت « الحجلة » ، فبذلك تتحرر فردة السروال اليسرى تحررا تاما ٠ ويكـون علـى السـجين بعدئذ أن يمرر فـردة السروال اليسرى تحت « حجلة » السـاق اليمنى ، وأن يعيد امرارهـا ثانية الى الوراء مع فـردة السروال اليمنى ٠

وهذه العملية المعقدة تتم أيضـا عند لبس الملابس !

وبعد أن القـى علـى السجان هذه المحاضرة ٠ أغلق باب الزنزانـة ، وذهب الى كل زميل ٠٠ يفتح عليه ويلقى عليـه المحاضرة نفسها ثم يغلق الزنزانـة ويذهب الى زميـل ثـان ٠٠ وهكـذا ٠٠ ألقـى المسـكين المحاضرة نفسها ست مرات ٠٠ فقد كانت أوامر مدير الليمان أن لانجتمع نحن « الستة » أبـدا خوفـا علـى « **أمن واستقرار** » الليمان ٠ وظللنـا هـكذا **١٢ يوما** ٠٠ وفى اليوم الثالث عشر قررنا أن نتخـذ موقفا ٠ **الاضراب عن الطعام** ٠٠ والمطالب هـى ٠٠ نقلنـا الى **ليمان طـره** فنحن « **سـابقة أولى** » ومكاننـا هناك وليس فى أبى زعبل الذى يضم « **السوابق** » !

أحكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

٢٧ مارس ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم (١١)

حبيبتـــى

فى اليـوم الثالث عشر لوجودنا فى ليمان أبى زعبل لـم اكن انـا فقط الذى استيقظت مبكرا على صوت « بروجـى » الصباح الذى اختلط باصـوات زقزقة العصـافير الواقفـة على أغصـان الأشـجار المحيطـة بغـــرف الزنازين .

– صباح الخير يا درش
– صباح الخير يا وليـم
– صباح الخير يا مجدى
– صباح الخير يا عبد الرحيـم

وكأننا ارتكبنـا جريمة لا تغتفـر .. جـاء السـجان مذعـورا يقـرع الزنازين بكـل قوتـه ويصيح ..

– اسكت يا مسجون انت وهو ..
– صباح الخير يا مجدى
– صباح الخير يا وليـم

ويصيح السـجان ..

– يا مسـجون اسكت .. المامور يسـمعكم
– وفيها أيـه لمـا المامور يسـمع ؟
– يا نهـار أسـود .. فيها أيـه .. فيها مصيبة .. فيهـا خصـم ١٥ يوما
– ليـه كـده ؟

ويهمس السـجان

– ده نـده على من الصبح وقال لـى خد بالك من الجماعـة الشيوعيين دول .. واوعـى حـد يتكلم مع زميلـه والا راح اوديك فى داهيـة ..
– طيب افتح علشـان نروح دورة الميـاه
– المامور قال لـى ما تفتحش عليهم الا بوجود واحد من الضباط
– طيب روح انـده واحد من الضبـاط
– أهو حضرة الضابط جـه

وسمعنا السـجان يشكونا للضابط (...) .. وتفتـح زنزانتـى واقـول للضابط .

– صباح الخير يا حضرة الضابط

يمسكنى السجان من كتفى وينهرنـى قائـلا :
ـ فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
ويبتسـم الضـابط ويقـول :
ـ صحيح ‥ فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
وارد على ابتسـامته بابتسامة خفيفة
ـ آه والله ما كنتش عارف ان ده مخالف **للائحة** ! !
ـ أيـوه كـده ‥ خـد بالك من اللائحة
كان يلمح لنـا بان لا نتهـاون فى تطبيق اللائحـة ‥ ورغم ان الضابط كان يحاول جاهـدا أن يبـدو فى مظهـر « تاشـف » أمامنـا الا ان السجان كان فاغرا فـاه من الدهشـة ‥ كيف يتحدث **مسجون مع ضابط بمثل هـذه البسـاطة ؟**
قلت للضابط :
ـ ممكن أصبح على زملائـى
ـ طيب ما أنت صبحت
ـ يعنى نفف مع بعض شويـة ‥
ـ ما فيش مانـع ‥ بس اجيب اذن من المأمور
ثم يقول متصنعا الحـده
ـ يا سـجان افتـح الزنازين كلهـا ‥ وهـات المساجين عنـدى هنـا ‥
فتحت الزنازين السـتة ‥ وخرجنـا جميعـا نسـلم على بعضنـا البعض بود ومحبـة وكاننـا افترقنـا لسنوات ‥
الضابط يتظاهر بالانشغال فى أمور أخرى ‥ والسجان يرتفع صوته عاليا
ـ مـا حدش يكلم حـد يا مسـجون انت وهوه ‥
ويتظاهر الضابط بأنه قـد تنبه فجـأة الى **جريمة** حديثنـا مـع بعض فيقول بحـدة تبدو مفتعلة ‥
ـ أيـه ده يا مسجنون أنت وهوه ‥ تعالوا هنـا ‥
ونتجمع حوله ‥ لكن المنظر لا يعجب السجان ويصيح
ـ اقعـد يا مسجون أنت وهـوه ·
ويقول الضابط
ـ سـيبهم يا سـجان ‥ سيبهم واقفين
ويستطرد فى سـخرية
ـ دول ما يستاهلوش الرحمـة ‥
كان يشير الى ما حـدث بالأمس مسـاء عندما رفضنـا أن نجلس « ديز » أمام المأمور ·
قال الضابط برنـة أفهمتنـا ان علينـا أن لا نقبـل أوامـر المأمور التـى يقولهـا ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أوامر حضرة المأمور هى ٠٠ **الحبس الانفرادى** ، منوع حـد يتكلم م زميله **زنزانة ولحدة** بس اللى نتفتح مرة الصبح ومـره بعد الظهر ولمدة **خمس دقائق بس** ٠٠

ـ اذا ضبط أى شىء ممنوع مفيش عبر الجلد ٠٠ سامعين ؟

ـ دى أوامـر ممكن التفاهم فيهـا ؟

ـ دى أوامـر المأمور ٠

ـ طيب بقى نتفاهم مع المأمور

ـ المأمور مش عاوز يقابل حـد

ـ طيب يبقى فيـه طريقـة تانية للتفاهم

ـ أيـه الطريقه التانية دى ؟

ـ **أضراب عن الطعـام**

ويبدو على وجـه الضابط الارتياح ٠٠

ـ يعنـى مصممين على الأضراب ؟

وبابتسـامة خفيفة أقـول

ـ مصممين جـدا

ـ طيب ٠٠ يا سجان أقفل عليهم ٠٠ أنا رايح للمامور ٠

ويستمر أضرابنـا عن الطعام **ثلاثة أيـام** ٠٠ وكان هذا **هـو الأضراب الأول فى ليمان أبو زعبل** والذى لـم يشهد مثله طـول تاريخه وخلال تلك الأيام الثلاثة كان الضابط يأتى الينـا ،

ـ لسـه مصممين على الاضراب ؟

وكنا نفهم من لهجته أن نظـل مضربيين

وفى **رابع يوم** جـاء الضابط يبلغنـا أن **النيابة وصـلت** للتحقيق ٠٠ وفى الطريق لقابلة وكيـل النيابة همس الضابط ٠

ـ تمسكوا بتنفيذ اللائحـة ٠

طلب وكيل النيابة لائحة السجون فوجد أن ما يجرى معنا مخالف لمـا جـاء بهـا فسأل المامور عن السبب ٠

وكانت أجابتـه

ـ **الأوامـر اللى عندى** ٠٠ أعمل ايـه ؟

قال وكيل النيابة بغضـب

ـ أوامـر مين ٠٠ أنت عندك اللايحة تنفذها ٠

وأمـر وكيل النيـابة بمنع الحبس الانفـادى ٠ واقـر حقنـا فى **الطابور الصباحـى وطابـور بعد الظهر** ٠

قلنـا لوكيل النيابـة

ـ باقـى حاجتين ٠٠ ان نخرج الى العمل **فى الجبـل** ٠٠ وان ننقـل الـى ليمان طـرة ٠

ـ دى بقى حاجات مش فى اللائحة وبرجع فيها الى المصلحة . ووعدنا برفع مذكرة الى مصلحة السجون .

كانت رغبتنا مى العمل فى الجبل عو الخروج للشمس والهواء ولو حتى فى موكب « العبيد » فلم نعد نطيق الجلوس مى زنزانه مقفلة نخرج منها للفسحة فى داخل مساحة ضيقة جدا . وكان مطلبنا للنقل الى ليمان طرة يستند الى أن **السابقة الأولى فى حكم الأشغال الشاقة** مكانه ليمان طرة حيث العمل مى الجبل عو تكسير **الحجر الجيرى** أما ليمان أبو زعبل فهو مخصص لأصحاب السوابق لأن العمل هناك هو تكسير **الحجر البازلت** .

ولم يسمح لنا بالخروج الى الجبل **الا بعد شهر .. وكان يوما مثيرا** ـ أقص عليك أحداثه يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة .

٢٩ مارس ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٢)

حبيبتـــى
شهر كامـل منذ جئنـا الى **ليمان ابو زعبـل** ونحن لا نعـرف شـيئا عمـا يجرى فى خارج الأسـوار ·الصحف ممنوعة تماما ، وليست لنـا أى صلة بالسـاجين · السجان هو صلتنـا الوحيدة بالعالم الخارجـى · وعبثـا راحت كل محاولاتنـا مع سـجان الصباح أو سـجان المسـاء الذين لـم يتغيرا أبـدا فكلاهما صامت لا يتكلم خوفـا من المأمور الذى نبـه عليهما مشددا بعدم الحديث معنا على الاطلاق · وطـوال شـهر كامـل لـم ندخن خلاله نفسـا من سيجارة · كان عزاؤنـا أن **لوليـم اسحق** قـدرة هائـلة على الحديث ·· فكنا نقضى لياليـى بكاملهـا نستمع اليـه ·· حتـى أن زملاء الزنزانـة الأخـرى أحتجوا على وعلى **مجدى فهمى** لاننـا نستاثـر بوليم فاتفقنـا أن يبيت وليم كـل ليلة فى زنزانـة ·

وفى ذات يوم مرض سجان الليل وجـاء أخـر بـدلا منـه كـان أسـمة **عم على** ·· يبلغ من العمر أكثر من **٦٠ عاما** ·· أطلق عليه وليـم أسـم عـم « كاكـا » ·

ـ لماذا كاكا يا وليـم ؟
ـ هو كـده مفيش أسم ينفعة الا كاكـا ··

فى المسـاء طلبنـا منه سيجارة ·· لم يتردد الرجل ·· أشـعل سـيجارة وتناولناهـا من ثقب الزنزانـة ·· وعندما وصلت السيجارة الى نصفها بعد أن تبادلناهـا نحن الثلاثة ·· جـاء صوت من الزنزانـة الأخرى ·

ـ عاوزين **نفس** يا عـالم

وجرى عـم كاكا ليعطيهم سيجارة أخـرى ·
وجرى حديث طريف ، وبعـد أن أطمأن لنـا الرجل ساله وليـم ·

ـ أيـه الأخبار يا عم على ؟
ـ الحمد الله ·· كله كويس
ـ ما تعرفش حاجة عن أخبار **الحكومة**
ـ ما لها الحكومة كويسـة ·· **النحاس باشا راجل عال العال**
ـ النحاس باشا ·· النحاس باشا ما له ·· جرى لـه حاجة ؟
ـ حاجة أيـة ده **رئيس الحكومة**
ـ **النحاس باشا رئيس الحكومة يا عم على** ·· ؟
ـ **أيـوه طبعا أمـال مين ·· ؟**

وابتعد الرجل بعيدا •• ورحت كل محاولتنا عبثا عن حق أن يعود الينا لنفهم شيئا •• ولكن يبدو أن الرجل شعر بانه تحدث معنا أكثر من اللازم فرفض بعناد أن يعاود الحديث مرة أخرى ••

ورحنا طول الليل نحلل **الموقف السياسي** • معقول جدا أن تعود **الوفد** الى الحكم •

ليس من المعقول أن عم على مهما كان ابتعاده عن السياسة لا يدرى ان **النحاس باشا** بعيد عن الحكم مدد وعن طويل عهل عاد حقا ؟ ومن المؤكد أن عم علي يعرف أن هناك سلطة جديدة وحكومة جديدة منذ أكثر من عام • لا بد أن شيئا جديدا قد حدث •• **معقول جدا أن يعود الوفد للحكم** • ربما رضخت سلطه ٢٣ يوليو لضغط الشعب **وتولى النحاس رئاسة الحكومة** • ومكثنا طوال الليل نحلل الموقف السياسي بعد أن تولى الوفد الحكم وكأنه أصبح حقيقة • وبالطبع خرجنا بنتيجة منطقية هى أن **الوفد** سيعتمد فى حكمه **على اطلاق الحريات السياسة والديمقراطية** وبدا أمل الافراج عنا فى الامن ثم رحنا فى نوم عميق نحلم **بالافراج عنا •• بالحرية** •

وفى الصباح الباكر سمعنا صوتا عاليا يطلب أن نستعد للخروج • صاح وليم اسحق فى سعادة بالغة •

— مش قلت لكم •• أفراج •• **يحيا الوفد**

ويقول **مجدى فهمى**

— أصبر يا وليم لما نشوف أية الحكاية •• أنت دايما متفائل

ويرد وليم

— أنا صحيح فنان ومش سياسي زيكوا •• ولكن عندى احساس فتحت الزنزانتان وخرجنا منهما •• ليس من أجل الافراج •• ولكن للعمل فى **الجبل** •

علق وليم ضاحكا ••

— أهوه برضه خروج •• نشم الهواء ونقعد فى الشمس

ضحكنا من الاعماق •• لم نفقد الأمل أن يكون **النحاس باشا** قد تولى الحكم بالفعل •• وضرورى من كام يوم وسوف يفرج عنا • ولكن أحدا لم يصرح بما فى نفسه لزملائه •

كان خروجنا الى العمل فى الجبل أمرا مثيرا لكل المساجين الذين سمعوا عنا ولم يرونا أبدا • كنا محور حديثهم طوال الشهر الذى أنقضى • وكثرت الأحاديث حولنا بين المساجين والسجانة • لاحظنا هذا عندما وضعونا فى **مؤخرة طابور** المساجين • رأينا الجميع ينظر خلف ظهره ليرى هؤلاء الشيوعيين الذين تفرض عليهم هذه **الحراسة المشددة**، أطلقوا علينا أسم « **الفرقة المخصوصة** » وكان يحرسنا **حارسان** وصول وضابط أى أن أربعة يحرسون **ستة** ، وهذه حراسة خاصة • الى

حاسب الحراسه العامه المكونه من عشرات الجنود والضباط ٠

سرنا في نهاية طابور العبيد في طريقنا الى الجبل ٠٠ ومن حسن حظنا أن ضابط العمل كان في ذلك اليوم صديقنا الضابط (٠٠٠) ٠ أقترب منا ودون أن يلتفت الينا وهو يركب حصانه قال :

ـ أزى الحال ٠

ـ الحمد لله ٠٠ أيه حكاية النحاس باشا ؟

لم يستطع الرجل أن يمسك نفسه من الضحك ٠

ـ نحاس باشا مين ٠٠ أنت بتحلم ٠٠ ؟

وتبددت كل احلامنا ٠٠ كل التحليلات السياسية راحت هباء ٠٠ جزاك الله يا عم كاكا ٠

ووصلنا الى مكان العمل ٠٠ الى الجبل ٠٠ حفرة هائلة يبلغ اتساعها أكثر من عشرة كيلو مترات ٠٠ يحيط بها جبل كبير من حجر البازلت والعمل هناك مقسم ، عدة مجموعة من المساجين تضع الديناميت في فتحات الجبل ثم تفجرها ٠ وعدة مجموعه ثانية تفكك الاحجار الكبيرة بعد أن ينفجر الديناميت ٠ وعدة مجموعة ثالثة تحمل أحجار البازلت الضخمة الى مجموعات منفرمة من المساجين ليقوموا بتكسيرها بالشاكوش الى قطع صغيرة ٠ وبعيداً عن كل المساجين أجلسونا في ركن بعيد ٠٠ يحرسنا السجانان والصول والضابط أكثر من نصف ساعة لم نتكلم ٠٠ ننظر الى ما حولنا مندوهين ٠٠ كلما حاول مسجون الاقتراب منا نهره الحراس بشدة فيبتعد خائفا ٠٠ ثم جاء الضابط وقال :

ـ دلوقت بقى ٠٠ كل واحد يكسر ٧ غلقان من الحجر ده ٠

ـ حجر أيه الى نكسره ده ٠ ؟

ـ حجر البازلت ده ٠

ـ ما عندناش خبرة بالمسألة دى ٠

ـ كلها يوم وتعرفوا

تلنا باصرار ٠

ـ لا يوم ولا يومين ـ احنا مكانيا مش هنا ٠٠ عاوزين نروح ليمان طره ٠

وظهرت ابتسامة على وجه الضابط

ـ لازم تعملوا الطريحة لغاية ما تروحوا ليمان طرة ٠

ـ لا طريحة ولا غيره مضربين عن الطعام

وأرتاحت أسارير الرجل ٠٠ وقال بلهجته التى اعتدناها والتى تعنى التشجيع ٠٠

ـ يعنى مضربين على الاضراب ٠

ـ أيوه مضربين ٠

بعد أن اتخذنا قرار الاضراب عن الطعام ٠٠ كان أمامنا مشكلة

ارسال **خطاب** الى زملائنا فى الخارج • كيف ؟ ممكن عن طريق واحد من المسجونين العاديين • ولكن كيف نتصل بهم ؟ نحن محاصرون من كل جانب • نجلس بعيدا عن كل المسجونين ولا يستطيع أحدا منهم أن يقترب عنا . والسجان يلازمنا لا يتركنا لحظة • والصول يأتى الينا بين الحين والحين « ينمم » علينا • قلت **لوليم اسحق** :

– تصرف يا وليم

يمسك وليم بيد الزميل **عبد الرحيم عثمان** ويقرأ له الكف • وكلما يقول وليم شيئا يرد عليه عبدالرحيم •• مضبوط •• تمام • والسجان فاغر فاه من الدهشة •• فجأة يقول لوليم ..

– ممكن تشوف كفى ؟

– قوى •• قوى ••

ويستمر وليم فى مشاغلة السجان وقتا يتمكن خلاله **مجدى فهمى** من لمح مسجون من حى «بولاق» ويتعرف عليه ••

– أنت مجدى فهمى أخو **مصطفى مهمى** ؟

– أيوه ••

– أنت شبهه تمام ••

– عاوزين خدمة صغيرة ••

– رقبتى •

ويذهب المسجون (•••) ويحمل حجرا كبيرا وياتى به الينا ويضعه أمامنا •

ما أن يراه السجان حتى يصيح ••

– ايه اللى جابك هنا يا مسجون ؟

– حضرة الصول مال لى أعلمهم ازاى يكسروا الحجارة •

ويقول وليم للسجان •

– خليك معانا أنت •• ما تبوظش الشغل •

ويواصل قراءة **كف السجان** • بينما يتفق مجدى مع صديقه المسجون (•••) على توصيل خطاب كتبه على ورقة صغيره كانت ملقاه فى بطن الجبل « **ويعقب** » ملم رصاص كان المسجون يخبئه فى ملابسه • يعطيه مجدى للمسجون (•••) ويسأله •

– امتى يوصل الخطاب ده لأخى مصطفى ؟

– النهارده راح يكون عنده !

فى اليوم التالى لم نخرج الى العمل ولمدة أربعة أيام وصلت خلالها الى **ادارة الليمان ومصلحة السجون** برقيات من أهالينا تطالب بتحقيق مطالبنا ونقلنا الى **ليمان طره** • وفى اليوم التالى (الخامس) وصلت النيابة للتحقيق • كان مطلبنا محددا هو النقل الى ليمان طرة فنحن سابقة أولى • وأن نخرج الى الجبل حتى يتقرر نقلنا الى ليمان طرة

من قبل مصلحة السجون ، وحين اعترض المامور على خروجنا الى الجبل سأله وكيل النيابة عن السبب ·· فقال بغضب ··

– يا بيه دول فى أقل من ٤ ساعات اتصلوا بأهاليهم وجت التلغرافات ترف ·

يقول وكيل النيابة :

– شدد الحراسة عليهم ·

ويرد المامور

– أكثر من ٢ سجانة وصول ؟

ورفض المامور بأصرار أن نخرج الى الجبل ولما هددنا بالاضراب عن الطعام سمح لنا بالخروج وكنا نعتبر الخروج كل يوم بمثابة نزهة وخلال هذا الشهر استطعنا أن نحصل على بعض الصحف وأن نرسل خطابات الى الخارج ·

بعدها نقلنا الى ليمان طرة · ولكن فى منتصف ذلك الشهر جاءت عائلاتنا لزيارتنا · فالمحكوم عليه بالأشغال الشاقة يستحق الزيارة بعد ٤٥ يوم · · وجاء أخى مسعد وزوجتى السابقة لزيارتى ·· وهى زيارة تستحق أن أكتب عنها رسالتى المقبلة يا حبيبتى ·

أول ابريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٣)

حبيبتــــى

مضى علينـا شهر ونصف لـم نحلق ذقوننـا كان كـل منـا ينصـور بشاعة مظهره حين ينظر الى زميله • الأمواس ممنوعـه فى السـجن • غير ان ذقـون كل المساجين ناعمة تماما •• فالجميـع عندهم أمواس ويحلقـون ذقونهم •• ولم يكن بوسعنـا أن نحصل على أمواس حتى يـوم فوجئنـا بزيـارة أهاليتـا !

نادوا علينـا للزيارة وسط حراسة مشـددة • والزيارة فى السـجون تتـم من خلال حاجزين من الاسـلاك يبعدان عن بعضهما حوالـى متر ونصـف • يقف المســجون خلف الحاجـز السلكـى داخـل السـجن ويقف الزائـــر خلف الحاجز الآخـر القريب من باب السجن • وبين الحاجزين يقف السجانـة حتى لا يتكلم المساجين مع أهاليهم كلاما خارجا عـن القـانون •• أو يقوموا بتهريب ممنوعات •

كان فى زيارتــى أخــى مسعد « رحمه الله » وزوجتــى السابقة •

كما ان علاقـة الـدم وحدهـا ليست كافيـة لقيـام علاقـة انســانية حقيقيـة كذلك فان علاقـة الزواج وحدهـــا ليست كافيـة لبنـاء علاقـــة حب حقيقيـة • واليـوم بعـد أكثر من ٢٢ عاما وأنـا أحـاول أن أستعيد ماذا كانت عليه مشاعرى وأحاسيسى حيال أخونى عامـة ومسعد خاصـة ، كـذا مشـاعرى وأحاسيســى حيال زوجتـــى السابقة أجد أن علاقتـى بأخـى مسعد كانت علاقـة انتماء بكـل ما تحمل هذه الكلمـــة من معنـى ، بينما كانت علاقتـى بأخوتـى الآخرين مجرد علاقـة دم • أما علاقتـــى بزوجتـــى السابقة فلم تكن أكثر من علاقـة عطف من جانبـى ، وحب مريض من جانبها •

وأعـود بذاكرتـى الى ظروف تعرفـى عليهـا •

ذات يوم من أيـام صيف ١٩٥٠ دعانـى زميل فى العمل الى رحـــلة نيلية الى القناطـر الخيريـة ، وقبلت الدعـــوة كنـوع من التغيير فى حياتـى اليومية التى لا تتغير • العمل صباحـا ثـم الاجتماعات التنظيمية حتـــى ساعة متأخـرة من الليـل ثـم أعـــود الى حجرتـى الجرداء من كل شـيئ• سـوى سرير صغير وبعض الكتب الملقـاة على أرض الحجرة •• وحيـــدا لا أجد من اتبادل معـه كلمة •

على سطح السفينة المتجهـة الى القناطر الخيريـة صدحت الموسيقـى الراقصــة وراح الجميـع يغنـون وأنا جـالس بعيـدا تتضارب الأفـــكار فى

رأسى • هل يتفق هذا مع القيم الثورية ؟ مرة أقول لا ومرة أخرى •• ماذا في هذا ؟ وهل يرقص الثورى ؟ ولماذا لا والوقت الذى يروح في الرقص والغناء هل هو وقت ضائع ؟ الثورى لا يحب أن يضيع وقته ؟ كل الوقت يجب أن يكون للثورة •ولكن أليس من حق الثورى أن يستمتع أحيانا بمثل هذه الحياة ؟

بقيت هكذا مترددة •• لا أجد اجابة واضحة على ما يدور في رأسى •• حتى وجدت نفسى محاطا بزميلى في العمل وصديقته ومعى صديقتها •

ـ لماذا لا ترقص ؟

ـ لا أعرف •

قال زميلى ضاحكا :

ـ الرقص لا يتعارض مع السياسة •

ويستطرد :

ـ يا اخى أن لبدنك عليك حقا •

وقالت مدمى برقة :

ـ أعلمك الرقص •• هناك في مؤخرة السفينة

وبشكل تلقائى وجدت نفسى أرقص معها •

وبعد قليل صاحت :

ـ أنت هايل •• تعال بقى نروح « البست »

ومرة أخرى أجد نفسى بين أحضانها نرقص مع الراقصين •

رقصت معها طول وقت رحلة السفينة الى القناطر الخيرية •

كانت هذه أول مرة أذهب فيها الى هناك • وبشكل تلقائى وجدت نفسى أسير معها ونجلس على الحشائش وما كدنا نبدأ حديث التعارف حتى سمعت من يصيح عليها ••

ـ ماما •• ماما •• عاوزين نركب فلوكة •

كانت طفلة عمرها سبع سنوات وطفل لا يزيد عن ٩ سنوات • قالت وضحكة حزينة تملأ وجهها •

ـ تيتى •• ولوسى •• أولادى •

يبدو أن تعبيرات وجهى •• كشفت ما في أعماقى وقتئذ •• ما الذى كان في داخلى • كان عمرى وقتئذ ٢٥ عاما ولم تنشأ بينى وبين امرأة أى علاقة عاطفية أو حسية • فما الذى كان يدور في رأسى ؟ » •

قالت والدموع تجرى من عينيها :

ـ ولكننى الآن مطلقة ••

قلت :

ـ وهل عندكم طلاق ؟

قالت :

ـ اعلنت اسلامى حتى احصل على الطلاق ٠

وبدأت تحكى مصتها والدموع لا تجف فى عينيها ٠

كان أبوها الايطالى الجنسية مهندسا معماريا ويشغل وظيفة كبيرة فى وزارة الأشغال ٠ ولدت فى روما وحضرت وهى طفلة مع والدها واخوها الذى يكبرها وأختها الأصغر منها ٠ بعد سنوات أصبح أخوها مليونيرا من أعمال المقاولات وتزوجت اختها من امريكى وسافرت معه ٠ ولما توفى ابوها وتزوج أخوها وترك المنزل بعد أن تركته اختها ، وجدت نفسها وحدها فقد توفيت والدتها منذ زمن ٠ كان عمرها يوم مات أبوها ١٨ عاما ٠٠ لا تعرف من العربية الا كلمات قليلة وتعيش فى شقة كبيرة وحيدة الا من مربية عجوز ترعاها ٠ وكانت عائلة لبنانية تسكن فى الشقة المجاورة لها ٠ وفى احدى الحفلات التى كانت تقيمها هذه العائلة تعرف عليها شاب لبنانى وتزوجته حتى لا تعيش وحيدة٠

وفى بيت الزوجية وجدت ما لا يتفق مع قيمها الاخلاقية ٠ حفلات يقيمها الزوج ويدعو اليها شخصيات بارزة فى الدولة وبعض رجال الأعمال لعقد صفقات ٠ وكثيرا ما كان يخرج ويتركها مع بعض ضيوفه !

اشتكت اليه مرارا من تصرفات اصدقائه ٠ فى البداية كان لا يعلق على شكواها ٠ ثم انتهى به الأمر ان كان يطلب منها مقابلة بعض أصدقائه اثناء غيابه عن المنزل كى يستطيع ان يعقد معهم صفقات تجارية ٠٠ ورفضت باصرار وضربها أكثر من مرة ٠ وذات يوم هربت من المنزل هائمة على وجهها الى ان استقر بها المقام مع عائلة فقيرة فى حى القلعة ٠ ومكثت هناك ٧ سنوات تحيك الملابس لأهل الحى كى تعيش ٠ وحين أعلنت رغبتها فى الاسلام وجدت من يساعدها من أهل الحى ٠ وباعلان اسلامها حصلت على الطلاق وعادت الى أولادها الذين كانوا فى منزل جدتهم حيث لم تستطع البقاء أكثر من شهر ٠ فأجرت شقة مستقلة ورفض زوجها السابق ان تأخذ أولادها وعاشت معذبة سنوات أخرى حتى سمح لاولادها ان يعيشوا معها كل يوم احد ٠٠ يوم عطلتها حيث كانت تعمل فى احد المحلات التجارية ٠

قالت لها .

ـ أولادك ينتظرونك كى تركبى معهم المركب ٠

قالت :

ـ نركب كلنا معا ٠

وتلقائيا وجدت نفسى مع الأم وولديها والمركب تتهادى بنا فى عرض النيل ٠ ووجدت الأولاد يتعلقون فى رقبتى اقبلهم ويقبلوننى ٠

وخلال رحلة العودة الى القاهرة والتى بدأت مع مغيب الشمس ، ظللت

أرقص معها طول الوقت ٠٠ ضممتها الى صدرى ٠٠ وضمتنى وغبنا أكثر من مرة فى أكثر من قبلة ٠

ومن مرسى الباخرة فى روض الفرج ركبنا الترام حتى باب الحديد ، ومن هناك ركبنا المترو الى مصر الجديدة وكانت ابنتها تمسك بيدى فترة ٠٠ ثم يحتج الابن ويطلب حقه فى ان يمسك يدى ٠٠ حتى أوصلتهم الى بيتهم فى مصر الجديدة ٠

وجدت نفسى أفكر فى هذا الذى حدث اليوم عندما انفردت بنفسى فى حجرتى على السطوح فى حدائق القبة ٠ لم أصل الى شىء محدد سوى اننى فى حاجة الى امرأة ٠٠ولكن ليست أى امرأة ٠٠ ربما كنت فى حاجة الى امرأة من أجل علاقة حسية ٠٠ لكن تجربتى كشاب اكدت لى ان ما اطلبه ليس مجرد علاقة حسية ٠٠ انما اطلب شيئا آخر ٠٠ اطلب الحب ٠ ولكن ما هو الحب ؟ حقيقة لم اكن أعرف ٠٠ ولم أعرفه بعد ذلك الا أخيرا وبعد أكثر من ٢٢ عاما ٠

فى مساء اليوم التالى كنت انتظرها على باب المحل التجارى الذى تعمل به ٠ فوجئت بى فلم نكن على موعد سابق ٠ عرضت عليها ان نذهب الى سينما صيفى فوافقت ٠ وبعد السينما ركبت معها المترو حتى بيتها ٠ وعندما عدت الى منزلى سألت نفسى مرة أخرى ٠٠ ما الذى اريده بالتحديد ؟ يبدو اننى فى حاجة الى علاقة انسانية ٠٠ فى حاجة الى حنان حرمت منه بعد وفاة أمى التى كانت تحبنى حبا يفوق كل حبها لاخوتى ٠ وتذكرت يوم ماتت أمى ٠٠ أصرت على ان تضع رأسها على رجلى وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة ٠٠ كانت أخر كلماتها ٠

ـ خد بالك من مسعد يا مصطفى ٠٠ خليه يكمل دراسته ٠٠ مسعد أمانة فى رقبتك انت يا مصطفى ٠

وعادت بى الذاكرة الى عامين قبل ذلك اليوم ٠ بعد وفاه أمى تحول المنزل الى جحيم ٠ كانت أمى رحمها الله تعرف اننى كنت أعمل بالسياسة وكانت تخاف على وعلى مسعد ، ولكنها كانت تحمينا من أبى ومن اخوتى الكبار ، بموتها فقدت أنا ومسعد الحماية فى منزلنا بشبرا فتركناه الى غرفة فى العباسية ، واتفقت مع مسعد على اقتسام مرتبى حتى يكمل دراسته ويجد وظيفة ٠

ربما كنت فى حاجة الى حنان ؟ ولكن ليس فقط حنان الأم ٠٠ انما حنان المرأة فأنا أريد حقا ولكنى أيضا أملك القدرة على العطاء ٠٠ والعطاء بسخاء ٠ حقا اننى أعطى للنضال الثورى كل ما أملك من حياتى ٠٠ ولكن هل يغنينى هذا عن علاقة خاصة جدا مع امرأة ؟ ٠٠ وهل هذه المرأة هى التى يمكن ان تنشأ معها مثل هذه العلاقة ؟

وظل السؤال بلا جواب حاسم ٠٠ وجدت نفسى فى ذات الوقت

اقابلها يوميا أما فى عملها أو فى أى مكان آخر كلما سنحت لى ظروف العمل السياسى . وذات يوم كنت اقوم بتوصيلها الى منزلها قابلت وليم اسحق ومعه صديقته التى تصادف انها تعرفها . وذهبنا جميعا الى مرسم وليم وكان يطيب لى ان اذهب اليه كلما سنحت لى الفرصة فى جلسات انسانية رائعة .

بعد أيام عرضت على وليم هذا السؤال الذى لا أجد له جوابا .

سألنى : هل تحبها ؟

سألته : وما هو الحب ؟

قال : علاقة انسانية وعاطفية

قلت : وفكرية أيضا

ـ اذا توفر يكون أفضل

ـ اذن فانا لا أحبها

ـ ولكنك لا تستطيع الاستغناء عنها

ـ ربما

ـ بل من المؤكد

ـ لنفرض ذلك

ـ فلتكن علاقة

ـ حسية ؟

ـ وانسانية

ـ احساسى انها لن تكون تلك العلاقة التى انشدها

قال ضاحكا :

ـ وما هى مواصفات هذه العلاقة التى تنشدها ؟

قلت بأسى :

ـ المصيبة لا أعرف مقوماتها

واعدت مناقشة هذه المسالة مع عدد من الزملاء القريبين . بعد المناقشة ازدادت حيرتى . مشكلتك هى العلاقة الحسية .. ولتكن قاصرة على هذا فقط . مشكلتك هى الاستقرار فى بيت وحاجتك الى الحنان . يا اخى تزوجها واخلص فسوف يساعدك ذلك على الاستقرار النفسى حين تحل مشكلتك الحسية ... و . و . و . وتضاعفت حيرتى عشرات المرات وكادت تتحول الى أزمة نفسية .

وذات مساء . . ودون أى حديث سابق .. طلبت منها ان نتزوج . وافقت فورا وسألتنى أمتى ؟ قلت الآن وفورا . وذهبت الى مأذون فى شارع الجيش ومعى صديقان مررت عليهما فى الطريق وجاءا معى كشاهدين على العقد وفى اليوم التالى قمت بايجار غرفة مفروشة حتى اسسنا شقة قامت هى بالنصيب الأعظم فى مصاريفها . ومكثت معها ١١ شهرا بعدها القى القبض على . وخلال تلك الشهور رغم كل العناية التى

كانت توليها لـى ، ورغم حنانهــا وحبها وتفانيها الذى وصــل الـى حـد تكليفهـا ببعض الاعمــال التنظيمية ، فاننى لـم أشـعر يوما بان هــذه هى العلاقــة التـى احتاج اليهــا ٠

حبيبتــى ٠٠

لقـد افضت فى حديثى عن زوجتى الســابقة قبل ان القاها فى أول زيارة بعـد صدور الحكم على **بالاشغال الشــاقة ١٠ سنوات** ٠ ربمـا عى محاولة لتفسير مسلكى الجـاف معهـا فى الزيارة ٠

ما ان رأتنى حتى راحت تبكى بتشنج ٠٠

واحترت ٠٠ هل تبكى حزنا على مظهرى ٠٠ الملابس الممزقــة ٠٠ **والقيــود** فى اقدامى ٠٠ وذقنى الطويلة ! ٠٠ أم تبكى لافتراقنا ؟ قلت لهــا بــلا أى مقــدمات

ـ انا افضل الانفصــال

رفضت بشـدة رغم الحاحى وقالت انهـا تفضل الموت على الانفصال ٠٠ غير أنــه بعـد ٦ **سنوات** لـم نلتـقِ خلالها بزيارتى الا مـرات قليلة وصلنـى **حكم المحكمة فى الواحات بالانفصال** ٠

الغريب اننى لم افكـر فى مسألة انفصالى عنها الا فى الدقائق الاولى من الزيارة ٠ والاغـرب اننى لم أشعر بأى أسف بعـد الزيارة ولا بعـد ان انفصلنا ٠ حتى اننى خشيت ان يكـون موقفى هذا لا انسانيا ٠ على ان الاعجب من هذا وذاك هو اننى بعـد خروجى من السجن **بعـد ١٢ عـاما** ورغم مقابلتى الجـافة لهـا حين جـاءت لمقابلتى فقـد تزوجنا مـرة أخـرى بعـد خروجى بشهرين ثـم انفصلت عنهـا بعـد شهر واحد ولم أرها بعـد ذلـك ابـدا حتى اليــوم ٠ وايضـا لم أشعر بأى أسف رغم انهـا قامت بـكل ما يمكن ان تقـوم بـه امرأة من أجل رجل تحبــه حبـا مريضا ٠

لكن حصيلة الزيارة كانت انسانيــة أحكى لك عنها فى الرســالة المقبلــة ياحبيبتـــى

٣ ابريل ١٩٧٧

بغـداد ٠

الرسالة رقم (١٤)

حبيبتـــى :

رغم شــدة القيــود التي كانت مفروضة علينـــا خلال الزيارة ، فقد كانت الحصيله كبيرة • الأربعة أعــداد الأخيره من «رايــة الشــعب »جريـــدة الحزب والعدد الأخير من « الحقيقه » نسرة الحزب الدخلية • ورســالة من زملائنا فى الخارج، عرفنامن الرسالة اننا سوف ننتقل قريبا الى ليمان طره،وان حملة كبيرة خارج البلاد من أجل تحسين معاملتنـــا من قبل الاحزاب والقوى التقدميــه فى أوربـــا مــد أحــدثت أثرهـــا • ومرأنـــا اعــداد « رايـــة الشـــعب » و « الحقيقـــــة » وكانـــــت لنـــا عليهـا بعض الاعتراضات أرسلناهـــا للمكتب السـياسى للحـــزب • أمـــا عن حالتنـا المعيشـــية فقــد ارتفعت نسبيا حيث أصبح فى مقدرتنا أن نشترى سجاير وحـــلاوة طحينية فقــد وضع اهالينـــا فى كانتين السجن ٢ جنيه باسم كل منــا • وهذا شيء عظيم جــدا ، فقــد أصبح فى وســعنا ان نشــترى علب سردين وسلامون وبعض المأكولات الأخــرى •• كانت سعادتنا كبيــرة وقضينــا الليــل كله تقريبــا فى القراءة والمناقشة والدردشة واحتلت أخبار الزيـــارة جــزءا كبيرا من الوقت • • كان مجدى فهمى يملك القدر الأكبــر من حصيـلة الزيارة •• حكى لنـــا كيف تقــوم والـــدته التى تقــدم بها السن بنشـــاط كبير بين أهالى المسجونين السياسيين • تجمعهم أحيانا كى تذهب بهم الى مصلحة السجون لتقــديم مذكرة بشأن ســوء المعاملة مثــلا • وترسل البرقيات للمسئولين اذا اضربنـــا عن الطعام لتطلب النــــابة للتحقيق • وحــدث حين وصل اليهـــا خطاب مجدى الخاص باضرابنا الأخير • • رفضت ان تســلمه الى أحــد الزملاء الا بعــد ان تأكــدت من اخى مسعد بأنه يمكن الاطمئنــــان اليه • ومجدى فهمى أصغر أخوته وهو أقربهم الى أمهم •• لا لأنه آخـــر العنقود • • ولكن لأنه « مجنون » وانســان كمــا تقول أمه دائما •• وتكمل •• خصوصا بعــد ما بقى سياسى •• وكانت تخشى ان تقــول « شــيوعى » خوفا عليه ، حتى بعــد القبض عليه لم تقلها كى لا تــكون دليـــلا ضـــده فى المحاكمــة ، ولكن بعــد الحكم عليه لم يعــد هنـــاك ما يمنعها من ذلك ، وزوجـــات أخــوة مجدى وأولادهم يحبونـــه كثيرا • عند كل زيارة تحــدث خناقــة بينهم • من الذى يذهب للزيـــارة ؟

الأم تمسكت بحقها فى الزيارة باستمرار ٠٠ لكنهم اعتبروا ان هذا انانية ٠ واتفقوا على ان يقوم مجدى بحل المشكلة وكان الحل هو ان تأتى أمه فى كل زيارة يصحبها من تقع عليه القرعة بين الباقين الذين لم يزورونه بعد ٠ وفى الزيارة الأخيرة وقعت القرعة على « منى » ابنة أخيه والتى كان مجدى فى شوق شديد لرؤيتها ٠ ٠ فقد جاءته فى « الحلم » قبل الزيارة الأخيرة بأيام !

– واخبار **الجو** أيه يا وليم ؟

لم يستطع ان يخفى رنة الاسى فى صوته ٠٠ وقال بسخرية :

– جو أيه اللى أنت جاى تقول عليه

ويكمل مجدى ضاحكا ٠٠

– وهو « الجو » يعرف برضه معنى الحب ايه ؟

يقول وليم وكل تعبيرات وجهه تنطق بالألم :

– حب أيه ٠٠ و « جو » أيه ٠٠ سيبونا من الحكاية دى ٠

وليم اسحق فنان عبقرى ٠٠ وانسان يفيض رقة وعذوبة ٠٠ قدرته على العطاء « هائلة » كانت له تجربة مع فتاة كنت اخشى عليه منها ٠ كان يحبها حبا جنونيا ٠٠ رسمها فى أكثر من **٢٠ لوحة** ، وكانت كلما تدللت عليه كلما ازداد تعلقا بها ٠ كان يدرك أنها لا تحبه ولكنها لاتتركه لحظة واحدة حين يكون فى مرسمه ٠٠

ذات يوم وكنت فى مرسم وليم ٠٠ لاحظ اننى وضعت عددا من اللوحات التى رسمها لصديقته (٠٠٠) ورحت اتأمل فيها قال :

– عاوز تعرف أيه ؟

– عاوز اعرف ما تقوله فرشاتك ٠٠ ولا يقوله لسانك

– وهل عرفت ؟

– لم اعرف ٠٠ وانما احس

– وماذا تحس ؟

– لم أصل بعد الى مرحلة نقل الاحساس الى كلام ٠

ويضحك بصوت عال محاولا اخفاء المه ٠

– أنت يا درش ٠٠ ذكى جدا ٠٠ وغويط خالص ٠

كنت فى خوف دائم على وليم من أى حديث مباشر عن صديقته ٠ انه يعرف ان العلاقة من جانبه هو فقط ٠٠ ولكنه كان يهرب دائما من هذه الحقيقة مكتفيا بالجو الانسانى الذى يشعر به عند وجودها معه فى المرسم قال لى فجأة ٠٠

– هنية قالت لك حاجة

فوجئت بالسؤال ٠ ما دفعنى الى محاولة معرفة شعور وليم نحوها من خلال مقارنة لوحاتها المختلفة ، هو انها قالت لى بوضوح انها لاتحبه.

حيث لاتجد فيه الاخر الذى تريده وهو بالنسبة لها فنان كبير وانسان عظيم يملأ جانبا من حياتها !

قلت

ـ راح تقول أيه بعنى ·· دى معجبة جدا بيك يا وليم

ادركت انى اخطأت التعبير · · وحاولت تصحيح الخطأ ·· لكنه أسرع يقول والألم يكاد يمزقه ·

ـ ما انا عارف ·· مجرد اعجاب ··

وساد الصمت دقائق ·· ثم جاءت صديقته (···) ·· ورأيت تعبيرات أخرى على وجه وليم ·· تعبيرات طفل عثر على لعبته التى ضاعت منه ·

كان من المستحيل ان يستمر الحديث مع وليم عن صديقته ·· لكننا فهمنا كل شيء · وتأكد فهمنا بعد ذلك ·· بعد القبض على ولم دخلت الفتاة فى علاقة أخرى مع آخر كنت أعرفه ولا ارتاح اليه سياسيا واضع أمامه علامة استفهام ·

وسادت فترة صمت رحنا بعدها فى نوم عميق حتى استيقظنا على صوت « **البروجى** » وزقزقة العصافير الواقفه على الاشجار المحيطة بمبنى « **التأديب** » ··

عندما فتح السجان الزنزانة قال :

ـ حضروا ملابسكم ·· حضرة الضابط جاى ·

ـ ليه خير ·· فيه أيه ؟

ـ والله ما انا عارف ··

عرفنا أننا مرحلون الى ليمان طره ·

قال الضابط (···) وهو يبتسم

ـ والله راح توحشونا يا جماعة ·· بعنى هية طره احسن من هنا ·

وتبادل الضابط معنا حديثا وديا · شكرناه على حسن معاملته وسعة أفقه · وتمنى الرجل ان نلتقى به فى ظروف أفضل ·

وحتى مامور السجن الذى استقبلنا عند حضورنا بطريقة سيئة اعتذر عن ذلك [illegible] الاوامر من الجهات **العليا** · وتأثر الرجل كثيرا حين ملنا له [illegible] موقفه تماما · [illegible] من جانبنا نعتذر أيضا اذا كنا قد سببنا له أى ازعاج فقد كان من الضرورى ان يكون لنا موقف منذ البداية ولكنه ليس موقفا ضده ·

وكانت مفاجاة أن وجدنا بعض الاهالى على **باب الليمان** فى انتظارنا·· وبدأت المساومات مع الضابط رئيس الحرس حول مقابلتهم والجلوس معهم قليلا خلال الطريق الى **ليمان طره** · كان الضابط متأثرا الى حد كبير يريد ان يحقق لنا مطلبنا ·· لكنه يخشى أن يراه أحد من **ضباط المباحث** ·· قال بود ·

– طبب سيبونى اتصرف ..

وطلب من الاهالى ان يسبقونا وينتظروا فى منتصف الطريق من الليمان حتى محطه السكة الحديد .. وهو طريق طويل خال من المارة تماما .

وسارت بنا عربة السجن التى تقلنا وعندما مرت بالاهالى وسبقتهم بحوالى ٢٠٠ متر طلب من السائق ان يتوقف .

قال للسائق ..

– أنا نسيت أوراق فى ظرف على مكتب المأمور .. خد العربة وروح هاتها بسرعة .. والحرس ينتظر هنا مع المساجين .

وحتى عاد السائق وكان قد مضى وقتنا لا يقل عن نصف ساعة بحثا عن الأوراق الوهمية كنا نجلس مع الاهالى على قارعة الطريق فى زيارة خاصة أكلنا خلالها لحما ودجاجا وأطعمه أخرى دسمه .

وقبل ان نسير بنا السيارة مرة أخرى قال الضابط سود

– ان شاء الله ممكن نعمل لكم زيارة ثانية عند ليمان طره

وخرجت دعوات كثيرة من الأمهات ..

– ربنا يحميك لشبابك يا ابنى أنت واللى زيك

وعند ليمان طره تحقق ما وعد به الضابط .. وهكذا زرنا أهلنا **٣ مرات فى أقل من ٢٤ ساعة** حصلنا خلالها على كميات من الأكل والنقود والاخبار .

وفى ليمان طره قابلنا زملاءنا الخمسة .. جمعونا فى زنزانة واحدة . مع **الحراسة المشددة** .

أحكى لك قصة الليلة الأولى فى ليمان طره فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٥ ابريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٥)

حبيبتـــى .

لم ننـم طـول ليلة وصولنا الى ليمـان طـره ٠٠ فبعـد أكثـر من شهرين يلتقى كل الزملاء المحكوم عليهم بالأشغال الشـاقة وفى زنزانة واحـــدة ٠ وكـان جمعنا فى زنزانة واحدة امتيـاز كبير لا يحصل عليه الا الذين تفرض عليهم الحراســة المشددة والخطرين الذين يجب ان يعزلوا عن بقية المساجين ، فالزنزانــة فى ليمان طـره تسع ما بين ٢٥ و ٣٠ مسجونا ٠ وبينما تطـفأ الأنوار فى الزنازين فى ساعة محددة ، فان زنزانة « الخطـرين » لا تطفـأ أنوارها طـول الليل ٠٠ أيضـا كاجـراء من اجراءات الحراسة المشددة ٠٠ وكـان هذا ايضـا امتيـاز اعطانا فرصــة اعـادة قراءة المطبوعات التى حصلنا عليهـا فى ليمـان أبو زعبل والتى حصل عليهـا زملاءنا فى ليمان طـره قبل حضورنا ٠ كمـا ناقشنا وضعنا الجديد فى الليمـان على ضوء خبـرة زملاءنا الذين سبقونا اليــه منذ شهور ٠ الفـرق بين ليمـان طـره وليمان أبو زعبل كالفرق بين حى الزمالك وحى بولاق ٠ الأول يضم « **وجهـاء** » « المجـرمين » والثانى يضم **حثالتهم** فضـــلا عن ذوى السوابـــق الكثيرة ٠ **والفقراء** الموجودون بليمان طـره هو فقط لخدمة هؤلاء « الوجهاء » أو الذين ينوبون عنهم من تجار المخدرات و « جرائم الثأر » وغيرها من تلك الجرائم التى تتفق مرتكبوهـا مع المسئولين على أن يحل محلهم « فرافير » وكله بثمنه ٠ هؤلاء « الوجهـاء » بحكم أوضاعهم الطبقية وما يملكون من مـال ، يملكون ايضا « السلطة » ٠ فهم لا يخرجون للعمل فى الجبل ، واذا خرج بعضهم لسبب أو آخـر ففـى وسعهم ان يستأجروا من الفقراء من يعمل بـدلا منهم ٠ والزنازين لا تغلق عليهم طول النهار ولهم الحق فى التجول فى كـل انحاء السجن ، ويأتيهم من بيوتهم أو من « حروبى » أفخـر أنـواع المأكولات والمشروبات ٠ حتـى الممنوعـة ذاتها ٠ أمـا زياراتهم فهى تتـم دائمـا فى مستشفى السجن حيث يدخل الزوار [illegible] حجراتهم بالمستشفى ويجلسون معهم بالساعات تحت سـمع وبصر ضباط السجن مع ان مـدة الزيارة « الخاصة » لاتزيد عن نصف ساعة ٠

و « الجرائم » السياسية يعامل أصحابها حسب نـوع « الجريمـة » ٠٠ **كريم ثابت « المستشار الصحفى للملك فـاروق »** ٠ مثلا كـان يعيش فـى الليمـان « **كباشـا** » اذا سـار يحيط به عدد من الضباط ٠٠ ويضرب لـه الجنود « **تعظيم سـلام** » عندما يمر بهم ٠٠ ولا يمنع هذا ما يعرفونه عـن الدور الحقيقى الذى كـان يقـوم به كريم ثابت خارج السجن ٠

ويمكن لبعض المسجونين العاديين « الممراء » ان يحصلوا على بعض الامتيازات التى يحصل عليها أصحاب المال اذا كان لهم ضابط « بلديات » هدف اتصالنا بالمسجونين ادن هو تنفيذ اللائحة .

ووسيلة اتصالنا بهم هى **الجريدة** . لكن هذه الجريدة تحتاج الى انصار .. يراسلونها .. ويوزعونها فى **العنابر الأربعة بادوارها الستة عشر دورا** .

فكيف تختارهم فى ظروف هذه الحراسة المشددة علينا ؟ .. نحن لا نحتاج فى البداية سوى لأربعة أنصار .. لكل **عنبر** نصير واحد . لكن اختيار الأربعة يحتاج الى حذر شديد ففى الليمان **جواسيس** زملاء للاداره وآخرون للمباحث العامه . وهؤلاء يمكن معرفتهم بسهولة .. حيث سيكلمون بالاتصال بنا لمعرفه « الاخبار » و « الاحوال » .. كما حدث مع بعض زملائنا الخمسة الذين سبقونا الى هذا الليمان .. وبالطبع لم يعرفوا شيئا .

كانت المشكلة الأساسية اذن أمام صدور « **الجريدة** » هى الاتصال بالساجين . فكيف نتغلب على هذه المشكلة ؟ الزنزانه التى نعيش فيها فى الدور الثانى **فى عنبر ٤** نفتح علينا فى الصباح بعد خروج كل الساجين الى العمل فى الجبل كى نذهب الى دورة المياة التى **يخلونها** تماما حتى من المساجين الذين يقومون بتنظيفها . ثم نعود الى الزنزانة ، وتتكرر هذه العملية بعد الظهر ويغلق علينا باب الزنزانة حتى الصباح . حتى امكانية الحديث مع مسجون من خلال « **ثقب** » الزنزانة معدومة تماما ، فالحارس يقف على بابها لا يفارقها ليمنع أى مسجون من الاقتراب منها .

وكان قرارنا فى تلك الليلة هو تكليف وليم بعمل ماكيت الجريدة . وتكليف الزميل الذى يذهب يوميا مع الحارس لاحضار الغداء والعشاء من المطبخ ان يستفيد من هذه الامكانية الوحيدة ومحاولة خلق صلة صداقة عادية مع المسجونين الذين يعملون فى المطبخ أو الذين يترددون عليه لاختيار من يصلح مندوبا للجريدة .

وبعد حوالى شهر صدر العدد الاول من « **الطريق** » شعارها **حمامة سلام** وقد مزقت **القيود الحديدية** برجليها وهدفها « تطبيق لائحة المسجونين » .

كيف استجاب المساجين للعدد الأول من « **الطريق** » ؟

وماذا كان موقف الادارة ؟

أحكى لك ذلك فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٨ ابريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٦)

حبيتـــى :

كان صدور العدد الأول من جريدة « **الطريق** » يعنى بالنسبة لنـا علاقـة وثيقـة بالساجين ، وعلاقة متوترة بالادارة • كان الليمان كله من رجـال الادارة والساجبن يعرفون اننـا وراء اصدار الجريدة ، لكن ينقصهم الدليل• وبقـدر ما كان استقبال المسجونين للجريدة رائعـا بقـدر ما كـان رد فعل الادارة عنيفا خاصة وأنها لـم تعرف بصدور الجريدة الا بعد العـدد **السادس** ، أى بعـد شهرين ونصف فقـد كـان تصـدر كل ١٥ **يومـا** • وقبل ان يقع العدد السادس فى ايـدى رجال الادارة كانوا حائرين فى أمـر المسجونين الذين بـدأو فجأة يطالبون بحقوقهم ويهددون **بالاضراب عن الطعام** ويرسلون الى النيـابه شكاواهم •• الخ • اذكـر ان مأمور السجن جـاءنا يومـا على رأس حملة من السجانة لتفتيش زنزانتنـا بعـد منتصف الليـل وهذا لا يحدث أبـدا الا فى حـالات خاصة فالمفـروض ان الزنزانة بعد التمام لا تفتح الا بأمر من **النيابة العامة أو بأمـر مدير مصلحة السجون** • فـى تلك الليلة كنت أول من استيقظ على صوت مفتاح الزنزانة •• ثـم صوت عال ••

ـ انتبـاه ••

و« **انتباه** » نعنـى أن يقف المسجونون اسـتعدادا للفتيش •

ما كدنا نقف حتى كانت الغرفة قد امتلأت بالسجانة والضباط **للتفتيش**•• لم يجدوا « ممنوعات » والممنوعات تبدأ من الشاى الناشف والأمواس حتى **الورق** والأقـلام والكتب والمنشورات ، وبالطبع لم يكونوا يبحثون الا عن دليـل يثبت علاقتنـا بالجريدة • وكنـا على استعداد لهذه الحملة التى كنا نتوقعها حيث عرفنا أن مأمور السجن (•••) بدهائه استطاع أن يحصل على نسخة من الجريدة من أحـد المسجونين الذى كان يثق بـه • والواقع أن هذا المسجون كـان لـه العذر حين وثق بالمأمور الذى استطاع بدهائه أن يكسب لبس فقط ثقـة عدد كبير من المسجونين ولكن ايضـا عدد من زملائنـا الذين خـدعوا فيـه • فقـد كـان الرجل يطمع فى أن يكـون هو مديـرا لليمان وكان هذا المنصب خاليا • وسعى الرجل الى كسب ثقـة المسجونين والسجانة والضباط بمختلف الطـرق حتى شـاع بين الجميع بأنه سـوف يرقى الى رتبة لـواء ويتولى منصب المدير • غير أنه فوجىء كما فوجىء الجميع بتعيين مدير جديد لليمـان وكـان هذا المدير مكروها من الضباط لأن عسكريته « **ناشفة** » **ومكروها**

من المساجين الذين يعرفونه ماسيا عليهم منذ كان ضابطا صغيرا ولم ييأس المأمور (•••) بعد قدوم المدير الجديد وراح يعمل على احراجه أمام المسئولين فى مصلحة السجون حتى يثبت لهم أنه غير كفء لهذا المنصب •

ومع ان العدد السادس من مجلة « الطريق » لم يكن هو العدد الوحيد الذى وصله فقد وصله عن طريق نفس المسجون العدد الخامس • ولما لم يحدث شيئا خلال الخمسة عشر يوما بين العددين ، اطمأن اليه المسجون، بل ان بعض زملائى اطمأنوا اليه حتى انهم حين عرفوا بخبر وصول العدد السادس له لم يتوقعوا هذه **الحملة التفتيشية** وكانت هذه النقطة محل نقاشنا لمدة ساعات قبل الحملة وأنتهت بتوقع حدوثها فى نفس الليلة لاحراج المدير الجديد الذى لم يكن قد مضى على قدومه الا عشرة أيام ، وبالتالى اراد أن يستغل الفرصة •

قال المأمور وهو يدخل الزنزانة على رأس الحملة وقد ملأت وجهه ابتسامة خبيثة :

ـ لا مؤاخذة •• يا جماعة •• أعمل أيه •• أوامر المدير •

ـ خير ان شاء الله •• أيه الحكاية ؟

ـ المدير الجديد ياسيدى •• **ضبط المجلة** •• كان جتكوا تاخذوا بالكو

قال أحد الزملاء بسخرية :

ـ مجلة آخر ساعة •

ـ آخر ساعة مين يا راجل •• دى مجلة الحكومة •• مجلة تانية •• شوف ومد الرجل يده الى •• لاحظت ان كلمة « **العدد السادس** » قد مسحت بعناية وكتب « **العدد الأول** » •

ـ ده العدد الأول •• لحقتوا تضبطوها ؟

وأدرك الرجل أن أمره قد انفضح أمامنا •• وأن تظاهرنا امامه بالثقة فيه طوال الفترة السابقة الى حد أنه خدع بذلك قد انتهى • فقال غاضبا وموجها حديثه الى الضباط والجنود وكانوا قد انتهوا من التفتيش

ـ واقفين كده ليه •• فتش كويس

قال أحد الضباط :

ـ فتشنا يا أفندم •• مفيش حاجة ••

قال بغضب أكثر :

ـ فتش فى **الحيطان** •• **فى الأرض** •• فى كل حته

ثم قال لأحد الجنود :

ـ روح هات **شاكوش** ••

قلت بسخرية •• بينما الجنود والضباط فى دهشة من هذا الطلب الغريب

ـ وليه بقى الشاكوش ؟

ارتفعت نبرات صوته الغاضب

ـ أنت عارف كويس ٠٠ بلاش استهبال

قلت بحـــدة :

ـ حضرة المأمور ٠٠ قم بمهمتك حسب القانون ٠٠ ولا تـزد ٠

وكـان السجان قـد جـاء بالشاكوش ٠٠ أخذه المأمور وراح **يـدق بــه** على جميع جدران **الزنزانة** وعلى **أرضيتها** ٠٠ **لكن** رجع كل الدقات كـــانت **صماء** ٠ كان يبحث عن **مخبـأ** فى الأرض أو فى الحائط ولكن دون جـدوى٠ كان المخبأ على غيـر العادة فى **سقف الزنزانة** ٠ لا أحـد يتصور عمل مخبـأ فى سقف عـال ٠٠ فكيف الوصول اليـه ؟ لحفـر المخبأ ، ثـم لاستخدامه بعـد ذلك يوميـا ٠ لكننـا لمـده **شهر ونصف** كان شغلنا الشاغل هو عمـل هذا المخبأ ٠ حفرناه بموس حلاقة ، وكـان الزميل الذى يقوم بالحفر يحمله زميل آخـر ويحمل الزميلان زميل ثالث ٠ وكان العمل يبدأ يوميا بعد **منتصف الليل** حتى الفجـر ٠

ولمـا لـم يعثـر المأمور على ضالته ، أراد بعـد افتضاح أمـره أمامنـا أن لا يقطع حبل « الود » ٠ قال ٠٠

ـ يا جماعة أنا متأسف ٠٠ دى أوامر المديـر ٠٠ تصوروا صحانى من النـوم وأمـرنى بتفتيشكم بعـد ما جاب موافقة مديـر مصلحة السجون ٠ قال ٠

ـ واسمعنى أحنـا بالـذات

ـ متفهمش ٠٠ دى المجلة حتى ما فيهاش ولا كلمة سياسية ومـد يـده يتنـاولنى الجريدة

ـ حتى خـد شوف ٠٠ اقـرأ

تظاهرت بتصفحها سريعا وقلت :

ـ طيب ما تصرفوا لهم **ملابس الصيف**

ـ هو انا لحقت ـ المدير الجديد جه من هنـا وكل حاجة ومفتش هنـا

ـ وقفت لـه

ـ مستنى أوامـر ٠ ٠

ثـم استطرد وابتسـامة لئيمـة تملأ وجهـه ٠

ـ والا ايـه ؟

قلت بابتسامة لهـا معناها

ـ لك حق ٠٠ وأنت الاحق

وفهم الرجل ما أقصده ٠٠ أنـه أحق من المديـر الجـديد بهـذا المنصب ٠ أردت أن اطمئنه فهو وأن افتضح أمـره بالنسبة لنـا ٠٠ يمكن الاسـتفادة من تناقضه مع المديـر الجديد المكروه من الجميع ، بشكل أكثـر ولمصلحـة كل المسجونين ٠٠

وفى صباح اليوم التـالى بعث المأمور فى طلبى ودارت مناقشة صريحـة وأن بدأت بالرمز ٠ قال وابتسامته المصنوعة تملأ وجهه وبعد ان اخلى مكتبه واضاء **اللمبـة الحمـراء**

ـ أنا متأسف قوى يا أستاذ ٠٠ أنت عارف دى أوامر

قلت بسخرية

ـ أمرك يا سيدى !

قال وقد زالت ابتسامته ٠

ـ أحسن نتكلم بصراحة ٠

ـ أحسن ٠٠ والمصلحة مشتركة ٠٠ على الاقل لفترة

ضحك الرجل وقال

ـ وليه لفترة ؟

ـ لغاية ما تتعين أنت مدير

ضحك مرة أخرى وقال

ـ ابدا ٠٠ ابدا ٠٠ هوه يعنى المنصب راح يغيرنى

ـ يعنى ٠٠

ـ يعنى أيه ؟

ضحكت وقلت

ـ الهدف راح يتغير ٠٠

قال بخبث

ـ وبالتالى التاكتيك

ـ أهو كده ٠٠

ـ يعنى نتفق على التاكتيك

ـ تمام ٠٠

ـ وفيك من يكتم السر

ـ فى عاشر بير ٠٠

ـ وتعرف كام سر لغاية دلوقت ؟

ـ سرين ٠٠ واحد مؤكد ٠٠ والثانى استنتاج حتى اعرف منك ٠

ـ أيه هوه المؤكد ؟

ـ حكاية المجلة

ـ مضبوط ٠ ٠ والاستنتاج ؟

ـ مترتب على الأول

ضحك الرجل بصوت عال

ـ برافو انا اللى طلبت من المصلحة اذن بتفتيشكم ٠

قلت بابتسامة

ـ معلهش ٠٠ طلعت «آوت» المرة دى

ـ يبقى نتفق ٠٠

ـ نتفق ٠٠ على أيه ؟

ـ ما أنت فاهم ٠٠

ـ شيلنى واشيلك ؟

ـ تعجبنـــى ٠
ـ والضمان ؟
ـ طلباتـــــك ؟
ـ كله بوقتــه ٠
ـ يبقى اتفقنــا ٠

السياسة كمــا يقولون فن ٠ والشاطر هو الذى يلعب على التناقضات فى صفوف الأعداء ٠ هذا المأمور داهيــة ذكى ، ناعم ، لــه بعض القدرات الثقافية وهو يسخر كل قدراته فى معركته ضــد المديــر الذى « اغتصب » حقه فــى منصب المديــر ٠ والمدير يتميز بالغبــاء الشديد مكــروه من الضباط والساجين والجنود ولا يدرى أن المأمور يعبىء الليمان كلــه ضــده لاحراجه أمام رؤسائه٠ ولقــد خلقت هذه المباراة ظــروفا موضوعية مواتية لاستمرار صدور الجريدة ولتحقيق أكبــر قــدر من مطالب المسجونين ، فضلاً عن امكانية أكبــر لتحركنا بين المساجين والاتصال بهم وفى المقابــل لعب هذا المأمور الداهيــة لعبتــــه بذكاء ضد المدير الى حــــد جعله مهزلة أمــام كل المسجونين ٠

أحكى لك واحدة من ألعابه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتــى ٠

١١ ابريل ١٩٧٧
بغــداد

الرسالة رقم (١٧)

حبيبتـــى

صـدر العـدد السابع من مجلة الطريق فى وقت كان فيــه الليمان فى قمة الغليــان • المأمور الداهية لـم يعـد يتصدى لحـل أى مشكلة للمسجونين كما كان بفعل قبل قدوم المدير الجديد،وكان ضباط السجن معه بشكل أو بآخر •

وبالطبع استطاع المأمور فى ظل هذا الجـو أن يورط المدير فى عــــدد مـن الأعمال الاستفزازية ضـد جميع المساجين حتى أتى عمـلا استفزازيا ضدنـا وتحديناه باعلان **الاضراب عن الطعام الذى استمر ١٨ يوما** • كنـا نخـرج الى الجبل يوميـا عـدا زميلنـا **وليم اسحق** حيث تعفيه اللائحة **من الأعمال الشاقة** اذ رأى الطبيب ان صحته لا تحتملها • وكان خروجنا الى الجبـل بناء على طلبنـا وأن كنا لا نعمل شيئا حسب اتفاقنا مع المأمور • وفى يوم من الأيام كان وليم يسير فى حوش الليمان مع حارس ولمـا رآه المديـر أمـــر الحارس ان يخرج به الى الجبل مخالفـا بذلك اللائحة ،-وحين اعترض وليم على ذلك سبه وانهـال عليه ضربا ، ثـم حمله عدد من السجانة الى الجبل •

ولم تمض دقائق حتى رأينا المدير على رأس عـدد من الجنود وقد أحاطوا بنـا من كل جانب تحت سفح الجبـل ومعه المأمور وعلى وجهــه ابتسامته الصفراء المعهوده • صـاح المدير باعلى صوته :

ـ يا الله يا مذنب أنت وهوه •• كله يشتغل

لـم يتحرك أحـد منـا من مكانه •

صاح مـرة ثانيـة وبصوت أعلى ، والمأمور الى جانبه لا يتكلم وتمـــلأ وجهـه ابتسـامته اللسيـــاء • • •

ـ بعـد دقيقة واحـدة عاوز كل منكم يروح يشيل الحجارة •• والا راح استخدم القـــوة •

تقدمت اليه وقلت بهـدوء •

ـ أحسن استعمل القـوة

صـاح بغضب

ـ أنت بتتحـدانى •

قلت بهدوء أكثـــر

ـ لا اتحداك وانمـا **اللائحـة** هى التى تتحداك •

جن جنون الرجل •• وابتسامة المأمور تتسع أكثـر

ـ اللائحــة ٠٠ اللائحة ٠٠ كل المساجين بتقول اللائحة ٠٠ مالها اللائحه
ـ اللائحة تمنعك من اخراج زميلنـــا بالقوة والاعتداء عليه ٠
ـ أنا ما اعرفش حاجة اسمها لائحــة
ـ لكن احنـــا نعرفها ونطالب بتطبيقها ! ٠

وازداد جنون الرجل فسب اللائحة اللى مجنناه وواضعى اللائحة الذين لا يفهمون ، وقــال ٠

ـ انا أوامــرى هى اللائحــة
ـ ونحن نتمسك باللائحه ٠٠ ونعلن **اضرابنا عن الطعام** ٠

تبك الرجل وازدادت ابنسامة المأمور اتساعا ٠ وهز الضباط رؤوســهم يشجعوننا وجرى عدد من المساجين الى زملائهم المنتشرين تحت سفح الجبل يبلغونهم الخبــر ٠

وبعــد دقائق دــرت فى صمت ٠ انتحى المأمور بالمدير وهمس فى اذنــــه ببعض كلمــات قال المأمور بعدها

ـ سعادة المديــر كلفنى انى اتفاهم معاكم
ـ نحن نفضل التفاهم مع النيــابة

صاح المديــر بغضب

ـ ودخلها أيــه النيابــة ؟

قلت بهدوء

ـ واجبهـــا التحقيق فى أسباب اضرابنا عن الطعام

قال المأمور بلهجتــه التى نعرفها

ـ يا جماعة بلاش حكاية الاضراب دى ٠ ٠ وكل شىء بالتفاهم
ـ لن نتفاهم الا مع النيــابة

وبخبث شديد وجه المأمور كلامه الى المديــر

ـ يا سيادة المدير ٠٠ اتفضل سعادتك وانا راح اتكلم معاهم ٠

لوى المديــر لجام حصانه ليعود الى الليمــان ونظرات الضباط والجنود والمساجين الســاخرة تلاحقــه ٠

همس المأمور فى اذنى

ـ واضح انكو مصرين على الاضراب
ـ أيــه رأيك أنت ؟ مش فرصة برضــه ؟
ـ وبعدين ويـــاك ؟
ـ يعنى علشان نأكــد لك ان احنا فاهمين بعض ٠

كان موعــد الغذاء قــد حل وأصوات تنــادى علينا بالذهاب « **بالقروانات** » لاستلام العدس أو الفول الذى كنـــا نطلق عليه « **السوس الفول** » بــدلا مــن « **الفــول السوس** »

التفت المأمور الى أحـد الحراس وقال

ـ روح هات لهم الغداء ٠٠ ثم التفت الى وقال

ـ والا أبـــه ؟

قلت

ـ آه طبعـا هـات الغدا أمـال أيـه ؟

امتقع وجه المأمور وتعبيرات وجهه تتساءل ، هل عدلنـا عن الاضراب ، وقال

ـ آه طبعـا مفيش داعي للاضراب

ـ احنـا مضربين

صاح المأمور بغضب

ـ أمال عـاوز الغدا ليـه ؟

ـ علشان يا حضرة المأمور تشوف بنفسك ان الغدا جالنا واحنا رفضنـاه وتثبت ده **في المحضر** ٠٠ والا أيـه ٠ ؟

ـ لك حق ٠٠ روح يا سجان هات الغدا بتاعهم ووديه الليمان فى مكتبى٠٠ وانتو بقى تتفضلوا تروحوا الليمان وبكـره انشاء الله نعمل المحضر ٠

ـ بكره زى دلوقت ٠٠ والا أبـه يا حضرة المأمور ؟

قال بلهجـة تأكيـد

ـ طبعا ٠ طبعا ٠٠ انا فاهم اللائحـة ٠

تنص اللائحة حين يضرب المسجون عن الطعام يعمل محضر بعد **٢٤ ساعة** من ساعة الاضراب ٠ لكن ادارة السجن عـادة لا تنفذ هذا النص الا بعـد مرور ٤ أيـام على الاقل ٠ وخلال هذه الأيام تستخدم الادارة كل وسـائل **الارهاب** حتى يعدل المسجون عن **الاضراب** وبالتـالى لا يثبت فـى أوراق السجن ان اضرابا عن الطعام قـد حدث ٠ وبالطبع كنـا متأكدين ان المأمور سوف يفتح لنـا المحضر فى الموعـد الذى تنص عليه اللائحة بعـد ٢٤ ساعة٠ هكذا بـدأنا الاضراب عن الطعام وسط عطف المسجونين وعدد كبير من الضباط والسجانة ، ومع تأكدنا بأن المأمور سوف يبلغ ادارة السجون بخبر الاضراب بأقصى سرعة امعانا فى احراج المدير ٠ ونحن فى الطريق الى الليمـان اقترب منى مسجون ـ **من هيئة تحرير الطريق** ٠ وهمس :

ـ ايه رأيك نصدر عدد خاص من الطريق ؟

ـ موافق وبأقصى سرعة

ـ وسنرسل الخبر الى الاهالى وكل الجهات المسئولة

ـ همتك أنت وزملائك ٠

ـ رقابنا ٠٠ انتو بتضحوا وتجوعوا علشاننا احنا الغلابة ٠

بعـد **٢٤ ساعة** بالضبط كنت فى مكتب المأمور لعمـل **المحضر** ٠ فوجئت بان المحضر مكتوب بطريقة قانونية تضع المدير أمـام مسئولية الاعتـداء على وليم وخرق اللائحة ٠ كذلك سب اللائحة والذين وضعوها ٠

بعد أن قرأت المحضر قال المأمور :

ـ أيه رأيك ٠٠ انا ملت ابتدى أكتب المحضر ٠ ٠ أظن تمـام كـده ؟

قلت مبتسـما ٠٠

ـ عظيم جـدا ٠٠ بس شـوية اضافات كـــده

ـ قـوى قوى ٠٠ قـول ٠

ـ يعنى مطالبنا بتحسين المعاملة بوصفنا **مسجونين سياسيين** ، وصرف استحقاقات المسجونين من **الغذاء والملابس** وغيره

وقام المأمور باثبـات هذه الطلبـات ٠

عـدت الى العنبـر كى نحمـل متاعنـا « **البرش والبطانية** » ونذهب الى « **التأديب** » ٠٠ زنازين انفـرادية يسجن فيهـا **المخالف للنظام والمضرب عن الطعام** ٠ كان المسجونون فى العنابر الأخرى والمنتشرين في الحوش ومكاتب الادارة والورش يلوحون بأيديهم **تحيـة** لنـا وتشجيعا ٠ ومن استطاع منهم أن يقترب منـا كـان يعرض خدماته ٠ وعلى باب التأديب كان هنـاك مـن ينتظرنا كى يعطينا العدد الخاص من مجلة « الطريق » ٠ كان هـذا العـدد هو الثالث الذى تحرره اقلام المسجونين بكامله وبغير أى مساعده منـا كانت افتتاحية العـدد الخاص عن حادث الاعتداء على زميلنـا وليـم ثـم موقفنا من المديـر تحت سفح الجبل وعن اضرابنا الذى يستهـدف تحسين معاملة المسجونين جميعـا وصرف الملابس والاغذيـة التـى يستحقونها ٠ وطالبت الافتتاحية فى الختـام بمساندتنا والوقوف الى جانبنـا وذلك بتوصية أهاليهم بارسال برقيات احتجاج الى المسئولين والى النيـابة لسرعـة حضورها للتحقيق ٠

أصعب الاوقات التى يواجهها **المضرب عن الطعام** هى الايام الثلاثة الأولى بعدها تكون المعـدة قـد تعودت على عـدم استقبال الطعام ، ثـم يبـدأ التعب فى هـد الجسـم ٠ وعـادة يتعجل المضربون عن الطعام حضور النيابة للتحقيق فى مطالبهم ومن المفروض ان تأتى فى موعـد لا يزيـد عن ٤٨ **ساعة** منذ بـداية الاضراب ٠ ومع أن مأمـور السجن أرسل التحقيق الادارى الـى المسئولين فى مصلحة السجون التى عليهـا ان ترسل فى طلب النيـابة فقد مضى **اليـوم العاشر** ولم تأت ٠ والعدول عن الاضراب قبل أن تأتى النيـابة للتحقيق يعتبـر هزيمة لنـا ٠

كان عـدم حضـور النيابة شـكل من أشـكال الضغط التى بـدأت **الحكومة** تمارسـها علينـا فقـد انهالت عليهـا **البرقيـات** من عـدد كبيـر من **الهيئات والمنظمات والأحـزاب التقدميـة العالميـة** فضـلا عـن **المظاهـرات اليومية** التى كـان الأهالـى يقومون بهـا عنـد **رئاسة الجمهوريـة ووزارة الداخلية ومصلحة السجون** ٠ وأمـام هـذا الضغط المحلـى والعـالمى رفضت الحكومة أن تبـلغ النيابـة حتى لا يثبت فى أوراق رسـمية مـا يـدل على اضرابنـا بسـبب الاعتداء علينـا ٠ أخـذت المعركـة طابعـا

سياسيا . وقررنا الاستمرار فى **الاضراب عن الطعام** مع مضاعفة الحملة فى الخارج وبين الاهالى .

وفى اليوم **الحادى عشر** صدر عدد من مجلة الطريق كل مادته حول استمرار اضرابنا حتى تحضر النيابة للتحقيق باعتباره حقا لنا تعمل الحكومة على اهداره حتى تبرر موقفها **أمام الرأى العام** العالمى . ونشرت المجلة مقتطفات من البرقيات المطولة التى وصلت الى الصحف المصرية من عدد من الهيئات العالمية ولم ننشرها ، ومقتطفات من البيانات التى أرسلها **أهالى المسجونين** الى الجهات المسئولة .

وفى اليوم **الثالث عشر** ساءت صحة زميلين الى درجة خطيرة ومع ذلك لم ينقلا الى **المستشفى** الا فى اليوم **السابع عشر** بعد أن أعلن الطبيب عدم مسئوليته عما يحدث لهما اذا لم يعدلا عن الاضراب وتناول **العلاج الضرورى** . فمع انه فى اليوم الثالث عشر بعد أن كشف عليهما أمر بنقلهما الى المستشفى ، فان ادارة السجن امتنعت عن تنفيذ توصية الطبيب هربا من أى دليل يثبت اننا أضربنا عن الطعام وبالتالى امتنع هو الآخر **عن الحضور** اليهما فى الزنزانة .

وفى مساء **اليوم السابع عشر** نقل الزميلان الى المستشفى ولكنهما امتنعا عن تناول العلاج حتى تأتى **النيابة** لاثبات أسباب دخولهما المستشفى .. وفى صباح اليوم **الثامن عشر** علمنا أن الزميلين بين **الحياة والموت** وأن الطبيب كتب **تقريرا** بذلك ذهب به بنفسه الى ادارة مصلحة السجون بعد أن أثبت فى دفاتر السجن سبب دخول الزميلين المستشفى وامتناعهما عن أخذ العلاج الضرورى . وعلمنا أيضا أن البرقيات مازالت تنهال على الجهات المسئولة تحملها مسئولية موت مناضلين مصممين على الاضراب حتى تجاب مطالبهم .

وفى مساء نفس اليوم **الثامن عشر** ، حوالى العاشرة مساء ، فتحت الزنازين فجأة ، أخيرا حضرت **النيابة ومعها المدير والمأمور وطبيب السجن** وقبل أن يبدأ التحقيق قال وكيل النيابة :

– قبل حضورى الى هنا حصلت على موافقة مصلحة السجون بان لا تخرجوا الى الجبل .

قلت :

– قبل هذا كله .. ارجو ان تثبت النيابة انها حضرت فى اليوم الثامن عشر منذ بدأ أضرابنا عن الطعام .

قال :

– أنا يا ابنى جيت بمجرد ما بلغونا .

– وهذا هو بالتحديد ما أريد اثباته وهو ما يمليه عليك واجبك .

توجه وكيل النيابة كلامه الى المدير :

– هل اخطرشم المصلحة بالاضراب فى الموعد القانونى • • ؟
التفت المدير الى المامور الذى قال :
– أنا من ناحيتى حولت المحضر لسيادتك •
قال المدير :
– وأنا أرسلته الى المصلحة •
سأله وكيل النيابة :
– متى ؟

لم يجب ، وانتحى بوكيل النيابة جانبا واخذا يتهامسان • ورغم الاعياء الشديد الذى كنت اعانيه • كان ذهنى يقظا لكل ما يدور حولى • انتهز المامور فرصة انشغال وكيل النيابة مع المدير وهمس لى وهو يبتسم بخبث •

– سمع كلامهم **الشفوى بالتليفون** وعطل ارسال المحضر عشرة **ايام** وطبعا هو اللى راح يتحمل **المسئولية** •

عاد وكيل النيابة ومعه المدير وبدأت مساومة ، قال :
– سيادة المدير مستعد لأن يجيب كل طلباتكم •
– متشكرين •
– يعنى موافق •
– ازاى ما أوافقش على اجابة كل طلباتنا •
– يبقى اتفقنا •
– طبعا بعد اثبات حضورك بعد ١٨ يوما • •
– أمال يبقى اتفقنا على أيه ؟
– على تحقيق مطالبنا • •

قال الرجل فى محاولة لاثارة عطفنا على المدير الذى **سيتحمل** المسئولية •

– وأيه لازمة المدير يتحمل المسئولية وكان عنده أوامر ؟
– على من يتصدى لوقع المسئولية ان يتحمل نتيجة مواقفه •

وأمام اصرارنا انصرف **المدير** تاركا كل شىء فى يد **وكيل النيابة والمامور** • أرسل المامور لاحضار دفاتر السجن كى يثبت عدم مسئوليته وبالتالى يلقى المسئولية على المدير الذى تاخر فى ارسال **محضر بدء الاضراب عن الطعام** • وبعد أن اثبت وكيل النيابة ذلك كما اثبت واقعة الاعتداء على زميلنا ولبم ، حاول المامور أن يوحى لوكيل النيابة بانهاء المحضر فقلت :

– نتكلم بقى عن مطالب المسجونين ؟
قال المامور بغضب :

ـ أنت مالك بقى ومال المسجونين ؟
ـ لانى مسجون زيهم .
وأدرك وكيل النيابة أن فى الأمر شيئا لا يعرفه .. انتحى بى جانبا وسأل ، فقلت :
ـ أصل المأمور هو المسئول عن هذا الموضوع .
وأصر وكيل النيابة على أن يثبت كل مطالب المسجونين .
ـ **ملابس الصيف** لم تصرف .
قال المأمور :
ـ بل صرفت ..
سأل وكيل النيابة ؟
ـ متى ؟
ـ أمس .
سأل وكيل النيابة :
ـ أمس فقط .. **الصيف قرب يخلص** .
والتفت الى وقال :
ـ وأيه كمان .. قول :
ـ **كمية العسل قليلة .. ووزن اللحمة أقل من المقرر** .. و ..
وأثبت الرجل كل شىء . وقفل المحضر بانهاء الاضراب عن الطعام وعلامات الغضب بادية على وجه المأمور الذى قال :
ـ يعنى احنا حرامية يا أستاذ ؟
ثم اشار الى حذائه وقال :
ـ يا أخى ده أنا جزمتى مقطعة .
قلت بسخرية :
ـ أظن ده مش دليل كاف
قال بغضب :
ـ يعنى بتتهمنى ؟
ـ الجهة التى تملك الاتهام .. آهى .
وتدخل وكيل النيابة :
ـ يا حضرة المأمور أفتكر بقى تعمل اجراءات فك الاضراب .
ولأن المعدة لا تحتمل بعد توقفها عن العمل مدة فالمفروض أن تبدأ نشاطها ببعض السوائل . وحين أمر الطبيب باحضار عصير قصب ، الذى ما كدنا نبدأ فى تناوله حتى فوجئنا بالمدير يأتى ومعه سجان يحمل كميات من البرتقال وعصير البرتقال واكواب . وراح الرجل بنفسه يوزع علينا كميات البرتقال والعصير ، ولما شكرته قال بتأثر :

ـ يا ابنـــى انتــو برضــه زى أولادى ٠

تأثرنا جـدا بموقف الرجل وكدنــا نطلب من وكيــل النيابــة أن يعـــدل المحضر حتى لا تقــع أى مســئولية على المديــر ٠ ان النورى الذى بحســبه الناس قاســـيا ولا قلب لــه ، فى أعماقــه طفــل يتأثــر بأى عمـــل طيب أو لمســة انسانيـــة ، والغريب أننا شعرنــا بعـد انتهـــاء الاضراب ولأكثر من أســبوع بانه كان يجب أن لا نحمـل المديــر أى مســئولية وخصوصـنــا وأن المســئولية الحقيقيــه تقــع على **الحكومة** وعلى وجــه التحديد **وزيـــر داخليتهـا** الذى ينفـذ سياستها ، لقـــد ظـل تساؤلنــا هذا قائما حتــى يــوم الاجتماع الكبير الذى دعــى اليــه مدير الســجن ٠ فماذا حـــدث فى ذلك اليوم المشـــهود ؟

أحكى لك ذلك فى الرســالة المقبــلة يا حبيبتــى ٠

٢٥ أبريل ١٩٧٧
بغـــداد

الرسالة رقم (١٨)

حبيبتـــى

فى رسالتـــى السابقة حكيت لك قصـــة **اضرابنـــا عن الطعـــام** وأسبابه ٠٠ وأهدافـه المباشرة داخل السجن ٠ غير أن أبعـــاد هذا الاضراب كانت أكبـــر من ذلك بكثير ٠ كانت لـــه ابعـاده السياسية داخل البـلاد وخارجهـــا فقد أصبحت قضيــة معاملتنــا كسياسين قضيــة حيــة فى أذهــان الناس وعلى عكس مــا كــان يتوقعــه **مدير الليمان** الذى عطـل ارســـال محضر الاضراب الـــى المسئولين حيث كــان ينتظـــر مســاءلتــه قانونيـــا ، فقــد أطلقت يــده بشــكل كبير فـــى الليمـــان كـــى يعيـــد اليه « **النظـــام** » ، الذى «**اختل**» خــلال الاضراب ٠ لكن المديــر لــم يفهم ماذا تعنيــه « **أوامـــر** » اعــادة النظــام ٠ أما المأمور فقد فهمها جدا ٠ فهم انهـــا مضايقتنـــا الى أقصى حــد ومحاولة استفزازنـــا وعزلنـــا عن المســجونين الذين دعمت علاقتنـــا بهم ٠ واقامـــة الدليــل على أننا وراء صـــدور جريدة « **الطريـــق** » ، وحتى لا ينفضــح أمــر المأمور أمامنــا وأمــام المســجونين عامة راح الرجــل يوعز الى المديـــر بتطبيق نظـــام صـــارم فى الليمـــان كله ليســـتطيع من خلالـــه أن ينفذ مهمته ازائنـــا ٠

وبدأت **الأوامـــر** تنهـــال : ممنوع بيـــع الســكر فى الكانتين حتى لا يستخدمه المساجين فى عمل الشـــاى فى الزنازين ، فاشـــعال أى **نـــار** تحرمه اللائحـــة ٠ لا يصرح لأى مسجون أن يشترى أكثر من ٣ **علب سجاير** فى الأسبوع وبحيث لا يدخن الا خارج الزنزانـــة نهارا فالمفروض أن لا يكـــون مـــع المســـجون **كبريت** ٠ وهكذا سلسلة من **الأوامـــر** التى راح يصدرهـــا المديـــر لاعـــادة « النظـــام » بايعـــاز من المأمور الذى كـــان يجرى يوميـــا تفتيشـــا وهميـــا لزنازين بعض المســـجونين ، وتفتيشـــــا يوميا لزنزانتنـــــا بهـــدف اســـتفزازنـــا ٠

كانت مجموعـــة من زملاء « **حدتو** » قـــد حـــكم عليهم بالأشـــغال الشـــاقة ووصـــلوا الى الســـجن خـــلال اضرابنـــا عن الطعـــام وبعـــد صـــدور حوالـــى ســـبعة أعـــداد من مجلة الطريـــق ٠ وكان المأمور بحـــكم صلاتـــه يعـــرف أن هنـــاك خلافـــا بيننا وبينهم ، وبـــدأت خطتـــه لتحقيق هدفـــه بمحاولـــة تعميق الخلافـــات بيننا وبينهم ٠ ومع أن الزملاء كانـــوا متنبهين الـــى ذلك

غير ان الرجل استطاع أن يخدعهم لفترة طويلة ، فهو حين يقوم بتفتيش زنزانتهم يشكو لهم منا وكيف اننا لا نفهمه على حقيقته رغم أنه ساعدنا كثيرا ، ويتبادل الشعر مع **زكى مراد** ، ويسمح للدكتور **شريف حتاته** بالذهاب الى المستشفى أحيانا للكشف على بعض المرضى أثناء غياب طبيب السجن • لعب الرجل على خلافاتنا السياسية مع الزملاء بذكاء ومهارة الى حد أسر بشكل بارز على علاقتنا معهم • ومع أننا قلنا لهم خبرتنا مع هذا الرجل وعن الاتفاق الضمنى الذى جرى معه حتى افتضح أمره أثناء الاضراب عن الطعام حين أراد استغلالنا فى صراعه مع المدير الا انهم أرادوا أن يدخلوا التجربة بأنفسهم •

ومع استمرار صدور الأوامر لم يحتمل المسجونين هذا التضييق على حبادهم ، تكثرت لقاءاتهم مع المدير الذى كان يصر على اعادة « النظام » والمأمور الذي كان « يناصل » للتخفيف عنهم ولكن المدير « نظامى جدا » ! • وصدرت « الطريق » تعلن انها ستحتشد المسجونين من أجل الاضراب عن الطعام اذا لم تلغ الادارة أوامرها التعسفيه فى موعد أقصاه **عشرة أيام** • ويبدو أن ما نشرته « **الطريق** » عن التهديد بالاضراب العام قد وصل الى المدير ، وربما يكون الذى أبلغه هذا الخبر هو المأمور الذى أوحى له أن يدعوا الى **اجتماع عام لكل المسجونين** لمناقشتهم فى مطالبهم فبعد يومين وقبل صدور « الطريق » صدرت الأوامر بعدم خروج المساجين الى العمل فى الجبل وفى كل الورش •

حوش اللبمان واسع جدا • تتوسطه منصة عالية يسميها المساجين « **البرج** » • كان **المأمور الانجليزى** يحشد المساجين فى هذا الحوش ويجلس على هذا « البرج » العالى **ليتسلى** بمنظر السجانة وهم يضربون المساجين بالعصى والكرابيج •• وبعد أن ينتابه الملل يصدر الأوامر بوقف الضرب وتوزيع التمر والعسل عليهم ! •

كانت هذه أول مرة يستخدم فيها « البرج » منذ أن رحلت **الادارة البريطانية عن السجون** • حوالى ٤٠٠٠ مسجون يجلسون القرفصاء فى شكل مجموعات • يحيط بكل مجموعة عدد من السجانة يحملون **الدافع الرشاشة** ، وكان مكاننا فى آخر الصفوف حيث جلسنا القرفصاء • يحيط بنا عدد أكبر من الجنود المسلحين بالرشاشات وثلاث ضباط على رأسهم أحد مأمورى السجن ، (•••) الذى كان يقف قريبا منى •• سألته :

ـ أيه الحكاية ؟

ابتسم الرجل الذى كان بالنسبة لنا كنوز شمعة فى ظلام السجن الحالك :

ـ والله ما أنا عارف • علمى علمك •

كان المدير يجلس منتفخا فى « برجه » العالى والى يمينه يجلس **المأمور الأول** « اباه » وبدأ أغرب اجتماع شهدته فى حياتى بكلمة من المدير قال :

– انتو عارفين ٠ أنا راجل شديد طول عمرى من يوم ما كنت **ضابط ملازم هنا** ٠ فاكرين ؟ ٠ وسرت همسات بين المساجين ٠٠ قطعها الرجل بصوت جهورى ٠

– النظافة أهم حاجة عندى ٠ احنا **مسلمين** ونحب النظافة ٠ تبادلت النظرات مع (٠٠٠) الضابط المسيحى ٠ ٠ وسرت همهمات بين المساجين المسيحين ٠٠ واستطرد الرجل :

– وعلشان كده لازم كل واحد يطلع فرشه « **البرش** » « والبطاطين » من الصبح لغاية **التمام** ٠٠ حسب اللوائح والقوانين ٠

وعلت الهمهمات بين المساجين ٠٠ وبدت علامات الغضب والضيق على وجوههم وطلب أحدهم الكلام ٠٠ لكن المأمور طلب منه الانتظار حتى ينتهى « **سعادة المدير** » من نصائحه وحديثه ٠٠ ويرتفع صوت الرجل ٠

– وممنوع الاتصال بالخارج منعا باتا ٠ الجوابات ٠٠ والأكل اللى بييجى من بره ممنوع ٠٠ **العسكرى اللى بياخد ١٠ أو ٢٠ قرش من** المسجون ده حرامى ٠٠

وبان الضيق على وجوه السجانة ٠٠ وسرت همهمات بينهم ٠ ٠ واستطرد المدير .

– والضابط لازم بفرض النظام ٠٠ مسالة **البلديات** دى لازم تنتهى ٠٠ الضابط الى يحابى بلدياته لا يقوم بواجبه ٠ ٠

هكذا استطاع المدير « بعبقريته » الفذة أن يكون جبهة ضده ٠٠ **المسلمون والمسيحيون والضباط والسجانة ٠**

وعلت الهمهمات بين الجميع ٠٠ ووضع السجانة **الرشاشات** الى جانبهم بعد أن كانت فى وضع الاستعداد ٠ ٠ واختلت صفوف المسجونين المنتظمة ٠٠ خرج بعضهم عن الصف ٠٠ ووقف البعض الآخر ٠٠ وطالب بعض المسجونين **بالتعقيب** على كلام المدير ٠٠ غير أن المأمور بعد أن همس فى اذن المدير وهو يشير الينا ٠٠ قال :

– بعد سعادة المدير ما يخلص حديثه راح يسمح لكم بالتعقيب ٠٠ ويستطرد المدير:

– وهناك **قلة** لا وزن لها ٠٠ سنضربها بيد من حديد ٠٠
وشعرنا أنه يشير الينا ٠

– **ألست** اللى تبعث برقية تقول فيها ان احنا بنضرب هذه القلة دى تبقى ست (٠٠٠) ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وغلى الدم فى عروقنا •• ووقف **سعد باسيلى** يقول :

ـ نحن لا نسمح بهذا الكلام الذى يحاسب عليه القانون •

ووقف الزميل **زكى مراد** وقال :

ـ نحن نحتفظ بحقنا برفع دعوى ضدك ، قضية **سب علنى لاحدى زوجاتنا أو شقيقاتنا أو بناتنا** !•

ووقف عدد من المسجونين بندد بكلام المدير ويطلب التعقيب •• وساد الهرج والمرج •• ووقف كل المسجونين يعلنون احتجاجهم •• ليس دفاعا عنا وعن شرفنا الذين أهين علنا ولكن أيضا عن حقوقهم •• وارتفع صوت المدير فى محاولة للحديث ، وبعد أكثر من نصف ساعة •• تركه المسجونون يكمل •• قال وهو يشير الينا :

ـ أنا يا ولادى ما أقصدش حد من قرايبكم •• دى واحدة من ايطاليا بتقول انها سكرتيرة منطقة ميلانو •• باعته تحتج ••

ووقف زميل ثالث :

ـ وهذه أيضا لا نسمح لك باهانتها ••

ووقف مسجون يطلب الكلمة •• قال :

ـ يا حضرة المدير احنا عارفينك من زمان •• أنت طول عمرك شديد •• واحنا طول عمرنا ضدك •• ومش راح نسمح أبدا بأيام زمان تتكرر تانى •

ووقف تان •• وثالث •• ثم وقف الجميع يهتفون ضد المدير وظلمه وتعسفه •• لم يقترب منهم جندى واحد •• أو ضابط •• عجز المدير عن عمل أى شىء •• وامتلك المأمور الموقف كله •• قال وابتسامة صفراء تكسو وجهه :

ـ يا للا يا سجانة كل واحد ياخد المسجونين بتوعه على العنبر •• لكن المسجونين لم ينحركوا من أماكنهم •• وقال المأمور :

ـ سادة المدير راح يطلب عدد منكم علشان يتكلم معاهم عن مطالبكم

قال مسجون :

ـ لا عاوزينه يتكلم هنا •• معانا كلنا ••

وقال آخر :

ـ لازم يسحب كل الكلام اللى قاله

وقال تالث

ـ مطالبنا لازم تتحقق ••

وقال رابع :

ـ الفرش مش راح يطلع بره **الزنزانة** ابدا •• والكانتين لازم يرجع زى ما كان ••

وهتف خامس :

ـ **يسقط الظلم ‥**
وارتفعت أصوات المساجين تردد وراءه ‥
ـ يسقط الظلم ‥ يسقط الظلم ‥
ويتقدم الضباط الذين يتعاطفون مع المساجين يطلبون منهم الهدوء ‥
ويستجيب المساجين ‥ ويقول المدير بصوت ضعيف :
ـ يا أولادى انتم فهمتونى **غلط** . راح انظر فى مطالبكم .

لم يكترث به المساجين ، قاطعوه ، اختلطت مجموعاتهم ، لم يحاول السجانة أو الضباط اعادة الضبط والربط ، وبصوت منهوك طلب المدير من المأمور أن يصرف المساجين . وعاد المسجونون الى عنابرهم فى **شبه مظاهرة** لم يشهدها الليمان من قبل يهتفون يسقط الظلم ‥ يسقط الظلم . نريد حقوقنا . نريد حقوقنا . هل سيعدل المدير عن أوامره التعسفية ؟ ، وما العمل اذا لم يعدل عنها ؟ المدير فى موقف ضعيف ، والمساجين فى الموقف الأقوى ، ويجب الاستفادة من هذه الظروف . كيف ؟ الاصرار على تنفيذ اللائحة . واتفق على أن يصدر عدد خاص من « الطريق » ، بعد يومين يتضح خلالهما الموقف .

وبعد ثلاثة أيام صدرت الطريق **تدعو الى الاضراب العام لكل المسجونين** . ولأول مرة فى تاريخ ليمان طرة يضرب كل المسجونين عن الطعام حتى تجاب مطالبهم . وبالفعل تحققت كل مطالب المسجونين .

أحكى لك قصة ذلك اليوم فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٣ مايو ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٩)

حبيبتـــى

فى رسالتـــى السابقة حكيت لك ما انتهـــى اليـــه اجتماع مدير الليمان بالمسجونين · كان من الطبيعـــى أن يســـود المسجونين جـــو من الثقـــة بعـــودة الحياة فى الليمان الـــى ما كانت عليـــه قبـــل الاجـــراءات التـــى فرضهـــا المديـــر · لكننا كنـــا نرى غير ذلك · ان تراجـــع المدير عـــن الاجراءات التى اتخذهـــا ـ على الرغم من أنهـــا كانت محـــل مؤاخـــذة من رؤســـائه ـ ســـوف يخلق ظروفـــا مواتية للمسجونين لتطبيق كـــل بنـــود اللائحة ، وهو أمـــر لا يريد بعض **كبار الضباط** حيث يسد بابا « **للرزق** » **هم** حريصـــون على أن يظـــل مفتوحـــا · هذا الدافـــع الذاتـــى سيدفـــع بهم الـــى اتخـــاذ اجراءات شـــاذة « **لتطهير** » أفـــكار المسجونين من الأفـــكار « **الهدامة** » ·

وكنا نتوقـــع أمرين : الأول : عمليـــة تنكيـــل بالمسجونين الذين تحـــدوا المدير اثناء الاجتماع العام ، والثانى : تشـــديد الحراسة علينـــا لمحاصرتنا وعزلنا عن المسجونين تماما مع محاولات لاستفزازنـــا أو فـــرض **معركـــة للتنكيـــل بنـــا** · ومر يومـــان ولـــم يبـــد فى الأفـــق ما يشير الى عـــدول المدير عن الاجـــراءات الشـــاذة التى وعـــد بالغائهـــا · وعبثـــا راحت كـــل محاولات المسجونين لمعرفـــة مـــا يـــدور فى رؤوس المدير وكبـــار الضباط فـــى مصلحة السجون الذين كثرت زياراتهم لليمان واجتماعاتهم بالمدير والمأمور ·

المأمور الذى كان دائـــم الصـــلة بالمسجونين وعلى وجهـــه ابتســـامته التقليديـــة ، وعلى شـــفتيـــه الوعـــود بتحقيق مطالب المسجونين اختفـــى تماما · والضباط المتعاطفون مع المسجونين أصبحوا أكثر حرصـــا فى اظهار تعاطفهم ويبذلون جهـــدا لاخفـــاء تعاطفهم ، ولا يقدمون تفسيرا **للاجتماعات الكثيرة** التى تتم بين كبـــار المسئولين فـــى مصلحة الســـجون وبين المديـــر ، فهم على الأرجح كانـــوا لا يعرفـــون · حتـــى السجانـــة كانـــوا يتوقعـــون شيئا **رهيبـــا** ضدنـــا بشـــكل خاص ، وضـــد المسجونين بصفة **عامـــة** · وكنا نرى فى عيونهم نظرات العطف ، وأبـــدى بعضهم استعدادهم لمســـاعدتنـــا ·

فى مساء **اليوم الثالث** عقدنـــا اجتماعا لمناقشة كل احتمالات المعركـــة التى سوف تفرضها علينـــا **الدولة** · ارسلنا الى التنظيم تقريرا وافيـــا عن الوضع واقتراحات بعمل حمـــلة واســـعة من البيانات الى المنظمـــات الجماهيرية والنقابية والمهنيـــة ، والى الهيئات العالميـــة الديمقراطيـــة ·

والى الصحف ، والمسئولين ورئاسة الجمهورية • كما أرسلنا خطابات الى أهالينا لتكوين وفود تذهب الى المسئولين • وأخرى لتتواجد بشكل **دائم خارج السجن** لترقب الموقف والتحرك بسرعة اذا حدث شيء ضدنا • وكان قرارنا هو الصمود مهما كلفنا ذلك من تضحيات ، حتى **الحياة ذاتها** ، بعد هذا القرار ، كان أمامنا فى تلك الليلة مشكلتان : الأولى **توصيل** ما كتبناه الى التنظيم والى الأهالى بأقصى سرعة ممكنة • والثانية هى الاتصال بهيئة تحرير « الطردو » لاصدار العدد المتفق عليه بعد الاجتماع « اياه » ليدعو المسجونين الى **الاضراب العام عن الطعام** • كيف يمكن التغلب على هاتين المشكلتين ونحن معزولون فى زنزانة مغلقة ، معزولة عن سجن معزول عن العالم الخارجى ؟ الوقت يمضى بسرعة **والمؤامرة** بدت خيوطها خلال اليومين الماضين فى عيون المدير ونظراته الكريهة ، واختفاء المأمور المفاجىء وغير المبرر ، ونظرات العطف والاشفاق فى عيون الضباط الذين لا يعرفون ما يجرى فى مكتب المدير ، وتعليقات بعض السجانة التى تحمل **الخوف** من المصدر الذى ينتظرنا ، كانوا يعرفون أن المثل الشعبى « وقوع البلاء ولا انتظاره » يعبر أصدق تعبير عن المعاناة التى يعانيها من ينتظر « البلاء » فيتعجل وقوعه ليتخلص من معاناته وآلامه الأكثر قسوة من آلام البلاء ذاته • ومع أننا كنا نعانى من انتظار « البلاء » الا أننا لم نتعجله أبدا وفضلنا المعاناة الأشد ألما والاكثر قسوة، ساعدنا على ذلك حالة التحدى التى هيأنا أنفسنا لها مساء اليوم الذى جرى فيه اجتماع المدير بكل المسجونين ، حيث لم تخدعنا الظروف التى نتجت عن ذلك الاجتماع • كذلك لم تكن المسألة بالنسبة لنا مسألة ذاتية ، وانما كانت فى الأساس موقفا موضوعيا •

كان صوت **سجان صديق** •• تبينا صوته ولكننا لم نعرف من هو • قام **مجدى فهمى** من على « برشه » ليتحدث مع هذا الصديق من ثقب باب الزنزانة • قال مجدى فهمى بعد أن تبين ملامح وجه السجان بصعوبة •

ـ أهلا •• أنت « ••• » جيت امتى ؟

تشاء الصدف أن يكون هذا الصديق هو السجان الذى يعرفه مجدى فهمى من حى **بولاق** والذى قام بتوصيل الخطابات التى أرسلناها الى الأهالى من **ليمان أبى زعبل** •

قال الصديق :

ـ **نقلت من ليمان أبو زعبل الى هنا • • من يومين فقط •**

قال مجدى :

ـ **لكن دى الادارة حاطة سجان من بتوعها من ثلاث أيام •• ولم يتغير ليل ولا نهار •• ايه اللى جرى •• ؟**

ضحك الصديق وقـال :

ــ جـاله مغص وخدوه على المستشفـى وجيت بدالـه ٠

ــ أيـه الصدفـة الغريبـة دى ؟

قال الرجل بكل الصـدق :

ــ ده تدبير ربنـا ٠٠ انتو نـاس جدعـان

قال مجدى فهمى بنبرة صوته الودودة :

ــ الله يخليك يا « ٠٠٠ » عاوزين خدمة من خدماتك العظيمة ٠

ــ رقبتـى يا مجدى ٠٠ ان ماكانش علشـان انتو رجـاله ٠ فعلـى الأقـل علشـانك أنت ٠٠ ابن حتتى ٠

أعطاه مجدى التقرير والخطابات وقال لـه :

ــ دول لازم يوصلوا باقصى سرعـة

ــ قبل الشمس ما تطلع راح يكونوا وصلوا لأصحابهم ٠

ــ متشكرين جـدا ٠٠ أنت راجل عظيـم ٠

ــ يا مجدى لا شكر على واجب ٠٠ أنا متأكـد اننى باعمل خدمـة لوطنـى ٠

ثـم يسـتطـرد ٠٠

ــ على قد ما أقـدر بقـى أنا مش زيكـو

ــ اللى بتعمله ده ما يقلش أبـدا عن عملنـا ٠

ويستطرد مجدى :

ــ بس فيه مهمة ثانيـة ٠٠ يمكن تكون صعبـة شوية ٠

ــ مفيش صعب علشانكم وعلشان الشعب ٠٠

ويبدأ مجدى فـى حديث مع السجان الصديق عن مجلة « **الطريق** » ٠ ويقاطعه الرجـل :

ــ أيـوه أنا سمعت عنهـا ٠

ــ قريتهـا ؟

ــ لا ٠٠ لكن كـل المسجونين بيمدحوا فيهـا وبيحبوهـا ٠

ويعلق مجـدى :

ــ وأظن منتظرين صدورهـا **بكـره** ٠

ــ تمام ٠٠ تطلب ايـه منـى ؟

ناوله مجدى خطـاب موجـه الى هيئة تحرير مجلة الطريق ٠٠ وقال :

ــ عاوزين الجواب ده يوصـل **لعنبر ٢ للمسجون** (٠,٠٠) قبـل السـجن مـا يفتح ٠٠ ممكن ؟

ــ صعبة أوى الحكاية دى ٠٠ لكن راح اتصرف ٠

ويصيح مجـدى :

ــ انت عظيـم ٠

وكلمة « عظيم » لازمة من لزمات مجدى ٠

ويضحك السجان الصديق :

ـ عيه كل حاجة عظيم ٠٠ عظيم ٠ فين العظمة دى ؟

ويضحك مجدى :

ـ شيء هايل ٠٠ بلاش عظيم ٠

ـ يا عم لا هايل ولا عظيم ٠٠ أنا فى الخدمة ، ناموا انتو بقى وأنا راح أتصرف ٠

ـ لا مش راح ننام قبل ما نعرف منك ان الجواب وصل لعنبر ٢ ٠

ويقول الرجل بثقة غريبة :

ـ ماشى ٠٠ استنى شوية لغاية ما أرجع لك تانى ٠

لم يكن لدينا أدنى أمل فى أن يصل الخطاب الى عنبر ٢ ، فالسجان الصديق مسجون مثلنا تماما ٠ الفرق الوحيد بينه وبيننا ، أننا داخل زنزانة بابها مغلق علينا ٠ وهو داخل عنبر واسع يضم أربع أدوار ، وبابه الخارجى مغلق عليه ٠ فكيف يصل هذا الخطاب الى عنبر ٢ ، من الذى سيحمله من عنبر ٤ الذى نعيش فيه ، الى الباب الخارجى لعنبر ٢ ، ثم الى الزنزانة رقم ٣٢ التى يعيش فيها اثنان من هيئة تحرير الطريق » ؟

بعد أقل من ساعة سمعنا دقا على باب الزنزانة ٠٠ أسرع مجدى لينظر من ثقب الباب ثم سمعنا صوت الصديق يقول :

ـ كله تمام يا رجاله ٠٠ ناموا بقى ٠

ويصيح مجدى بفرح غامر :

عظيم ٠٠ انت هايل ٠

ـ تانى ! ٠٠ عظيم وهايل ٠٠ !

ويسأل مجدى فهمى :

ـ لكن ازاى وصل الجواب لعنبر ٢ ٠

ـ يا سيدى ده شغلنا بقى ٠

ويلح مجدى على الصديق ليعرف كيف وصل الخطاب بهذه السرعة الى عنبر ٢ ـ زنزانة رقم ٣٢ ! ، ويحكى الرجل :

بسيطة قوى ٠٠ كان معايا علبة سجاير هوليود « لارج » فكيت الورق « القزاز » بعناية وكذا العلبة ٠ وأخذت منها سيجارة وحطيت بدالها سيجارة تانية فيها الجواب ٠ وطلبت من السجان اللى فى الحوش يوصلها لصاحبى وابن حتتى (٠٠٠) فى عنبر ٢ زنزانة رقم ٣٢ ٠

ويسأل مجدى :

ـ لكن أنت متأكد ان العلبة وصلت ؟

ويجيب الرجل بثقة :

ـ الا متأكد ٠٠ ودى فيها كلام ٠٠

ـ يعنـــى

ويقاطعه الرجـل ٠٠

ـ يعنى أيـه بقـى ٠٠ أمـال فين الثقة بالشعب ٠٠

ويرد مجدى بلهجة ودودة :

ـ لك حق ٠٠ متأسـف ٠

ما كدنـا نطفـىء أنـوار **الزنزانـة** اسـتعدادا للنـوم حتى رأينـا خيـوط فجر يوم جديد تخترق قضبـان نوافـذ الزنزانـة لتبـدد ظلامها الدامس ٠ وجاءنـا صـوت مألوف على أسماعنـا يؤذن **لصـلاة الفجـر** ٠ كان صوت الصديق من هيئة تحرير « الطريق » يخبرنـا بان الرسالة قـد وصلته ، وكنـا قـد اتفقنـا معه على أنـه فى حـالات محـددة ، وبعـد ان يبـدأ مؤذن الجامـع المجـاور لليمان بآذان المقطـع الأول يبدأ هو فى الأذان ٠ وتأكدنـا من وصـول الرسـالة ومن اعـداد العـدد الخاص من « الطريق » الذى يدعو الى **الاضراب العام عن الطعام** ٠ وعن هذا الاضراب أكتب لك رسالتى المقبـلة يـا حبيبتـى ٠

١٢ يونيو ١٩٧٧
القاهــرة

الرسالة رقم (٢٠)

حبيبتـــى

الأقنعــة الزائفــة وان يــدا بريقهــا يخطف الابصـــار ، فــى لحظـــة من اللحظات ، لا تســـتطيــع أن تخفــى تماما وجــه صاحبها **القبيـــح** • عين الانســـان الصـــادق تستطيــع أن تخترق تلك الأقنعـــة لتلحظ أقـــل تصرف ذاتـــى وتضــع أمامـــه علامة اســـتفهام ؟ ويبــدأ سـقوط الأقنعــة ، قناعــا وراء قنــاع حتى يتعـــرى تماما وجـــه صاحبهـــا ، ويبدو علـــى حقيقته ، شريرا ، دنســـا انتهازيــا يسخر كل شيء وأى شــيء مــن أجل ذاتــه • الغاية عنــده تبــرر الوسيلة • ، ذكــاء صــفة أســاســية من صفــات الانتهازى تعطيــه القــدرة على الخــدع حيث يســتطيــع استخدام كل الظروف لصــالحه • لكن ، لانــه يفتقــد جوهــر الانســـان يفتضــح أمــره لكــل المخدوعين بــه عنــد وضــعه فى تجربــة انسانيه •

المأمور (•••) الذى حدثتك عنه فــى رسائلــى السابقة ، واحـــد من انتهازين كثيرين منتشرين بين كل طبقـــات وفئـــات المجتمـــع ، هـــذا الرجل الذى زعم يومـــا أنـــه صديق لنـــا وللمسجونين وخدعنـــا فيـــــه بعض الوقت ، وكنـــا أكثر ذكاء منـــه حين استخدمناه لصالح المســجونين ، وبالتالــى لــم يفضــح أمــره تماما لكــل المسجونين ، ســـقطت كــل اقنعتــه الزائفـــة فى لحظة واحــدة •

فى **ظهر يوم الاضراب العام عن الطعام** والذى دخله كــل المســـجونين ــ عدانا وباتفاق سابق ــ وعــدا الاخوان المسلمين ــ فلم يكن لهم أى علاقة بنشاط المسجونين ، أغلقت زنزانتنـــا ــ على غير العـــادة ــ ، بعدهـــا فتح بـــاب الزنزانـــة لنجدهـــا فى لحظـــة وقـــد امتـــلأت **بعدد كبير من السجانة والضباط وعلى رأسهم المأمور** •

قـــال وعلى وجهه ابتســـامة كالحــة :

ــ هما الجماعة دول مضربين ليــه ؟

ــ جماعة مين ؟

ــ المســـجونين •

ــ مسجونين مين ؟

ــ المسجونين كلهم •

ـ لكن احنـــا مش مضربين ٠
ـ ليـــه ؟
ـ علشـــان كـــده ٠
هو القيـــادة متى لازم تضرب المثل ؟
ـ أســـأل القيـــادة ؟
ـ طب ما انتـــو القيـــادة ٠
ـ عاوز أيـــه بالضبط ؟
ـ عاوز اثبات قانونـــى٠
ـ لكـــل مجتهـــد نصيب ٠
ـ وأنا مجتهـــد ٠ ٠ والا أيـــه رأيكو ؟
ـ فعـــلا ٠٠ بس انتهـــازى ٠

ووسط ضحكات الزملاء العاليـــة والســاخرة ، وابتســـامات علـــى وجوه عـــدد من الضباط والسجانة ، ارتفـــع صوت المأمور عاليا :

ـ يا له يا ســجان انت وهو ٠٠ فتش كل حاجة ٠٠

بعض السجانـــة قـــام **بتمزيق كل ملابســـنا** ، والبعض الآخـــر كان يفتش بطريقـــة **شـــكلية** ٠ وتناول المأمور « **جاكوش وأجنه** » كان يحملهـــا أحـــد الســـجانة وأخـــذ بنفســـه يحفـــر اجـــزاء من أرض الزنزانـــة ، ومـــن جدرانها ، آمـــلا فى أن يعثر على مخبأ يجد فيـــه الدليـــل القانونـــى الذى يثبت صلتنـــا **باضراب المسجونين** ٠ وبعد أكثر من ســـاعتين ، انصرف المأمـــور ومن معـــه وقـــد تركـــوا كـــل ملابســـنا ممزقـــة ، وجـــدران الزنزانـــة وســـقفها وأرضها وقد امتـــلأت بالحفر ٠ وبعـــد أقـــل من عشر دقائق جاءنـــا الســـجان الصديق يحمل لنـــا رسالة من مسجون صـــديق أرســـلها من « الجبـــل » ٠ ووقف على باب الزنزانـــة المغلقـــة حتى نقـــرأ الرســـالة ونعطيه الـــرد عليهـــا ٠ وكانت الرســـالة تحمل وصـــفا دقيقـــا للأســـلوب الذى تـــم بـــه الاضراب ، وللدور القـــذر الذى قـــام بـــه **المأمور** ضـــد المسجونين لتحطيـــم الاضراب ٠

فى صباح ذلك اليوم خرج المسجونون كالعادة للعمل فى « الجبـــل » ٠ كان كل شـــئ طبيعيـــا ٠ انتظمت الفرق المختلفة وبـــدأت فى عملهـــا ٠ العمل يبـــدأ عـــادة فى الساعة الثامنة حتى نوبـــة الظهـــر فى الســـاعة ١٢ حيث يأخـــذ المسجونون راحـــة لتناول الغـــذاء ٠ وعندما نودى علـــى المسجونين لاســـتلام وجبـــة الغـــذاء ذهبـــوا جميعـــا كالمعتـــاد وفى صفوف منتظمة يحملون « **القروانـــات** » ٠ وبـــدلا من أن يتجمعوا كعادتهم كـــل يـــوم فى مجموعات لتناول الطعام ، ذهبـــوا بنفس الصفوف المنتظمـــة الـــى **مأمور « العمل »** ورصـــوا أمامه كـــل القروانـــات ، ثـــم عـــادوا الـــى حيث يجلســـون لقضـــاء فتـــرة راحـــة الظهيرة ٠ ذهب اليهم المأمور ومعـــه عـــدد **من السجانة يسألهم** ٠ ٠

ـ أيــه الحكاية يا مسجون انت وهو ٠ ؟
ويقف واحد من المجموعة ويقــول :
ـ مضربين عن الطعـــام ٠
ويذهب الى مجموعة أخرى :
ـ مضربين عن الطعـــام ٠
ويذهب الى مجموعة ثالثة ، ورابعــة ٠٠ الخ :
ـ مضربيين عن الطعـام ٠
لــم يفعل الضــابط شيئا ، ولم يعلق ، فهـــو من جانب يواجه موقـــف لــم يحدث فى الليمان من قبل ، وهو من جانب آخــر متعاطف مع المسجونين وارســل الــى المدير من يبلغـــه الخبر الخطير ٠ وبعــد أقــل من نصــف ســاعة جــاء المأمور « ٠٠٠ » ، يحمل الحصــــان جســـده السمين ، ويحمل وجهــه ابتســـامته الصفراء :
ـ أيــه الحكاية يا جماعــة ؟
ـ **مضربين عن الطعـــام ٠**
ـ لكم حق ٠٠ لكن كان لازم تعطونى فرصـــة ٠
ـ بقا لنـــا أربع أيــام والاجراءات زى ما هيــة ٠
ـ لكن أنـــا كنت فى أجــازة ٠
ـ وآديك جيت ٠٠ حقق مطالبنـــا ٠
ـ انتــم عارفين ٠٠ أنا مش فى ايدى حاجة
ـ طيب عاوز فرصـــة ليــه ؟
ـ علشـــان أتصــل بالمســئولين ٠
وكــاد بعض المسجونين أن بخـــدع بقولـــه ٠ قــام مســجون صــديق وقـــال :
ـ على العموم الاضراب مستمر حتى تتحقق مطالبنـــا ٠
ـ لكن المسالة تأخذ كـــام يوم ٠ ٠
ـ راح نفضــل مضربين الكــام يوم دول ٠
ـ طيب تعالـــى انت ومعاك ثلاثة تانيين معايـــا نتنـاقش مع المديـــر والمســئولين اللى زمانهم وصـــلوا الليمان ٠
وذهب معه أربعـــة ٠ اثنـــان من هيئـــة تحرير « الطريق » واثنـــان من قـــادة المسجونين الى الليمان ٠ كان فى مكتب المديــر عــدد من **كبـــار ضبـــاط مصلحة السجون وعدد من ضباط الجيش** ـ قيــل انهم من **المخابـــرات** العامـــة ـ وحاولت هذه المجموعـــة من الضباط بالارهـــاب تـــارة والترغيـــب تـــارة أخرى انتـــزاع أى كـــلام منهم يشير الى أننا نحن الذين وراء الاضراب ٠
ولكن عبثـــا راحت كل محاولاتهم ٠ قـــال زميـــل من الزملاء الأربعـــة :
ـ احنا مش صغيرين ٠٠ مفيش حــد وراء الاضراب ٠

سأله أحـــد الضباط :

ومين اللى بيصدر مجلة الطريق ؟

قـال بكـل شـجاعة :

ـ أنا المسـئول عنهـــا •

قال الضـابط مهـــددا :

ـ ده اعتراف •• أنا راح أقدمك للمحاكمة •

قـال الزميـل :

ـ ليس فى المجلة ما يتعارض مع القانون •

ـ طيب ليه بتطلعوهـا بطريقـة سرية ؟

ـ لأن الادارة لـم تسـمح لنـا باصدار جريدة علنية •

ـ وانتـو محتاجين لجريدة ليـه ؟

ـ علشـان تدافـع عن مطالبنـا •

ـ وأيـه مطالبـكم ؟

ـ تطبيق **اللائحــة** •

تدخل واحـد من **ضباط الجيش** :

ـ وأيـه اللى مش مطبق من اللائحـة ؟

ـ حاجات كتير •• الملابس لا تصرف لنـا فى المواعيـد المحـددة • كمية الغذاء من لحـوم وعسـل وخلافـه •• كلها وزنها أقـل من الوزن المقرر فى اللائحة •

ووجه **ضابط الجيش** حديثه الى **مدير الليمان والمامور** :

ـ صحيح الكلام ده ••• ؟

قال المامور :

ـ أبـدا غير صحيح ••

قال الزميـل :

ـ أرجو الرجوع الى محاضر النيابة •

سأل ضابط الجيش مدير الليمان :

ـ أيـه محاضر النيابة دى ؟ ••

لـم يجب

وحين كرر الضابط السـؤال •• قال المامور :

ـ يا أفنـدم ده قصـده محاضر النيابة الخاصـة باضراب الشـيوعين عن الطعـام • وسـادت فتـرة من الصمت ••

قال ضابط الجيش موجهـا حديثه الى الزملاء الأربعة :

ـ طيب انتو بقـى تروحوا لشـغلكوا •• وتفكوا الاضراب •• وراح نتفاهم

قال واحـد من الزملاء الأربعـة :

ـ أرجو أن تسمح لنـا بالاستمرار فى الاضراب حتى يتـم التفاهم •

ـ لكن أنـا وعدتك ٠٠

ـ يا أفنـدم سمعنا وعودا كثيرة قبل كـده ٠ ٠

قال ضابط الجيش :

ـ لكن يا ابنـى احنـا **ضباط اتصال من قيادة الثورة** ٠

قال زميـل ٠ ٠

ـ يا أفنـدم نحن نحترم ونقـدر اهتمام قيادة الثورة ٠٠ لكن ٠ ٠

ـ لكن أيـه ؟

ـ ممكن تصدروا أوامـر فـورا بالغاء الاجراءات الأخيرة ٠ ٠

ـ طيب روحوا انتـو للشـغل ٠٠ ثم نـادى على المأمور وهمس فـى اذنـه ٠ ٠

وبينما كان الزملاء الأربعـة يعودون الى عملهم بصحبـة واحـد مـن ضباط السـجن وعـدد من السـجانة ٠٠ كان المأمـور يتجـه ومعـه عـدد من ضباط السجن والسـجانة الى عنبر ٤ زنزانـة رقـم ٦٤ حيث يقـوم باجـراء التفتيش الذى حدثتك عنـه من قبـل ٠ وفى الوقت الذى كـان المأمور فيـه يجرى تفتيش زنزانتنـا كان **مدير السجن** فى الجبـل يرتكب احدى حماقاتـه ٠ توجـه المدير بنفسـه الـى هنـاك تحيط بـه مجموعـة مـن الضباط والسجانة ورجال « **الهجانـة** » ٠٠ هذا يحمـل **مدفعـا رشاشـا** ٠٠ وهذا يحمل **بندقيـة** ٠٠ ورجـال « الهجانـة » يمسـكون **بكرابيجهم** المعروفة ٠ كانت **مظاهـرة عسـكرية** لارهـاب المسجونين ٠ وبعد مناقشـة لـم تـدم أكثر من عشر دقائق صـاح المديـر باعلـى صوتـه وهو يشير الـى الزميـل المسـجون الذى كان يناقشـه :

ـ اجلدوا المسجون ده **عشرين جلـده** ٠/٠

أسرع عـدد من السـاجنة ينصبون « **العروسة** » ٠ ٠ ويمسـكون بالمسـجون لربطـه عليها لتنفيذ حـكم الجلـد ٠٠ وقبـل أن يبـدأ التنفيذ همس واحد من الضباط فى اذن المديـر بكلام لم يسمعه المسجونون صـاح المدير مـرة أخرى :

ـ أجرى يا سـجان هات طبيب السـجن ٠

تنص اللائحة على أن لا ينفذ حـكم الجلد الا بعد كشـف الطبيب علـى المحكوم عليـه بالجلـد ليقـرر اذا كـان يتحمل الجلد أم لا ٠ كـذا ! القانـون لا يمنع جلـد المسـجون **بالسياط** ، ولكنـه حريص على أن **لا يموت** ، لاحبـا للانسـان ولكن خوفـا من المحاسـبة ، لا مانـع من تعذيب المسـجون حتى يصـل الى حافـة الموت ٠ هذا ما يكفله القانـون للطغـاة الصـغار ٠٠ يتسـلمون المسجون حيـا وعليهم أن يحافظـوا عليـه حيـا علـى حافـة الموت فقط ٠ أمـا الطغـاة الكبـار فلا شـىء يحـد من **طغيانهم ٠٠ فهم أصحاب البلد** ومـا عليهـا من بشر وما بهـا من ثروات ! ٠

جاء طبيب السجن .. شاب حديث التخرج .. عرفناه من قبل . فقد وقف موقفا مشرفا خلال **اضرابنا عن الطعام** منذ مدة ـ وقد أشرت اليه فى رسالة سابقة . كان وجهه يجسد كل ما يعانيه من آلام . تبا لهذه المهمة ، هل يحتم شرف المهنة على الطبيب أن يكون صادقا فى مثل هذه الحالة ؟ الواجب يحتم ذلك . وما هو الواجب ؟ كلمة من ستة حروف صاغها الطغاة لارهاب موظفيهم . من ينور ضميره ويتمرد على هذا « الواجب » مصيره معروف .. الفصل من الوظيفة على أقل تقدير . ومن يطرح ضميره جانبا فهذا هو الموظف الجيد ، فهو يقوم بواجب الوظيفة ! ما أفدح الثمن الذى تدفعه نظير صدقك ! أن تكون صادقا مع نفسك ومع الآخرين فانت بطل اسطورى . الصدق فى العالم يا حبيبتى شيء نادر . وهو أكثر ندرة فى عالم الطغاة .

بدأ الطبيب الكشف على المسجون المحكوم عليه بعقوبة القرون الوسطى خلال النصف الثانى من القرن العشرين ! وضع الطبيب الشاب سماعته على صدر المسجون .. وبدأ الارتياح على وجه الطبيب . واتسعت معالم الارتياح على وجهه حين قاس ضغط المسجون . كتب تقريره ، وهم بالانصراف صاح المدير :

ـ يا للا يا سجان نفذ الحكم .

قال الطبيب :

ـ نفذه على مسئوليتك ..

ـ كيف ؟

ـ الضغط واطى .. ونبضات القلب سريعة .

وأسقط فى يد المدير ، انه لم يتعود على مثل هذا الموقف . ان كشف الطبيب بالنسبة له اجراء شكلى ليس الا ، اجراء لاستكمال **الشكل القانونى ! فالحكم يجب أن يكون بالقانون !** ، صاح المدير :

ـ يا دكتور قم بواجبك ..

قال الطبيب بهدوء :

ـ لقد قمت بواجبى على اكمل وجه .

صاح المدير :

ـ ساستدعى طبيبا آخر

قال الطبيب وهو أكثر هدوءا :

ـ أفعل ما شئت .. ولكنى لن اسكت اذا نفذ **الحكم بالجلد** .

صاح المدير :

ـ ساجد طبيبا آخر يقرر ما اريده .

قال الطبيب فى تحد ..

ـ لن تجد ..

وانصرف

كان هناك أربعة أطباء يشرفون على علاج المسجونين من بينهم هذا الطبيب الشاب · رفض زملائه الثلاثة اعادة الكشف على المسجون ·

عاد المدير مع مظاهرته العسكرية يحمل خفي حنين ، ازدادت ثقة المسجونين بأنفسهم وبوحدتهم واطمأنوا الى انه حتى فى ظلام السجن وبين أنياب الارهاب سيجدون بين الموظفين من يتعاطف معهم ويقف الى جانب قضاياهم العادلة · ما أعظم الانسان هذا الكائن الغريب · انه حتى وهو بين فكى مفترسيه لا يفقد جوهره الانسانى · المسجونون يلتفون حول المسجون المحكوم عليه بعقوبة الجلد التى لم تنفذ · يحتضنونه بحب · يقبلونه ويهنئونه ، وعدد من الضباط ، والسجانة يشاركون المسجونين عبر نظرات العطف الذى تفيض بها عيونهم · كانوا يكتفون بنظراتهم العطوفة التى تصل مباشرة الى قلوب المسجونين الذين يبادلونهم نظرات الحب والتقدير · كان هذا اللقاء الروحى أقوى من صخر الجبل الذى يحيط بهم من كل جانب · أقوى من الارهاب والتعذيب والسلاسل التى تقيد أرجل المسجونين ·

ارتفع صوت البروجى يعلن انتهاء يوم العمل ، اختلطت نغماته بأصوات المسجونين ·

ـ الله أكبر على الظالم ·· الله أكبر على الظالم ·

وفى سرعة لم يشهدها « الجبل » من قبل انتظم الجوعى وأشباه الموتى المنهكين فى مجموعاتهم ، ورنات مئات السلاسل فى أقدامهم تمتزج بنغمات البروجى وأصوات المساجين الهادرة ·

ـ الله أكبر على الظالم ·· الله أكبر على الظالم ·

انتظمت صفوف موكب « العبيد » ، يحملون « قروانانتهم » بها وجبة الغذاء من العدس ليسلمونه الى ادارة السجن لعمل محضر اضراب عن الطعام · كانت الشمس تختفى وراء الأفق · يبدد الظلام أشعتها ، ونبضات قلوب « العبيد » فى موكبهم تعلو على رنات قيودهم الحديدية التى تكبل أقدامهم ، تؤكد ثقتها وايمانها بمولد يوم جديد تشرق فيه الشمس · شمس يوم جديد لا يعرف أمراض مجتمع الاستغلال وضحاياه ·

وعلى غير العادة كان مدير الليمان يقف على الباب الكبير لليمان الذى يدخل منه موكب « العبيد » كل يوم بعد العمل الى السجن · وقبل أن ينصرف المسجونون الى زنازينهم يجرى « التمام » كى تطمئن الادارة على أن أحدا لم يهرب · فى ذلك اليوم أمر المدير بان لا يتصرف المساجين بعد « التمام » عليهم ، تحدث اليهم عن مطالبهم وأعلن أنه قد الغى كل الاجراءات التى اتخذها ، وان كل شىء سوف يعود الى حالته الطبيعية · وطلب منهم انهاء الاضراب عن الطعام · وقف

الزملاء الأصدقــاء من هيئة تحرير « الطريق » واحــدا بعــد الآخــر وأعلنوا باسم المسجونين انـهاء الاضراب عن الطعام · كانت هذه أول مــرة يتحــدث فيهــا مسجون باســم زملائه · فالمفروض أن يتكلم كل مســجون باســمه فقط وكانت هذه أول مــرة يحقق فيها المسجونون مطالبهم خلال معركة جماهيرية ·

لكن أمــرا كان مبيتا ضــد الزملاء الأربعــة الذين قادوا المعركــة وأمــرا آخــر كان مبيتا ضدنــا ، وحتى يمكن تنفيذ ما دبروه تراجــع المديــر عــن كل الاجــراءات التى اتخذهــا ·

وفى الرسالة المقبلة ، يا حبيبتــى : أحكى لك ذلك ·

١٥ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢١)

حبيبتــــى

هكذا وبالاضراب العــام عن الطعام وبوحــدة كــل المسجونين الرائعـــة تحطمت كــل الاجراءات الشــاذة التي اتخذهـــا مدير ليمان طـــرة · وصدرت « الطريق » فى اليوم التالــى من **صفحة واحــدة** ، تحيــى وحــدة المسجونين باعتبارها الأداة الفعالة لتحقيق مطالبهم · وحذرت « الطريــق » من محاولات الادارة التى لن تتوقف لضرب وحدتهم بمختلف الوسائل ، فهى أى « **الادارة** » اذا كانت قــد تراجعت فانهـــا سوف تنتهز أول فرصـــة مناسبة لهـــا للانتقــام من هزيمتها التى لــم تحدث من قبل فى تاريخ الســجون فى مصر · ومضى يومان لم يحدث خلالهما ما يشير الى أى شيء ضد المسجونين بل انهم كسبوا مزيدا من المكاسب ، وساد فى الليمان جو ودى وأخوى بين المســجونين وضباط الادارة والســجانة ، وكان مدير الليمان يتودد اليهم بطريقـــة تتعارض مع طبيعــة تكوينه الانسانـــى والنفســى ، فضـــلا عن أنـــه هـــزم فى معركة كانت موجهــة ضــده فى الأساس · وبذل مأمور السجن جهــدا كبيرا بين المسجونين كى يعود الى موقعــه القـــديم قبـــل أن يفضحوه · حتـــى نحن ؛ خففت الادارة **قيــود الحراســة** المشــددة علينـــا ، وعــاد المامـــور يتودد الينـــا بشكل مبالغ فيه · حتـــى المديـــر لــم يكن يعترض على بعض مطالبنـــا التى كان يرفضهـــا من قبل · لــم نقابـــل هذا الجـــو العـــام بالارتيـــاح ، فنحن مسجونون فى قبضتهم يســـتطيعون التنكيل بنـــا فـــى أى لحظــة وليس هناك أدنـــى شــك عند الادارة فى أننا كنـــا وراء هذه المعركـــة التى هزمت فيهـــا · فضـــلا عن أن المعركـــة كان لهـــا طابعهـــا السياســـى رغم جوهرهـــا الاقتصادى ، وبالتالى فان الدولة لن تقف مكتوفـــة الأيـــدى ، **وأن مؤامرة تدبـــر ضدنـــا** · كان هذا ملخصـــا للرأى الذى انتهينـــا اليــه بعد مناقشـــة فى مســـاء اليوم الثالث للاضراب العـــام ·

وتشـــاء الصدفـــة أن يصلنـــا فى نفس الليلة ما يؤكـــد تحليلنا للموقف · كان هنـــاك سجانان يتبادلان حراســـتنا اثنـــاء الليـــل بصفة دائمـــة ، وســـجان ثالث يتولـــى حراســـتنا خلال النهار · وكان هؤلاء الثلاثـــة لا يتغيرون خلافـــا لمـــا يتم بالنسبة لباقـــى المسجونين ، وذلك كـــى تستطيع الادارة فرض الرقابـــة على هؤلاء الســجانة وتفتيشـــهم تفتيشـــا دقيقـــا عند دخولهم الليمان أو الخروج منه ، وخوفـــا من احتمال قيامهم بادخـــال أو اخراج رسائل لنـــا · وكان من بين هـــؤلاء الثلاثة رجل معروف بشراســـته

وصلته **بالمباحث العامة** • كان هذا الرجل بموم كالمعتاد فى تلك الليلة بنوبه حراسته علينا التى تبدأ من غروب الشمس ـ موعد اغلاق الزنزانة ـ حتى منتصف الليل ، لكننا لاحظنا أن زميله فى الحراسة لم يتسلمها منه كالمعتاد ، واستمر هو فى الحراسة • فى الظروف العادية يمكن أن لا يثير ذلك انتباهنا • وضعنا علامة استفهام وقررنا رغم مقاطعتنا لهذا الرجل الذى كان دائم الاستفزاز لنا أن نجرى معه حوارا نعرف منه سبب استمراره فى حراستنا وهل هو أمر عادى ؟ أو هو مرتبط بحملة تفتيش فى الصباح ؟ هذا الرجل يأتى باستمرار فى كل حملات التفتيش ومهمته الرئيسية هى استفزازنا ، وكان خلال نوبة حراسته لا يترك باب الزنزانة ينظر من ثقبها ليرى ما نفعل . واذا غابت عينه اليمنى أو اليسرى عن ثقب الزنزانه فهو لا يستطيع أن يرى بعينيه معا من هذا الثقب الصغير ـ يتصنت علينا ليسمع ما نقول دون أن نراه • وكنا على حذر دائم منه ، ورغم مقاطعتنا له تماما الا أننا كنا نحتفظ بأحد الخيوط معه ، وكان خيطنا هو **وليم اسحق** الذى بدأ حوارا معه ، تبينا منه أن المسألة لم تكن مجرد تفتيش مفاجىء استفزازى ، وانما هو أمر أخطر من ذلك بكثير ، صاح وليم ينادى :

ـ يا شاويش (•••) « اسم الحارس الآخر الذى لم يحضر » •

ـ عاوز أيه يا مسجون ؟

ـ الله •• هو أنت • ؟

ـ لا •• خيالى •

ـ وهو الخيال بيتكلم برضه ؟

ـ عايز أيه ؟

ـ خلاص بقى ، كنت فاكرك الشاويش (•••) •

قال الرجل بضيق :

ـ لا يا سيدى •• جيت اسلمه قالوا لى ما تسلمهوش واستمر أنت •

ـ ليه هو • عيان ؟

قال ورنه الغضب فى صوته •

ـ عيان ايه ده زى الطور •

قال وليم وهو يضحك •

ـ والله ما لهم حق • • بوظوا مشروعاتك •

ـ مشروعات أيه ؟

ـ يعنى •

ـ يعنى أيه يا مسجون •

ـ يعنى •• أنت برضه لسه متجوز جديد •

اصابت الكلمة الرجل فى الصميم • وقال بأسى وحزن :

ـ وانا كنت جاهز على الآخر !

ـ ما هو أنت ممكن تستحمل ·· لكن هى بقى ·

قال الرجل بانزعاج ··

ـ هى أيـه ؟ ·· ما هى تستحمل برضـه ·

ـ على العموم ما تفكرنيش ·

ـ ما أفكركتش بايـه ؟ ·

ـ لا مالوش لزوم ·· أضايقك ··

ـ تضايقنى ؟ · ازاى ؟ ·

ـ أصل أنا حصلت لـى ظروف كده زيك ··

ـ وبعديـن ؟

ـ فى يوم كده كنت جاهز زيـك ·· ومراتى منتظرانى ·· وما روحتش ··

اشتد انزعاج الرجل وقـال :

ـ حصل أيـه بس ·· قول ·· ؟

ـ حصـل اللـى حصل بقـى ··

ويكمل ولـم

ـ على العموم ما نشبلش هم ·· مش كل الستات زى بعض

ـ أيه بس اللـى حصـل ·· ؟

ـ رأسـها وألف سـيف لازم تتطـلق ··

ـ يا ساتر للدرجة دى ··

ـ أصـل ما عندكشى فكـرة ·· الست مش زى الراجـل ·· لما تجهز ·

لازم يحصـل ··

ـ طب واذا ما حصـلش ·

ـ والله بقى ·· مش عارف أقول لك أيـه ·

ـ يا نهار أسود ·· طب دنـا مسافر بكـره ·

ـ مسـافر ·· فيـن ؟

ـ أنا عارف قالوا لـى أعمل حسـابك بكـره علشـان تسافر فى مهمـة من

الصبـح ·

ـ واسـمعنى انت يعنـى ؟

ـفيه سجانة تانيين وضباط ·· راح يسـافروا ·

ـ همه راح ينقلوا السجن والا أيـه ؟

ـ أيـه بتهزر ؟

ـ على العموم ما تاخدش فى بالك ·· راح تتأخر كتير ·· ؟

ـ أنا عارف راح اتهبب قـد أيـه ·· الله يخرب بيت بتوع السياسة ··

ـ وبتوع السياسة مالهم ·· ؟

ادرك الرجل انـه قـد استدرج ، عرفنـا نحن اننا سـوف **نرحل** فـى الصباح **الى اين ؟ هذا ما لا نعرفـه** · هـل يعرف الرجل ؟ واستمر وليـم فى حـواره **الطريف** معه · وبـدأ **مجدى فهمى** يعاونـه الزملاء فى **الاستعداد** للرحـلة

الى **المجهول** صباح الغـد • أخـذوا فى تخبـئة ممتلكاتنـا من نقود وكتب لأخذهـا معنـا • سلاحنـا الدائـم معنـا هو الكتب • ونحن دائما جاهـزون للرحيل نأخذهـا معنـا اينما نذهب وبوسائلنا الخاصة •

ويستمر **وليم اسـحق** فى حواره مع السجان :

ـ وراح يودوا الاخوان المسلمين فين ؟

ـ ما أعرفش • أنـا قلت حاجـة ؟

ـ ولا أنا سمعت حاجـة •

ـ أمـال بتسـأل عن أيـه • • ؟

ـ يا شاويش (• • •) احنـا رجاله وانت عارف •

ـ وأنا مالـى •• رجاله ولا مش رجالـه ••

ـ يعنى رقبتنـا ولا يمكن نقول ان احنـا عرفنا منك حاجة

ـ حاجة أيـه ؟ وأنـا قلت حاجـة ؟

ـ يعنى •• احنـا برضـه بنفهم ••

ـ وفهمت أيـه ؟

ـ فهمت اننا راح نترحل بكره •

ـ وفهمت من مين ؟

ـ يعنى •• الكلام أخذ وجاب معاك • •

ـ لكن أنا ما قلتش حاجـة ••

ـ يا راجل واذا كنت قلت •• احنا رجالة •• رقبتنـا يا شاويش (• • •) •

ويرد الرجل مسـتعطفـا • •

ـ لكن أنا عملت فيكو كثير ••

ـ يا راجل ما تقولش الكلام ده •• احنا اخوات ••

ويستطرد الرجل بنـدم :

ـ صحيح يا أخى •• لسانك حصانك ان صنته صانك •

ـ يا راجـل ولا كأنـى سمعت حاجـة •• لكن راح يرحلونا فين ؟

ـ لا ما أقدرش أقول بقـى ؟

ـ على العموم •• يعنى راح نعمل ايـه لو عرفنـا راح نترحل فين ؟

ويرد الرجل بـود لـم نعهده من قبل ••

ـ ربنـا معاكـو ••

ـ اهو سجن زى كل السجون ؟

ـ مين عـارف ••

ـ حيكون أيه يعنى •• أبو زعبل ؟ • كنا هناك ••

ـ يا ريـت ••

ـ فيه اكتر من ابو زعبـل ؟

ـ ايـوه فيـه ••

ـ فين ؟

ـ **وراء الشمس** ·

وانصرف الرجل ، وعبثا راحت كل محاولات وليم لمعرفة هذا المكان الذى يقع **وراء الشمس** · واخذنا نضرب أخماسا فى أسداس · ربما سنرحل الى **معتقل الطور** ؟ لكن معتقل الطور يستقبل منذ العهد الملكى أفواجا من المعتقلين واصبح مثله مثل كل السجون · ولم نصل الى تحديد هذا المكان الذى سنرحل اليه صباح غد والذى يقع وراء الشمس · كان من الضرورى أن ننقل هذا الخبر الى زملائنا فى **الزنزانة المجاورة** · وصاح وليم باعلى صوته :

ـ دكتور شريف حتاته ·

وصاح السجان :

ـ اسكت يا مسجون ·

ـ يا شاويش عاوز أسال الدكتور شريف على اسم دوا ·

ـ طيب قول وانا اساله ·

ـ أصل اسمه بالانجليزى ··

ويصيح شريف من الزنزانة المجاورة ·

ـ فيه ايه يا وليم ·· مالك ؟

ويقاطعهما السجان :

ـ اسكت يا مسجون أنت وهو ··

ويقول وليم :

ـ يا شاويش طيب هات ورقة وقلم علشان أكتب اسم الدوا للدكتور شريف ·

ويطير صواب السجان ويصيح باعلى صوته :

ـ يا نهار أسود ·· ورقة وقلم أنت عاوز توديني فى داهية ·

ويقول وليم :

ـ طيب تعالى اساله أنت

ويحضر السجان ليعرف اسم الدواء ويطلبه من الدكتور شريف ، ويقول له وليم كلام باللغة الانجليزية لا يستطيع السجان أن يستوعب كلمة منه · وأخيرا يقترح وليم ان يطلب من الدكتور شريف أن يقف على «**جردل البول**» وسيقول له اسم الدواء أمامه · يقبل السجان الاقتراح بعد أن يطلب منه بالحاح أن لا يقول له شيئا عن مسالة ترحيلنا · وينقل وليم الخبر الى الدكتور شريف حتاتة بالانجليزية ويدور بينهما حوار بالانجليزية ، سريع ولكنه ينتهى الى اتفاق حول ضرورة مواجهة وضعنا الجديد بوحدة تامة لا تسمح باى فرصة لاستغلال الخلافات السياسية بيننا · كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا وكنا قد اعددنا انفسنا للرحلة **الى المجهول** ، الى وراء الشمس كما

وصـــفه السـجان · أخلينـا كـل المخابـىء من ثروتنـا الثمينة من الكتب ، وقمنـا بتخبئتها بوسـائل خاصـة تتبع عند الرحيـل · وبـــدأ دور مجدى فهمى المعروف · أخذ يحدثنـا بطريقتـه العبقريـة فى رفـع معنوياتنـا وشحذ هممنـا ، وتأكيـد ايماننـا بالقضية العادلـــة التى وهبنـا حياتنـا مـــن أجلهـا ، قضية مصر الحبيبـة وشعبها العظيم وترابهـا المقدس · ثـــم أخذنـا نردد نشيد بلادى · بلادى · ونغنـــى أغانـــى سيد درويش · ومـع الأشعة الأولى لشمس اليـوم الذى سنرحل فبـه الى المجهول كنا نغنـــى : طلعت ياما أحلى نورها ، شمس الشموسه ، نعم ما أحلى نور الشمس الذى يجدد الحيـاة حين يعطـى اشـارة العمل للكادحين · ما أحـلاه حتى لنـا نحن الذين لا نعرف حتى هذه اللحظـة ، أي مكـان هذا الذى سنرحل اليـه ، هذا المكان المجهول الذى يقـع وراء الشمس · ·

كيف رحلنـا ؟ والى أيـن ؟

الى الرسالة المقبلة يا حبيبتـــى ،،

٢٠ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٢)

حبيبتـــى

الايمــان ، الالتزام ، اليقين ، الانتمــاء ، كلمات تتداولهــا كثيرا أدبيات السياســة والفكر والأيديولوجيــة • والمناضلون هم أكثر الناس ادراكــا ووعيــا بدلالاتها لأنهم يعيشونها ، لكن المحــن المختلفــة التــى يتعــرض لهـــا المناضلون ، وبصــفة خاصــة فى السجن تجســد أمامهم كــل ما تعبر عنهــا من مسئولية • فان تكون مؤمنــا بفكرة ، ملتزما بالنضـــال من أجلهــا ، وعلى يقين من انتصارهــا ، وتتحمل مســئولية الانتماء اليهــا وأنت خارج السجن أمــر مختلف تماما عنــه وأنت داخلــه • فى الســجن تجــد نفســك أمــام اختبــار حاسم أمــا الاستمرار مهما كانت التضحيات ، أو الانهيــار والاستســلام • والثورى انســان تمر بــه لحظــات **ضــعف** كما تمر بكــل انســان ، لكن ما يفــرق **الثورى** عن **الانسان العادى** ، هـــو قدرته على التغلب على تلك اللحظات من الضعف ، بالتغلب على الــذات وهذه هى **البطولــة** •

ولحظــات **الضعف** التى مــرت بى وبزملائى خــلال الساعات القليلة التــى سبقت ترحيلنــا الى « **وراء الشمس** » كانت من أقسى اللحظات التى مــرت بنــا خــلال الســنوات الســابقة ، **فى ســجن مصر** ، **وليمــان ابو زعبل** ، **وليمــان طــره** ، كدنــا نصل الى يقين باننــا ذاهبون فى مكــان لاتمتـــد اليــه الا يــد البطش والارهاب والتعذيب **حتى الموت** • ولم يكن امامنــا كى نجتــاز تلك اللحظــات الرهيبــة من الضعف الانسانى الا أن نؤكــد مــن جديد المعانــى العظيمة التى تحملها كلمات الايمان ، والالتزام ، واليقين ، والانتماء تــارة بمخاطبة عقولنــا ، وقــد توليت أنا هذه المهمــة ، وتـــارة بمخاطبة الوجدان ، وتولاها **مجدى فهمى** باسلوبه الساحر وتارة باستثارة كل مكنونات الانسان الخيرة وقــام بهــا **وليم اسحق** ، ثــم بحماس الشبــاب واندفاعه وكان **محمــد خليفــه** ــ عمره يومذاك ١٩ ســنة ــ ونحن نــردد وراءه الاناشيد الثورية والوطنية ، ثــم وحتى الدقائــق الأخيرة لمعرفة المكــان الذى سنذهب اليــه ، باستعادة مواقف بعض الرواد الأبطال الــذين عــرفتهم البشرية فى مختلف الميادين السياسية والعلمية والدينيــة • هكذا قضينــا **الساعات الأولى** من صباح يــوم ترحيلنا بعــد فتح بــاب الزنزانة ، كــان **المأمور** على رأس **الحملة التى** قامت بالتفتيش بطــريقة عــادية تمامـــا •

لاحظ المأمور وجـود رمـاد ورق محروق فى « جردل البـول » هز رأسـه وابتسم ابتسامة خبيثـة وقـال :

— أيـه الورق المحروق ده ؟

— كنـا بنعمل شـاى ٠

— شـاى ولا شيوعيـة ؟

— ظـريفة ٠

— عجبتك ٠٠ ؟

— تعجب الباشـا ٠٠

— ما خلاص مفيش باشوات

— كل سنة وأنت طيب

— قصـدك أيـه ؟

— قصدى اللى قلتـه

— والمعنى فى بطن الشـاعر طبعـا ٠

— فى اى بطن تعجبك

— كلام يحاسب عليـه القانون ٠

— قـم بواجبك

— غلبت وغلب غلبى معاكو

— ولسـه

وابتسم الرجل ابتسامة ماكـرة حاقدة ، وقال بصوت كـريه :

— كل واحـد يلم هدومه راح نرحلكو من هنـا

— فين ؟ ٠

— راح تعرف لما توصل

وتحـرك الرجل بخطوات متثاقلة نحو باب الزنزانة ، وقال :

— سيبوهم ياخدوا الورق اللى عاوزينـه ٠٠ هو مين هناك راح يقـرا مجـلات !

وقال سـجان :

— والكتب يابيـه ؟

— ياخدوها معاهم ٠٠ مفيش أى خطـر منها هنـاك ٠٠

ويستطـرد :

— وكمان اذا لقيتوا منشـورات سيبوها لهم ٠٠ لاضرر منها هنـاك ٠٠ الشطارة بقى تجيبوا غيرها ٠

ويـرد عليه مجدى فهمى بتحـدى ٠٠

— طول مافينا نفس ٠٠ لن يتوقف نشاطنا ٠

وينصرف الرجل مسرعا ٠٠ بينمـا يقـوم السجانة بتفتيش شكلى ٠٠

ويهمس ضابط صديق :

ـ **الواحات الخارجة ..**

ويهمس آخــــر :

ـ شدوا حيلكو .. ربنــا معاكو ..

الواحات الخارجــه ! من هو هذا الفاشى الذى تفتق ذهنــه الشرير عــن فكــرة **نفينــا فى قلب الصحراء** . كــان الفاشست يلقــون بالمنـــاضلين الوطنيين الى **أفــران الموت** . وهؤلاء الفاشست ، هل بسوقونا الى المــوت جوعــا وعطشــا هــل دبروا لنــا الموت **بسم الثعابين فى الصحراء** . وانتبهنا فجأة على صوت سجان شرير يقــول :

ـ لدغــة « **الطريشة** » هناك هــى والقبر على طول . .

وترتسم ابتسامة هادئة على وجــه **وليــم اسحق** ويقــول :

ـ مين عارف .. يمكن أول لدغــة « **طريشة** » تكون من نصيبك .

وتظهر ملامح خــوف على وجه هذا السجان الجبــان . لحظـــة صمت رهيب .. يقطعهــا صوت **الضابط الصديق :**

ـ يا جماعة ما تسمعوش كلام السجان ده .. مش للدرجة دى .

ويصيح فى الســـجانة :

ـ يالله بقى .. مش خلاص ؟

ويلتفت الينــا ويقول بصوت ودود :

ـ شــوية كده .. ارتاحوا .. لغاية ما ننادى عليكو ..

وتمضى أكثــر من ساعة ، لم نتوقف خلالها عن الحديث بعــد أن اغلقت علينــا الزنزانة من جديد . **مجدى فهمى** باسلوبه البسيط المقنع يؤكــد لنــا أن النظــام أضعف من أن يقــوم بعمليــة ابادة جماعية لنــا ، فمثل هــذا العمل الاجرامى لايمكن أن يمــر بسهولة ليس فى مصر فقط ، وانمـــا ايضــا فى العــالم التقدمى . ويذكرنا بموقف القــوى التقدمية ومساندتها لنا خلال **الاضرابات عن الطعام** التى قمنا بهــا **ووليم اسحق** بصوته الانسانى العميق يحدثنا عن بطولات الذين استشهدوا من أجل **أفكارهم وآرائهم . ومحمد خليفه** بصوته الجهورى الذى يفيض شبابا وحيوية ينشد وترتفع أصواتنا وراءه تقــول بكل التحــدى ..

ـ تنتتونا فى المنافــى .. واملأوا منــا السجون .

سوف تأتيكم ليــالى .. برقها عصف المنون

ثــم تنضم أصواتنا الى أصوات زملائنا فى الزنزانة المجاورة ..

بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادى .

وتتفتح الزنازين .. وتستمر اصواتنــا جميعــا تردد من الأعماق مصر انت اليوم حــــرة .. فوق جبين الدهــر درة .

يا بلادى عيشى حــرة .. واسلمى رغم الاعــادى .

وبين صفين من السجانة الذين يحملون **البنــادق والرشاشات** ، تعـــلو **هتافاتنا بحياة مصر وشعب مصر ، وبالديمقراطية ، والحريات السياسية ،**

انتظار ترحيلهم تمتزج مع أصواتهم التي تردد .. **الله أكبر ولله الحمد** .. وتصل أصواتنا الى أسماع عدد من **الأخوان المسلمين** الذين سبقونا في وبالقرب منهم جلسنا نتبادل معهم النظرات الودودة والكلمات الخاطفة المشجعة (كنا قد نظمنا معهم مناقشات سياسية ساكتب لك عنها في رسائل مقبلة) ..

وكان **مدير الليمان** يقف منفوشا كالديك الرومي ، يحيط به عدد من السجانة يحملون **سلاسل حديدية** ، طويلة ، وغليظة ، وعدد آخر يحمل **مطارق وسنادين** ، وارتفع صوته المرتعش يقول :

– أي نوع من المقاومة ستقابل **باطلاق الرصاص فورا** .

وترتفع أصواتنا :

– دماؤنا فداؤك يا مصر

ويعود صوت المدير يردد :

– أي خروج على النظام .. معناه عصيان ، والعصيان في السجن يقابل **بضرب الرصاص فورا** .

ماذا يريد المدير من وراء ترديده هذه الكلمة ؟

هل تبدأ مؤامرة أبادتنا باطلاق **بعض الرصاصات الميته** لبعضنا لارهاب من يبقى حيا . ترديد هذه الكلمات اذن هي محاولة لاستمزازنا وجرنا جرا الى **المؤامرة** . وبسرعة اتخذنا قرارا بالتوقف تماما عن الهتافات وترديد الاناشيد . ومضت دقائق في صمت رهيب ساد الجميع ، المسجونون المساقون الى « **وراء الشمس** » والسجانة الذين يحرسونهم ، والضباط الذين لا يعرف أكثرهم ما يجري وما سوف يجري لنا . حتى المدير نفسه توقف عن اصدار الأوامر واطلاق كلمات التهديد . صوت قطار يأتي من بعيد يبدد هذا الصمت الذى ران على الجميع ، ودخان أسود كثيف يخرج من مدخنة القطار ليغطي سماء حوش الليمان ، ويتلاشى بسرعة في أشعة الشمس القوية حين يتوقف نعيق « **قطار الموت** » ويهمس صوت الضابط الصديق ..

– ارجوكم .. نفذوا الأوامر .. وتوقفوا تماما عن الهتافات والاناشيد .

لقد صح ما توقعناه اذن . هذا الصوت الودود المخلص نثق فيه . حياتنا ثمينة ويجب أن نحافظ عليها . كانت هتافاتنا واناشيدنا من أجل رفع روحنا المعنوية ولقد أدت دورها . حقا ، ان الانسان موقف . لقد اخترنا بارادتنا موقفنا قبل السجن .. النضال من أجل حرية مصر وحق شعبها في أن يحيا حياة كريمة . . وهو موقف ازداد اقتناعنا به خلال للسجن رغم التعذيب والأرهاب ، ولن نحيد عنه حتى آخر لحظة من حياتنا ، وفي هذه اللحظة الحرجة التي تتعرض فيها حياتنا للخطر لن يكون تصرفنا « دون كيشوتيا » . نعم لن نساوم على افكارنا ، ولن نستسلم

للارهاب · ولكن يجب أن ندرك أن شعرة واحدة تفصل بين الموقف النورى وبين الموقف المغامر · وقررنا أن ننفـذ نصيحة **الضابط الصديق** ·

وارتفع صوت المديـر فى محاولة أخـرى لاستفزازنا وجرنا الى **معـركة المـوت**:

ـ أكـرر مـرة ثانيـة ·· أى حركة من أى مسـجون ستقابل **بضرب الرصـاص** ·

ويلتفت الـى حاملـى **البنادق والمدافـع الرشاشة** :

ـ الجنود ·· **فى وضع الاستعداد** ··

وفى لحظـة رأينـا أفواه البنـادق والرشاشات مصوبة الى **صدورنا** ··

ويسود الصمت الجميع ·· **لاكلمة واحدة من أحـد ·· بل ولا حـركة** · **نحن والاخوان المسلمون** نجلس القرفصاء على الأرض · أفـواه البنـادق مصوبة **نحونا** · والجنود يحيطون بنـا من كل جانب ، **والقطار** يقف بعيدا عنـا ، وفجأة يبـدد هذا الصمت الرهيب صوت « **البروجى** » يعلن قـدوم « **اللـواء** » مديـر مصلحة السجون وبرفقته عدد من **ضباط الجيش** والسجون وعدد من **الأفنـدية ضباط المباحث العامة والمخابرات** · يتقـدم اليهم مديـر الليمـان والمأمور ·· يلقون اليهم التحية ·· ويتقدمون جميعـا نحـونا · ويرتفع صوت غليظ ··

ـ انتبـاه ··

ونقف جميعـا صفوفا منتظمـة ··

ويرتفع الصوت الغليظ مـرة أخـرى :

ـ أقعـد ··

ونعـود الى جلسـة القرفصاء « الدبـز »

ويعود الصمت مـرة أخـرى ، لكن همسا يدور بين أصحاب « **الكابـات** » الحمراء **والنياشين الكثيرة** على صدورهم ، و « **الأفنديـة** » **الذين** تبدو عليهم البساطة اذا قورنوا بزملائهم القادمين بصحبتهم ، ولكن الحقيقة انهم هـم أصحاب الأمـر والنهى · ويستمر الهمس دقائق تمـر كالدهـر ، نشـعر خلالهـا بأن آخـر أنفاسنا معلقـة بمـا يدور بينهم من همس · ربمـا يعنفون مديـر الليمان الذى لـم ينجح فى تدبيـر **مجـزرة** يروح ضحيتها عدد منـا ؟ ربما يدبرون **مؤامـرة بديلة** ؟ ويناقشون « أفضـل » طـريقة لاستفزازنا ؟ ·· على أى حال لن نستجيب لأى نـوع من أنواع الاستفزاز ، دون أى تفـريط فى كرامتنـا ، كمـا لن نقبل أى اهانة لافكارنا ·

ورأينـا على البعـد ·· واحدا من « **الأفنـدية** » يقبل نحونا ، الابتسـامة الصفراء تكسو وجهـه · يبدو أنه رجل **مخابرات خطير** ، ويصيح سجان بصوته الغليظ :

ـ انتبـاه ··

ونقف صفوفا فى انتظـار القادم · ويهمس الضابط الصديق :

ـ لا تستجيبوا لأى استفزاز ..

ويذهب سريعــا الى الاخوان المسلمين يبلغهم رجاءه .

ماهوذا « الأفندى » يسير بين صفوفنــا فى خيلاء وغطرسة الجبنــاء ، ينظر لينا ، ويقف بين الحين والحين أمام واحد من الزملاء . واستمر هكذا دون أن نطق بحرف واحــد . لكن ابتسامته صفراء تكسو وجهه الجامد الخـــالى ن أى تعبير ثــم عــاد الى « **هيئة أركان حرب** » وراح يتحدث معهم ، وساد لصمت مــرة أخــرى . التفت الينــا الضابط الصديق وتبادلنا معه ابتسامات دودة ، ثــم تركنــا واتجه الى حيث يقف **الضباط الكبار والأفنديات** بعــد ن همس لنــــا :

ـ اروح أشــوف الاخبار .

ما الذى كان يريده ، هذا « الأفنــدى » ؟ وما معنى صمته التــام ؟ أنــه ـم يوجــه الى أحــد منــا كلمة واحــدة لاستفزازه ، فقط كــان ينظر الــى يوننا ، ما الــذى كــان يريــد أن يراه فيها ؟ أنــه بالتأكيد لــم يــر فى يونــا شيئا مما كان يريــد ان يــراه . لــم ير مبها غير بريــق التحـــدى الاصرار . وهؤلاء البشر يا حبيبتى جبنــاء .. أنهم بكل ما يماكون من دوات البطش والتعذيب والارهاب يجبنون أمــام نظــرة تحدى واحـــدة . لقــد شهد الرجل عشرات من نظرات التحدى والاصرار ، فهل عــدل عن تنفيذ مهمته التى جاء من أجلها ؟ ولماذا ؟ ربما استفقظت فجــأة نبضـــة ن ضميره الميت فاستجاب لهــا انسانيا ، وربمــا جبن أمــام نظــرات لتحدى التى وجدها فى عيوننــا . ونرى من بعيــد الاجابة على وجه الضابط لصديق القــادم الينــا من جديد بعــد أن أصدروا اليــه الأوامــر التى لــم سمعهــا . كنــا نعــرف ما يريــد أن يقوله لنــا من خــلال تعبيرات وجهه، كنــا قــد امتلكنــا القــدرة على أن نعــرف ماذا تحمل لنــا ابتسامته حين تكون انسانية ودودة . وحين تكون حزينــة ، وعرفنــا من ابتسامته كــل شىء قبل أن يقــول لنــا :

ـ اطمئنوا أنا سأسافر معاكم ..

مهمــا يكن الأمــر ، فان وجود هذا الضابط الصديق معنــا سوف يخفف كثيــرا من آلام رحلة العذاب الى « **وراء الشمس** » .

قــال [illegible] :

ـ [illegible] ان [illegible] كل الأوامــر حتى [illegible] . اتفقنا؟

ـ اتفقنـــا ..

وبــدأت عمليــة اعدادنا للسفــر الى **الواحات** ، عمليــة تستحق رســـالة بكاملها . فالى الرســـالة المقبلة يا حبيبتى ،،

٢٢ يونيــو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٣)

حبيبتـــى

فى حديقة الحيوانات ، يضعون الوحوش المفترسة فى أقفاص من الحديد كى لا تفترس الناس الذين يتفرجون عليهــا • وفى السجون يضعون **المحكوم عليهم بالأعــدام** فى زنازين تشبه هذه الأقفاص ، ليس خــوفا منهم علــى الناس ، ولكن خوفا عليهم ! فمهمــة الحارس الذى لا يفارق قفص المحكــوم عليه بالأعدام هى أن لا يعطيه فرصــة **الانتحــار** ! فهل كانوا يخافون علــى الناس منــا ، أم يخافون علينــا حين كدسونا مقيدين **بالسلاسل الحــديدية الغليظـة** فى أقدامنا داخل أقفاص الوحوش المفترسة ، الملحقــة بالقاطـرة التى جرتهــا الى **الواحــات** ؟ لا هذا ، ولا ذاك بالطبع ، وانمــا كـــانوا يخافون أن نهــرب ! **الشيطان** نفســه لا يستطيع أن يهرب لو قيدوه بالسلاسل كمــا قيدونا ، ووضعوه فى زنزانة جدرانها من اسياخ **الحــديد الصلب** ، **وعلى** كل باب من أبوابها يجلس **حارسان** يمسكان **بالمدافع الرشاشــة** وكل خمســة أشخاص **مقيدون بسلسلة واحدة غليظة** ، اذا تحــرك شخص واحــد فلابــد أن يتحــرك الأربعــة الآخــرون معه ، وفوق هذا كله فالقطــار يجرى بسرعة لا تقل عن ٦٠ كيلو متــرا فى الساعة !

مازلت أذكــر بكل التفاصيل الصغيرة عمليــة اعــدادنا للترحيــل الــى **الواحــات** • قسمونا الى مجموعات ، كل مجموعة من خمسة زمـــلاء ينـــادون عليهم بالأسم من كشف كان فى يــد المديــر • بعــد أن يتجمع الخمسة يحيط بهم ٤ سجانة وضابط ويذهبون الى ورشة الحدادة فى الليمــان حيث يجرى **دق السلاسل فى اقدامهم** ، فى سلسلة طويلة ، ثــم يذهبون الى « الزنزانة » فى القطار وفى كل « زنزانة » تكدست خمسة مجموعات • أى ٢٥ زميــلا فى زنزانة لا تزيــد مساحتها عن ٢ × ١٫٥ متر • جدرانها من أسياخ الحديد الصلب ، وسقفها الواح سميكة من الحديد كذا أرضيتها العارية تماما الا من الأوساخ والقاذورات • وبعــد أن انتهوا من عمليــة تكبيل كل **الزملاء والاخوان** المسلمين وتكديسهم فى « زنازين » القطار ، وقبل أن يتحرك القطار نحــــو رحلة « المجهول » شهدنا من خــلال القضبان مشهدا بشعا تــرك فى أعمــاقى جرحــا لن يندمل أبـــدا •

كان أصحاب الكابات الحمراء على الرؤوس والنياشين الكثيرة على الصدور • ومعهم « **الافنديات** » ومدير السجن يقفون بعيــدا فى ركن من أركان حــوش

الليمـان ، وكان عـدد من السجانة يحمل « **العروسة** » ـ التى تستخدم لجلد المسجونين ـ وينصبونها فى وسط حوش الليمـان • وبعـد قليل شـــهدنا اثنين من زملاءنا المسجونين من هيئة تحرير « **الطريق** » ـ وقـد كبلت أقدامهم وأيديهم **بالسلاسل** ، يجرهم السجانة وعلى راسهم المأمور • وعند العروسة يصدر المأمور أمـرا بفك سلاسل أحـد الزميلين واعـادة تقييده « بالعروسة » ثـم يصدر أمـرا بالجلد • أكثـر من ربع ساعة كان سجانان يتبادلان ضرب الزميل بالكرباج على ظهره العـارى تماما ، ولم تصدر عن الرجل آهه واحدة أو صرخه • ثـم اعادوا تكبيله من رجليه ويديـه بالقيود الحديدية • وتتكـرر المشهد مع الزميل المسجون الآخر • لو أن هـذه السياط نزلت على ظهـرى مـا تألمت مثلمـا تألمت فى تلك الدقائق • كنت أرى الألم يعتصر زملائى الذيـن يشاركونى **القيـد الحديدى** • كنـا نتبادل الألم ولا نستطيع عمل أى شيء حتى مجـرد تشجيع الزميلين الذين تحملا ضربات السياط بتشجاعة نـادرة، وتحد كبير • كنـا نعلم أنهمـا ينـالا جزاء صداقتهم لنـا وصلتهم بنـا • وتبادلت مع **مجدى فهمى** الذى كـان يشاركنى **القيـد الحديدى** حوارا بالـغ الأهميـة فى دلالتـه ••

ـ انهما يؤديان ضريبة صداقتهما لنـا •

ـ بالتأكيـد بعـد أن فشـلوا فى الحصول على اعتراف منهما •

ـ من أين يستمدون هذه الشجاعة النادرة ؟

ـ انهما وغيرهما ليسا سوى صديقين ؟

ـ وهما يتعاطفان معنـا انسانيا فقط ؟

ويتدخل **وليم اسحق** ـ وكـان فى سلسلة أخـرى ـ :

ـ وهل لا يكفى هذا ؟ التعاطف الانسانى هو الأساس •

ـ وهل نقف هكذا مكتوفى الأيـدى ؟ •

ويضحك وليم ، ويقـول :

ـ ألسنا مكتوفى الأيـدى والأرجل كمـان ؟

وأبادله ابتسـامة من بعيـد :

ـ ألسنتنا لـم تصل اليهـا القيود الحديدية بعـد

ويتدخل **مجدى فهمى** :

ـ يمكن ان يسكتوها الآن ، والى الأبـد ••

ـ ثمة احتجاج على الأقـل ••

ـ ربمـا تكون هذه الكلمة الدليل الذى لم يستطيعوا الحصـول عليـه منهمـا •• ويستطرد ••

ـ وربما تكون كلمـة السر •• بعدها تنطلق مؤامـرة لذبحنـا كلنـا او بعضنـا

ـ معك حق •• ليس أمامنا الا أن نعتصر الألـم ••

ـ ما يخفف آلام اللحظـة •• أن تعايش المستقبل فـى الوقت ذاتـه •

ويأتى صوت وليم اسحق الساخر :

ـ لحظة ونفوت ولا حد يموت ٠٠ ياعم درش ٠

وتهدأ نفسى الثائرة قليلا ٠٠ لقد كدت أن ارتكب « حماقة » كنت على وشك أن أصرخ احتجاجا على تعذيب الزميلين هذا التعذيب الوحشى لمجرد انهما صديقان لنا ٠ ولو اننى فعلت ذلك فقد كان من المؤكد أن جميع الزملاء كانوا سيحتجون بمختلف الطرق ، الأمر الذى كان سيعطيهم مبررا لاطلاق الرصاص علينا ٠ مجدى فهمى بهدوئه وسلوكه الموضوعى هو الذى منعنى من ارتكاب هذه الحماقة التى كانت ستكون بالتأكيد اشارة البدء للمؤامره التى كانوا يدبرونها وفشلوا حين لم يجدوا مبررا لها ٠

وتنتهى عملية جلد الزميلين ٠٠ ونشهدهما يساقان مرة أخرى الى زنازين « التأديب » أيديهم مكبلة بالقيود وأرجلهم مقيدة بالسلاسل ، ومن ورائهم نشهد موكب الضباط الكبار والأفندية يسير ناحية مكاتب الادارة ، وتزعق صفارة القاطرة بصوت مزعج بينما تنفث مدخنتها دخانا أسود كثيفا ، يكاد يخفى أشعة الشمس الساطعه ، ايذانا ببدء الرحلة الى ما « وراء الشمس » ٠

الناس حين يسافرون الى بلاد أخرى يذهبون الى محطات السكك الحديدية أو المطارات ٠٠ لكن أمثالنا من البشر تاتى اليهم القطارات حيث يسكنون ، والناس ياحبيبتى مقامات ! لم يكن منظر القطار غريبا علينا . فقد كنا نراه يوميا فى الجبل يملأ المساجين عرباته بالاحجار البيضاء التى يكسرونها من الجبل بالديناميت ، لكننا لم نر أبدا قطارا داخل حوش اللبمان ، لكنا كنا نرى قضبانا ، وأذكر اننا كنا نسأل عن سر وجود هذه القضبان التى لا تسير عليها قطارات ، وعرفنا أن الاحتلال البريطانى الذى قام « جنوده » بتشييد هذا الليمان الضخم كان يستخدم القطار فى نقل الاحجار من الجبل الى موقع البناء ، اختصارا للوقت والتكلفة حتى تم تشييد الليمان الذى لم يدخله القطار بعد ذلك الا من أجل أن يحملنا الى الواحات ! وكانت هذهأول مرة يخرج فيها القطار من الليمان محملا « ببشر » ٠ وكانت هذه أيضا أول مرة يسير فيه قطار خاص فى بطن الجبل عرباته من زنازين ، وليست عربات بضائع فكل القطارات التى اخترقه ، كانت تحمل احجارا وليس « بشرا » ! هكذا كان الحال منذ الاحتلال البريطانى ، وكان هذا هو الجديد ! ومتى ؟ بعد الاستقلال وتوقيع اتفاقية الجلاء !

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشر ظهرا حين خرج القطار من بوابة السجن ٠ كان من المألوف عند خروجنا فى موكب العبيد اليومى الى الجبل او العودة منه أن نرى أمام بوابة السجن عددا كبيرا من اهالى المسجونين يلوحون على البعد لذويهم الذين يلمحونهم خلال ذهابهم أو عودتهم فيطمئنوا الى انهم ما زالوا على قيد الحياة ٠ وكنا نرى ايضا الاهالى الذين

يأتون للزيارة ، ونـرى باعـة الفاكهة والمرطبـات منتشرين في المنطقـة يقدمون للأهالي بضاعتهم • وكثيرا ما كان طابور العبيـد ينتظـر مـرور القطار المتجه الى حلوان أو القـادم منهـا • فمن المعتاد أن يتخطى الطـابور قضبان مترو حلوان ، وكنـا نأنس كثيرا لركاب قطارات حلوان خاصة اذا استطاعت عيونـا أن تلتقط صورا غير واضحة المعالم لامرأة أو فتـاة • كنـا نـرى كل يوم خـلال ذهابنـا الى الجبل أو عودتنـا منـه صورا مـن صور الحياة التي لاتتوقف ، فيزداد حبنـا للحياة ويزداد تعلقنـا بهـا ، ويتضاعف أملنـا في أن نعـود اليهـا يومـا •

لكنهم في ذلك اليـوم **حرمونا** حتى من هذه **الصورة الانسانية** ، المنطقة خالية تماما من أي انسان سوى **طابور طويل** من الجنود يقف على **الجانبين** يبـدأ من بوابة الليمـان وينتهـي عند بطن الجبل ، يحملون **المدافع الرشاشة** الموجهة الينـا نحن الذين نقبع فـي **الأقفاص الحديدية** وأقدامنـا مكبلـة **بالقيود الحديدية** ! وعلى بابي كل « **زنزانة** » يقف حارسـان في ايديهمـا **المدافع الرشاشة** ! والى جوار القطار الذي يسير ببطء شديد تجري عـدد من الخيـول التـي يمتطيهـا ضبـاط السـجن ، تبطـيء أحيـانا وتسرع أحيانا أخـرى • وعلى البعـد يقف مديـر الليمـان ومأموره مـع **أصحاب الكابات الحمراء والأفندية** ، ويسير قطارنا نحو **المجهول** بين قطارين **أحدهما** قـادم من حلوان والآخـر متجه اليهـا وقـد أخليـا تمامـا مـن الناس • تـرى كم ساعة تعطلت خلالها أعمـال الناس القادمين من حلوان أو الذاهبين اليهـا ؟ وهل يعرفون أسباب هذا التعطل ؟ ومن الـذي يحملونـه مسئولية تعطيلهم عن أعمالهم ؟ وتحمل القضبان التي اعتادت أن تحمل قطـارات الاحجار قطـار **زنازيننـا** الى محطة مصر ، ولكن من خارج القاهرة **وليس** من داخلها • وهكذا سـار القطار من **ليمـان طـره** حتى محطة مصر بين رمال كلهـا صفـراء • ونباتات كلهـا شيطانية على سفوح الجبال ، والتـلال • محطـة مصر التي لا تتوقف فيهـا حركة ركاب الوجهين البحـري والقبلي كانت خاليـة تماما منهم • وعلى رصيف قطار الصعيد كان يقف طابوران من جنود البوليس يمسكون **بمدافعهم الرشاشة** ومعهم عدد من **ضباط البوليس** وعدد من « **الأفنـدية** » يروح ويجيء على طول الرصيف ، وينتشر هنا **وهناك** عـدد من لابسي الجلاليب واللبـد الذين يعرف هويتهم كل النـاس ، **جميعهم** ينتظرون مقـدم قطارنا ! على البعـد كنـا نـرى مجموعات مكدسة مـن البشر ،، في انتظار الانتهاء من هـذه الحـالة الشـاذة ليركبـوا قطاراتهم • **وما أن يقف « قطارنا »** على رصيف الصعيد حتى نسمع **صيحة مدوية لامرأة** تبـدد السكون الرهيب الذي فرضوه على الناس والمكـان في عز الظهيره •

ــ **الدسـتور •• الدستور** •

وكأنما أصابت هذه الكلمة الناس الواقفين في انحاء المحطة **بمس كهربائي**،

واذا بأصوات عديدة تعلو فى قوة ، أصوات اهتزت لها مبان محطة مصر ٠

ـ الدستور ٠٠ الدستور ٠٠

وترتفع أصواتنا من كل « **الزنازين** » ـ **نحن والاخوان المسلمين** فى صوت واحد :

ـ **الحرية ٠٠ الدستور ٠٠ الاحزاب**

وفى لحظة واحدة تختل كل اجراءات الأمن المشددة ٠٠ ولايستطيع البوليس المدجج **بالسلاح** ولاصيحات « **الأفندية** » من أن توقف زحف أهالينا والجماهير التى تعاطفت معها نحونا ونحن قابعين فى « الزنازين » تنوعت الهتافات ٠٠ الدستور ٠٠ الديمقراطية ، الحرية للشعب ٠٠ وتوحدت أصواتنا بأصوات الأهالى والجماهير وهى تردد نشيدنا الخالد ٠٠ بلادى ٠٠ بلادى لك حبى وفؤادى ٠

امتلأت محطة مصر بالجماهير تردد معنا فى حماس وقوة نشيد بلادى ٠ بلادى ٠ وقد أحاطت بالقطار من كل جانب ، ووقف عدد كبير من الأهالى أمام القطار كى لا يتحرك الا على **جثتهم** ٠ وبدأت أغرب مفاوضة فى التاريخ بين أهالينا وبين رجال المباحث العامة ٠ تقدمت زميله يحيط بها عدد **من الأمهات والزوجات والأخوات والأطفال للمفاوضة** ، قالت :

ـ نريد فرصة لمقابلة أولادنا ٠٠

ويقول رجل المباحث :

ـ ولكنى لا أملك ذلك

ـ اتصل برؤسائك

ـ عندى أوامر بعدم الاتصال

ـ الأوامر يمكن أن تتغير ٠

ـ وما الذى يجبرنا على تغيير الأوامر ؟

ـ لن يتحرك القطار الا على **جثثنا** ٠٠

وتجلس الأمهات على القضبان الحديدية ، بعضهن يجلسن القرفصاء ومن يحملن أطفالهن وأطفالنا ، وبعضهن يتمددن على القضبان ، وتقول الزميلة :

ـ **فلتكن مجزرة أخرى من مجازركم العديدة** ٠٠

وتذهب زميله أخرى الى سائق القطار وتقول له ٠٠

ـ انت المسئول لو تحرك القطار وقتل واحدا ٠

ويرد السائق :

ـ يا ستى ما تخافيش ٠٠ أروح فين من ربنا !

وتعلو أصواتنا من جديد نهتف بحياة الدستور ٠٠ وتنشد : بلادى ٠٠ بلادى ٠ وتردد الجماهير والاهالى الهتافات والنشيد ، والحوار ما زال

مستمرا بين الزميلة ورجل المباحث الذى يتركها فتـرة قصيرة ويعود اليهـا مـرة أخـرى ويسأل :

ـ انتو عاوزين أيـه علشان القطار بتحرك ؟

ـ أن نتحدث لبعض الوقت مع أولادنا ٠٠

ـ ماشى ٠٠ نصف ساعة تكفى ٠

ـ وان يسمح لهم بأخذ ما أتينـا به من اكل وملابس ٠

ـ موافق ٠٠

ـ وأن نعرف أين ستذهبون بهم وكيف يعاملون ٠٠

ـ الى **الواحات الخارجة** ٠٠ وسوف يعيشون فى خيـام ٠٠

ـ وكيف سيعاملون ؟ ٠

ـ ليس أسوأ من معاملتهم فى **الليمـان** ٠٠

ـ ومن يضمن هذا ؟ ٠

ـ هذا مالا أعرفه ٠٠ ربمـا زيارتكم لهم ٠٠

ـ نريـد تصريحا بالزيارة ٠٠ غـدا ٠٠ أو بعـد غـد ٠

ـ هذا مالا أملكـه ٠٠

ـ من الذى يملك ؟

ـ ادارة السجن ٠٠

ـ مدير الليمـان موجود ٠٠

ويهمس **رجـل المباحث** فى اذن مدير الليمـان الذى يقول :

ـ الزيارة حسب اللائحـة ٠٠ من يستحق سـوف يسمح لـة بالزيارة

ـ نريـد استثناء من القاعدة ٠٠

ـ ساكتب لك تصريحـا ٠٠

ـ ليس لى ٠٠

ـ لمن اذن ؟

وتتقـدم احدى الأمهات تحمل على كل يـد من يديهـا **طفـلا** ٠٠ تقول :

ـ **الطفلين دول لازم يشوفوا أبوهم** ٠

ويطلب المديـر ورقة ليكتب عليهـا اذنا بالزيارة بعـد أن يسجل اسم الأم واسـم زوجها وهو أحـد زملائنا « **مصطفى كمال خليل** » ٠ كان قد قبض علية فى نفس اليوم الذى قبض علىّ فيـه ولم يكن قـد مضى على زواجة أكثـر من **عـامين** ٠ شهد مولـد احداهما ولم يشهد مولد الآخر ٠

ومضت نصف ساعة أمضيناها مع أهالينا فى أحاديث مختلفة ، ومتصلة والجماهير تحيط بهم تنظـر الينـا بحب وعطف ٠ ربمـا لأول مـرة تتعاطف جماهير الماركسيين والاخوان حول موقف انسانى ، فنحن والاخوان مكبلون فى زنازين وراحلون **نحو المجهول** ، وربمـا كـان هذا التعاطف الانسانى هو الذى وحـد شعاراتنا الدستور ، الحريـة ، الديمقراطيـة ٠ ومن المؤكـد

أنــه خلق تقاربا بيننـــا وبين عدد كبير منهم فى النظرة السياسية ـ كمـــا سأتناوله فى رسائلى المقبلة ٠

كان منظرنا غـريبا ـ كقـرود أو أسود أو نمور فـــى أقفاص حديدية ـ نتناول الأكل والفاكهة من بين **القضبان** ٠ المحظوظ منا هو من كانت والدته أو زوجته أو أخته هى التى تزوره ، فقـد استطاع أن يأكـل كميـات أكبـــر من « طبيخ » البيت الذى كدنا ننساه وقبل أن يصادر لصالح الجميـع ٠ ومع أن أخى المرحوم « مسعد » كان قـد حضر لرؤيتى وأحضر معه كميــات من الأكل الجاهز ، « كبــاب » مثـلا ، حيث كـان ما زال أعزبـا ، فقـــد استطاع أن يحصل لى من الأهالى على كميـات من « المحشى » الذى لـم أكن قـد ذقتـه منـذ سنوات ! ودار بيننـــا حوار سريع لم يتسع سـوى لكلمات معدودة عن أخوتى أو زوجتى ، قـال :

ـ ميمى لـم تستطع الحضور ٠٠

ـ مش مهم ٠٠ لكن لــاذا ؟

ـ لم التق بهــا منـذ مـدة ٠

ـ والأخوة ٠٠

ـ كويسين ٠٠ كل واحـد فى حاله ٠

ـ المهم أنت عامل أيــه ؟

ـ كلفت بالاتصـــال بكم ٠٠

ـ عندك آخـر الأخبار ؟

ناولنى علبــة سجاير هوليود « لارج » وقال :

ـ فيهــا كل ما تريدونه ٠

ـ ثـروة عظيمــــة ؟

ـ أعظم مــا تتصور ٠٠

ومن بين قضبان « **الزنزانة** » كنت اعانقه ٠٠ بينمـا كانت صفارة القطار تصرخ تعلن استئناف الرحلة ، ودخان مدخنته الكثيف « يهبب » بظلالـه السوداء أروع صورة انسانية شهدتها محطة باب الحديد ٠ وتحرك القطار وارتفعت هتافات جميع المسجونين والاهالى بحياة الدسـتور ، والوحـدة الوطنية ، وما كـــاد يغـادر محطـة مصر حتى ارتفعت أصواتنا بنشيدنا الحبيب الى قلوبنـا : بلادى ٠٠ بلادى ٠٠

وحين مـرق القطار بمزلقان « السيتية » تبادلت مع مجـدى فهمى نظـرات خاصة ٠ هنـا فى حى بولاق عاش مجدى فهمى وناضل مع رفـاق أعـــزاء من عمـال السكة الحديد وشبرا الخيمة ، وهنـا ولد وعاش مع أمـه وأخوته ، ومع أهالى الحى البسطاء لـه ذكريات انسانية ٠ وشارع ابن الرشيد حيث نعبـر مزلقـان السيتية ، فى حـارة حبيبة الحكيمة عشت أجمل سـنوات حياتى بعـد أن أتيت مع أبى وأمى وأخوتى من بور سعيد عـــام ١٩٣٩ ٠

كنت ما زلت طالبـا فى مدرسة تقع فى نفس شارع السبتية • فى هــذا البيت ماتت أمى مبكـرا بعـد حضورنا الى القاهرة بأربع سنوات ، وكنت قـد انتظمت فى صفوف المناضلين من أجل مصر وشعبها • يالها من أيام •• وجدت دموعـا تجرى من عينى ، وأخرى من عينا مجدى •• قلت له فى محاولة لتخفيف آلاما أعانيهـا ويعانيها هو أيضـا :

ـ فاكـر يا مجدى البنت الطالبة فى مدرسة الأميرة فوزية ؟

ابتسـم بهـدوء وقـال :

ـ وهو حد ينسى **احســان** •• كانت آية •• !

كانت « **احسان** » طالبة فى مدرسة الأميرة فوزية الثانوية التـى تقـع أمـام الورش الأميرية بحى بولاق • وكانت تسكن مـع أهلهـا فى شـارع ابن الرشيد على ناصية حارتنا « حارة حبيبة الحكيمة » • لم أكن وحـــدى الذى انتظـر نزولها من بيتهـا صباح كل يوم وهى ذاهبـة الى مدرستها سيرا على الاقدام • كان كثيرون غيـرى ينتظرون مرورها ، على طول شارع ابن الرشيد حتى مزلقـان السبتية ، ثـم على طول شارع السبتية وعلى تقاطع ابن الرشيد مع الشارع الذى تقع فيـه المدرسة أمـام الورش الأميرية كانت فتـاة بارعة الجمال ، خدودها كحمرة الخوخ ، وقوامها فارع ، وتقاطيع وجهها •• سبحان الخلاق • لم أشعر يومـا بأن واحدا من المعجبين بها نطق كلمـة واحدة تجرح شعورها ، كان بعضهم يحييها بأدب شديد واحتـرام كبير ، وتـرد عليهم التحيـة وابتسامة ودودة تكسو وجهها الجميل :

ـ ياترى اين هى الآن يا مجدى ؟ •

ـ نسيت أسأل أمـى

ـ وأنا نسيت أسأل **مسعد** ••

ـ آخـر مـرة شفتها امتى ؟

ـ يمكن من خمس سنين (٣ فى السجن و ٢ قبل السجن) •

ـ أنا أسعد حظـا منك •• شفتها قبل القبض على بأيام •

ـ اتجـوزت ؟

ـ وخلفت •

ـ ولسـه حلوه ؟

ـ واحلى من الأول ••

ـ لازم تجربة حب عظيمة ؟

ـ الحب الحقيقى يضفى على الانســان جمـالا •

ـ معنويا •• نعـم •• لكن بيولوجيا ؟ •

ويبتسـم مجدى ابتسامته الودودة :

ـ طبعـا •• الحب يعيـد تكوين الانسان نفسيا وبيولوجيا الى حـد كبيـر •

وتمضى الدقائق ‥ أصوات الزملاء لا تتوقف ، تردد نشيد بلادى • بلادى • واختلس أنا ومجدى دقائق للحوار • ونجد أنفسنا فى محطة الجيزة التى كانت خاليه تماما من ركاب وجه قبلى ، ورجال البوليس الذين يحملون مدافعهم الرشاشة امتلأت بهم ساحه المحطة • وترتفع ايدى الزملاء من بين قضبان أقفاصهم الحديدية تلوح للأهالى الذين يقفون بعيدا •

دقائق معدودة ويغادر القطار محطة الجيزة • وما أن يدخل محطة الفيوم، ثم بنى سويف وباقى المحطات حتى أسيوط ، حتى ترتفع أصواتنا بالهتافات والأناشيد • كان القطار يتوقف فى كل محطة ما بين دقيقتين وخمس دقائق على الاكثر • وعلى كل محطة كنا نجد جنود البوليس والمخبرين الذين انتشروا فى انحائها • والجماهير الواقفة لترى « ما الحكاية » ربما كان قطار « تشريفة » ! ‥ لكن « انفار » التشريفة غير موجودين تبقى الحكاية مس تشريفة بعضهم دفعة الفضول ليرى بنفسه لماذا هذا الحشد من البوليس والخفر والمخبرين والضباط ، وبعضهم كان يعرف « الحكاية » وهؤلاء هم الذين جاءوا مع الزملاء من المحافظات والقرى والنجوع ، بدليل أننا كنا نجد فى بعض المراكز من يقابلنا بهتافات معينة عندما يدخل القطار محطاتها • يعلق مجدى فهمى :

ـ يبدو ان الزملاء نشطين فى الصعيد ‥

ـ ولكن ليس فى نفس المستوى ‥

ـ نرسل اليهم ملاحظاتنا ‥

وعندما دخل القطار محطة أسيوط كان الظلام يزحف يبدد أشعة الشمس، وكانت حناجرنا قد أجهدت الى الدرجة التى جعلتها عاجزة عن تادية وظيفتها تماما • لقد أدت مهمتها على طول الطريق من القاهرة حتى أسيوط• حيث يوجد بشر ، وزرع وخضرة وحياة ‥ فشكرا لها ولندعها لتستريح بل وتستريح أجسامنا المجهدة المتعبة • فالطريق من أسيوط حتى محطة المواصلة ليس به سوى الرمال والكثبان والنباتات الشيطانية المنتشرة على سفوح الجبال والتلال •

كاد الليل ان ينتصف عندما وصل القطار الى محطة الواحات الخارجة • لتبدأ رحلة السيارات الى جناح حيث يقع السجن الجديد ، كانت ليلة تستحق الرسالة المقبلة يا حبيبتى

٢٨ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٤)

حبيبتى

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر مساء حين وصل القطار الى محطة « **الواصلة** » وهى المحطة الوحيدة التى لم نر فيها جنود « التشريفة » وضباطها الذين شهدناهم على كل المحطات التى مر بها القطار من القاهرة حتى هذه المحطه التى تقبع فى **قلب الصحراء** • كان فى انتظارنا **عدد من** سيارات الجيش اللورى بهـا عدد من السجانة وضباط السجون **على رأسهم** الضابط (٠٠٠) وهو من الضباط الكبار فى مصلحة السجون، استرعى انتباهنا « **السوط** » الذى يحمله وتوجسنا شرا عاجلا • وحين قال لنا :

ــ آهلا وسهلا ٠٠ « لم نطمئن لترحيبه فلم نرد عليه » •

كان من الصعب أن نتبين تعبيرات وجهه فالظلام دامس الى درجة كان يصعب علينا أن نرى بعضنا البعض بوضوح • بعد فترة أمضيناها فى « **الزنازين** » جاءوا بعدد من الكلوبات يحملها سجانة حتى نستطيع أن نتبين موقع أقدامنا وحتى نستطيع النزول من « الزنازين » لنركب العربات وبدأت محاولة نزول أول خمسه أشخاص مكبلين **بالسلاسل الحديدية** ، وكنت من بينهم • سلم « الزنزانة » يبعد عن الأرض بحوالى **متر على الأقل** ، طول السلسلة الحديدية المقيد بها الزملاء الخمسة لايزيد عن **ثلاثة أمتار** ، ولا يزيد طول السلسلة بين كل زميلين عن **نصف متر** ، معنى هذا أن مجرد نزول الزميل الأول من على ارتفاع متر سوف يجر وراءه الزملاء **الأربعة** ، الأمر الذى يعرض الجميع ــ على الأقل ــ لكدمات وجروح ، فمن يضمن أن لا يقعوا على تربيط السكة الحديد أو الأحجار التى بجانبه • كان الضابط يقف الى جوار الزنزانة التى كنت بها وأنا أحاول مع زملائى الأربعة النزول منها ، وشهد صعوبة نزولنا ونحن مقيدون **بالسلاسل الحديدية** فنظر الينا حائرا ولم يتكلم • اقترح أحد الجنود أن يأتوا بكرسى ننزل عليه واحدا وراء الآخر ، فقلت بسخرية :

ــ كرسى ما ينفعتى ٠٠ عاوزين كنبه •

ضحك الضابط ٠٠٠ بصوت عال وقال :

ــ أو سرير بسوسته علشان ما حدش ينجرح •

أنست اليه فقلت :

ــ هوه فيه حد مجنون يفكر فى الهرب من هنا !

ـ اقتراحك ؟
ـ تفكوا السلاسل ..
ـ ما هى دى المشكلة ..
ـ مشكلة!؟ راح نفضل كده على طول ؟
ـ لا طبعا .. لكن كان لازم يكون فيه استعداد .
ـ استعداد لأيه ؟
ـ شاكوش وأجنة وسندال ، وحداد ..

ولأول مرة أدرك أن هذه السلاسل الحديدية لاتفك الا بقطعها . السلاسل التى كنا مقيدين بها قبل ذلك بعد أن حكم علينا بالأشغال الشاقة كان فكها لا يحتاج الى كل هذه الأدوات . والقيود الحديدية التى كانوا يقيدون بها أيدينا كانت تقفل وتفتح بمفتاح خاص يحتفظ به الضابط المسئول عن « الترحيلة » سواء كانت مكونة من فرد واحد أو عدد من الأفراد . وهؤلاء الذين قيدونا بهذه السلاسل كيف كانوا يفكرون ؟ بالقطع لم يفكروا فيما سوف نعانيه خلال هذه اللحظة وهذا من « حقهم » ، فنحن بالنسبة لهم لسنا سوى « بضاعة » مطلوب « شحنها » من مكان الى آخر ، وليس من شأنهم أن تصل سليمة أو مكسرة . ولكن ألم يفكروا فى أولئك الذين سيتسلمون « البضاعة » وفى معاناتهم عند استلامها ؟ كان واجب الزمالة يقتضى ـ على الأقل ـ أن يفكروا فى هذا الأمر . ويبدو أن مأمور السجن الجديد ... كان يفكر بهذا المنطق « الوظيفى » .

قال وهو يضحك ..
ـ لكن انتم ازاى عرفتوا تطلعوا عربات القطار ؟
ـ كانت المسافة بين سلم العربة والأرض لاتزيد عن ٢٠ سم
ـ وطبعا هما مش عارفين الوضع هنا ..
ويعلق أحد الزملاء بسخرية ..
ـ تلاقى ولاحد منهم خطى هنا ..
ويقول الضابط بمرارة ..
ـ وأيه اللى راح يجيبهم هنا .. من وراء مكاتبهم ..
ويقول زميل :
ـ والا من بيوتهم المكيفة ..
وثان
ـ والا من سهراتهم الحمراء ..
وثالث
ـ وراح يتركوا صفقاتهم المريبة لمين ؟
وتستمر التعليقات الساخرة بين ضحكات الزملاء ويشاركهم الجنود أحيانا .

ويتنبه المأمور ، فيقـول ضاحكـا :

ـ أيـه يا جماعة انتو ناويين تحبسونى معاكو وإلا ايه ؟ .

ويقـول زميل ·

ـ يعنى ·· مفيش فرق كبيـر ··

وتصدر عن المأمور تنهيده ويقـول :

ـ والله ما فيـه فـرق ·· المهم عاوزين نحل مشكلة نزولكم ··

ويصدر أوامره الى بعض الجنود بالذهاب الى « **العسكر** » **لاحضار حداد ومعه الآلات اللازمة لقطع السلاسل الحديدية** ·

المسافة بين محطة المواصلة « وجناح » حيث يقع السجن الجديد تقطعها العـربة فى حـوالى سـاعة ذهابـا وايابا قضاها المـأمور فى التعرف على الزمـلاء · راح ينتقـل بين عـربات القطـار ليتعـرف علينـا وعلى الاخوان المسلمين · وعنـد كل زميل أو أخ يدور حوار سريع :

ـ **الدكتور شريف حتاتة** ·

ـ انت قـريبى ··

ـ **زكى مـراد المحامى** ··

ـ لأ انت مش قريبى

ـ ازاى ابقى قريبك وأنا نوبى ·

ـ **محمد شطا ·· عامل نقابى** ··

ـ باين عليك خطـر ··

ـ **وليم اسحق فنـان**

ـ **مغنـى ؟**

ـ **لا ·· رسـام** ··

ـ **ضمنا صـورة بالزيت** · ·

وينتقـل الى الاخوان المسلمين

ـ بكباشى **فؤاد جاسر**

ـ بوليس

ـ لا جيش

ـ صـاغ **جمال ربيـع** · ·

ـ طبعـا جيش · · !

ـ دكتور **كمال خليفـة**

ـ طبيب ؟

ـ لا مهندس

هـدوء الصحراء يلف المكـان · أى همس يمكن أن تسـمعه · وهـواء الصحراء يلفح الوجـوه المتعبـة المنهكـة ، ونشـعر بان الـدم يجرى فيهـا من جديـد وهى تمتزج بصـوت المأمور الودود خـلال تعرفـة علينـا ·

ونحس ببعض الأطمئنان ولكنه مشوب بالحذر · فنحن حتى الآن لا نعرف ماذا ينتظرنا هناك فى السجن الجديد · لقد مضى الكثير ·· وسنعرف كل شيء بعد قليل ·

تعود العربة التى ذهبت الى السجن الجديد وبها الحداد ومعه الأدوات اللازمة لقطع **السلاسل** ·· **سندان** ·· **ومطرقة** ·· **وأجنة** · يصعد الى زنزانة رقم ١ بالقطار · ينظر قليلا الى السلسة الحديدية المعلق بها خمسة أشخاص ويوجه كلامه الى المأمور ··

ـ أفكهم خالص يا بيه ؟ ·

ـ يعنى ايه خالص ·· أمال نص نص ؟

ـ يا بيه أصل لو فكيتهم خالص راح تاخد وقت ·· يمكن لغاية بكره بعد الظهر ··

وتبدو على وجه المأمور تعبيرات تدل على عدم الفهم فيقول :

ـ مش فاهم ··

ويقوم الرجل بشرح « القضية » ، فيقول :

ـ يا بيه ·· فى كل رجل « **حجلة** » ودى تخينه قوى تاخد وقت على ما تنقطع ·· لكن **السلاسل** سهل تاخد وقت أقل ، نقطع السلاسل والا نقطع « الحجلة » ؟

ويرد عليه المأمور بضجر ··

ـ قطع اللى تقطعه ·· المهم أنهم ينزلوا من القطر ·· ويركبوا العربات ·

ـ لكن يا بيه اذا قطعنا السلاسل ·· وبعد كده نقطع « الحجلات » مش ممكن استعمالها بعد كده ··

ويصيح المأمور بصوت عال :

ـ والله ما أنا فاهم حاجة ·· حد منكم فاهم حاجة يا جماعة ؟

ويضج الجميع بالضحك ·· ويتولى أحد الزملاء العمال شرح المشكلة :

ـ « الحجلة » اللى فى الرجل « مبرشمة » ·· ولما يطلع مسمار البرشام يمكن استعمالها بعد كده بمسمار برشام آخر ، لكن لما يقطع **حلقة** من **حلقات السلسلة** اللى بين كل زميل وزميل ، معناه أولا أن السلسلة راح تبوظ ، وثانيا ان كل زميل سيحتفظ **بقطعة سلسلة** و« **حجلة** » فى كل قدم من قدميه ·· وبعد **كده تقطع** الحجلة ·

ـ آه فهمت ·· يا سيدى قطع السلسلة ··

ويصيح ضابط « **الترحيلة** » ·

ـ السلسلة تبوظ ·· ودى عهده على ··

ويضج الزملاء بالضحك ·· ويقول أحدهم :

ـ واحنا مش عهده ··

ويرد عليه ضابط الترحيلة :

ـ أنا خلاص سلمتكم لحضرة المأمور .

ـ لا يا حبيبى أنا لسه ما اسلمتش حد راح اسلمهم فى السجن وأمضى عليهم هناك .

ـ طب وأيه العمل .. أنا لازم أرجع **السلاسل** .. دى عهده يا ناس ..

ويعلق أحد الزملاء ساخرا ..

ـ يبقى مفيش حل الا اننا نموت عنا ..

ـ ما انتو برضه **عهدة** .. لازم أسلمكم **أحياء** ..

ويعلق زميل :

ـ **والسلاسل** ترجع سليمة ..

ويعلق آخر :

ـ معادلة صعبة .. ازاى نحلها !

ومرة أخرى يضج الجميع بالضحك . هذا المكان الموحش الكئيب لم يشهد من قبل بشر يضحكون . ومن الذى يضحك ؟ **المسجون والسجان** ! فى لحظة تحولت المأساة الى ملهاة ! .

كان الأمر يستحق « **ثورة ادارية** » من أجل القضاء على **البيروقراطية** . بدأها فى تلك اللحظة مأمور السجن الجديد . قال بحسم وهو يوجه كلامه الى الحداد :

ـ قطع السلاسل .

ويقاطعه ضابط « الترحيلة » :

ـ **وأنا أعمل أيه ؟**

يرد المأمور وهو أكثر حسما :

ـ راح أمضى لك على وصل باستلام السلاسل ..

ترتاح أسارير ضابط الترحيلة ويضرب « تعظيم سلام » ! وترتفع صيحات الاستحسان من الزملاء والتعليقات الطريفة الساخرة . وقبل أن يبدأ الحداد فى عمله متدئا بالزنزانة رقم ١ .. يأتى صوت من الزنزانة رقم ٤ .

ـ أحنا الأول .. أحنا الأول ..

ويرد المأمور

ـ بالترتيب ..

ويعود الصوت :

ـ أصل .. أصل .. ويضرب أصابع يده اليمنى بعضها البعض

ويضحك المأمور ويقول :

ـ بى . بى .. والا كا . كا !

وترتفع ضحكات المسجونين والسجانة والضباط تبدد هدوء

الصحراء الرهيب ، ويعطى المأمور أوامر الى الحداد بان يبدأ من الزنزانة ٤ • الغريب ان كل زميل بعد فك قيوده كان ينتحى جانبا للتبول ! لقد مضى علينا أكثر من ١٨ ساعة ولم يكن احد بحاجة الى التبول • فلماذا ظهرت الحاجة الى ذلك فى تلك اللحظات بالذات • يا لهذا الانسان •• كائن غريب قادر على التأقلم والتكيف مع كل الظروف !

الحداد ينتهى من عمله بسرعة • ونسير الى العربات كل منا يجر فى كل قدم من قدميه **سلسلة معلقة فى** « **حجلة** » • يمسكها **وليم اسحق** بيده ويقول ضاحكا :

ــ هيه دى بقى « **الحجلة** » الرئيسية يا درش ••

ــ دى مش « حجلة » رئيسية واحدة يا وليم •• دول اثنين •

وتنطلق السيارات وسط صحراء واسعة يلفها ظلام حالك • سكون رهيب يمزقه بين الحين والحين عواء **الذئاب والثعالب** ، مصابيح السيارات العالية تخترق الظلام كى ترى طريقها غير الممهد الى السجن ، أنوار تبدو من بعيد تحيط بمساحة كبيرة مربعة •• يبدو إنها « أنوار » السجن فى لحظة تتجسد أمامى صور **معسكرات النازى** • الصمت يخيم على جميع الزملاء حتى تكاد تسمع صوت تنفسهم • ما الذى ينتظرنا بعد دقائق ؟ حقا لقد كانت معاملة مأمور السجن الجديد انسانية ولكن ربما لا يدرى هو نفسه ما دبروه لنا • أغلب الظن أن هؤلاء « الفاشست » لن يستخدموا نفس الأساليب التقليدية للتعذيب ربما كانت خطتهم تقوم على أساس القائنا فى الصحراء **نهبا للذئاب والثعالب والثعابين** •• وانتابتنى رعشة شديدة لم تحدث لى من قبل ، رغم ان فكرة الموت سيطرت على مرات عديدة ، • ولكن أن أموت بعد كل هذا الصمود بلدغة « **طريشة** » أمر لا يمكن تصوره • وكيف يصمد الانسان للدغة « **طريشة** » أثناء نومه أو سيره أو جلوسه ؟ كيف يقاوم سمها الذى يسرى فى جسم الانسان سريان الكهرباء ويموت فى الحال • **أى فاشى حقير هذا الذى دبر لنا الموت بهذه الطريقة القذرة الدنسة** ؟ • ان كل أفران النازى ومعسكراتهم •• كل أساليبهم الوحشية تتوارى خجلا أمام هذه الفكرة الشيطانية **الموت بلدغة** « **طريشة** » •• والسبب •• « **قضاء وقدرا** » !!

وتقف بنا السيارات عند **باب السجن** •• مساحة واسعة من الأرض تحوطها **الأسلاك الشائكة** •• واكوام من « الخيام » مكدسة على أرض « **المعسكر** » • كان فى استقبالنا « ••• » مأمور السجن ومعه عدد من الضباط والسجانة ويمسك احدهم « كلوبا » لنتبين موقع أقدامنا • قال المأمور :

– زى ما انتو شـايفين ·· **مخيمات فى صحراء** ··
ويقول احد الضباط :
– ما حدش يمشى حافـى
ويسأل زميـل :
– **الثعابين كثيرة ؟**
– علمى علمك ·· لكن بيقولوا ان لدغـة « الطريشـة » هبـة والشبـر
– الله يطمنك ··
ويتدخل المأمور :
– يا جماعـة ·· دى مبالغات ·· مـا تخافوش ··
ويقول أحـد الزملاء بسخرية ··
– وطبعا من يموت بلدغـة « طريشـة » يقيـد « قضاء وقـدرا » ·
ويقول آخـر :
– يعنى بلا مسـئولية على ادارة السجن ··
ويقول المأمور :
– يعنى ·· ما احنـا عايشين معاكـو ··
– ويسأل زميـل ·
– فى خيـم زينا كـده ؟ ·
– لأ ·· فى استراحات فى « جنـاح » ··
ويقول الدكتور **شريف حتاتـه** ·
– وطبعـا عندكم كل الأدوية اللازمة ·
ويقول المأمور :
– والله يا جماعـة ·· أنا لسـه جـاى هنـا النهـاردة الصبح ·· الأوامـر اللى عندى تباتوا الليلة فى المخيمات ·· وانتظـر أوامر أخـرى بكره صباحـا ·
ويقول زميـل :
– ده اذا شـفنا « بكـره » ··
ويتدخل **صـلاح حافظ** ويقول بحسـم ··
– راح تشـوف بكره ·· وبعد بـكره ·· ايـه المطلوب منـا يا حضرة المأمور ؟
ويعلق المأمور مبتسـما :
– آهو ده الكـلام ·· كـلام من يكتب عن انتصار الحياة ·
ويسرى الحماس بين كل الزملاء وترتفـع أصواتهم تردد نشـيد ·· شتتونـا فى المنافـى ، واملأوا منـا السـجون ·· سوف تأتيكم ليالـى برقهـا عصف المنـون ·
من بعيد يأتى صوت المأمور ينادى على وعلى الدكتـور شريف حتاتـه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقـول لنـا :

ـ فيه هنـا أربع خيـام وبطاطين كثيرة .. وسرايـر خشـب .. انصبوا الخيـام والسراير ووزعوا البطاطين .

ـ كـم سرير تسـع الخيمة .. ؟

ـ حوالـى ١٢ سرير ..

قلت لشريف :

ـ اذن خيمة واحـد تسـعنا فنحن ١١ زميلا .

ـ ونحن أيضا تكفينا خيمة واحدة فنحن ١٢ زميلا .

ـ والخيمتين الآخرتين نستخدمها «ميس» للأكل . ويقاطعنـا المأمور :

ـ خلو زملاءكم ينصبوا الخيـام والسرابر وتعالـوا معايـا ندبـر لكـم أكـل أحسن زمانكو جعتوا جـدا .

وقام الزملاء بكل همة رغم التعب والاجهـاد بنصب الخيـام ، وذهبنـا مع المأمور لتدبير أمـر الأكـل فقد مضى أكثر من ١٢ ساعة لـم نتنـاول خلالها شيئا . كانت الساعة قـد تجاوزت **منتصف الليـل** وفى حجـرة من الصـاج فى طـرف من أطـراف المعسكر . وجدنا مجموعـة من « **الحـلل** » الكبيرة ونصف « **عجـل** » ملقـى علـى الأرض ،وأكـوام من « الحطب » ، وشـوال من الفاصوليـا البيضـاء .

قال المأمور :

ـ آدى اللحمة اللى قدرت أدبرهـا النهاردة .. شـوف كـده يا شريف خايف يكون أصابها التلف !

يتقدم اليها شريف ويشمها :

ـ لـم تتلف تماما .. يمكن ان تؤكـل .

ويقول المأمور :

ـ يا لله بقـى دبروا مسـألة**الطبيـخ** .. ومعاكوا كـام مسـجون يساعدكوا .

وانادى على بعض الزملاء الذين يعرفون فن الطبيـخ . ويأتـى عـدد من الزملاء والاخوان الذين لهم درايـة بالطبيخ . ويتعاون الجميـع فـى اعداد وجبـة العشـاء . هذا يمسـك **بالسـاطور** ليقطـع اللحم ، وهذا يعـد الفاصوليـا بعد غسلها فى « جرادل » الماء ، وهذا يشـعل الحطب **وسـط الصحراء** . وبعـد وضـع القدور الكبيرة على النـار المشـتعلة . يطمئـن المأمور فيقول لنـا ..

ـ فاضـل مسألة العيش ..

فى مكـان آخـر أعـده المأمور بسرعـة لبكـون فرنـا بدائيـا وجدنـا عددا من أجولة الدقيق ، وحوضا من الخشب للعجين ، وعددا من جرادل الماء . ويتكاتف الزملاء مع الاخوان فى اعـداد العيش . مجموعـة تتـولى عجـن

الدقيق ، ومجموعة تعد الحطب في الفرن ، ومجموعة ثالثة تتناوب الوقوف أمام عين الفرن •

بعد أقل من ساعتين كان الجميع يجلسون على البطاطين •• كل في يده « قروانة » بها الفاصوليا باللحم ، أما العيش فهو كثير من يريد يأخذ :

- الواحد كان ناسي أنه جعان •
- لم يكن هناك وقت للجوع •
- ده ألذ أكل الواحد كله في حياته •
- نعمة يحفظها ربنا من الزوال •
- يا سلام لو كباية شاى ••
- يبقى آخر تمام ••
- بس فين الشاى والسكر ؟

ويقول المأمور :

- جبت لكم شاى وسكر ••

وترتفع صيحات الزملاء فرحا ••

- بس نعمله ازاى ؟
- ونشربه ازاى ؟
- يا أخى نعمله وبعدين نفكر نشربه ازاى ••

تشعل النار من جديد ويضع زميل عليها جردل من الماء •• ويذهب آخر لاحضار أكواب البلاستك من الخيمة • أربع أكواب فقط ••

- ما تحافوش « جردل » الشاى على النار •• ما حدش راح يشربه بارد •
- المصاروه يشربوا الأول علشان بيحبوا الشاى خفيف •
- والصعايدة يستنوا للآخر ••

ويعلق زميل :

- والبحاروه • ؟
- دول بقى وسط

ويضج الجميع بالضحك • ما أقوى الحياة ! بل ما أقوى الانسان هذا الكائن القادر على خلق الحياة في أى مكان يتواجد فيه • هذا المكان الخالى الا من الثعالب والذئاب والثعابين والفيران يتحول في لحظة الى مكان انسانى •

يدندن صلاح حافظ باغنية لام كلثوم ••

- سمعنا يا أبو الصلح ••

ونتخيل صوته في هذا المكان الموحش كانه أعذب من صوت أم كلثوم • يختلط صوته بصوت محمد شطا

- افرش منديلك على الرملة •

وتغلب روح الجماعة ويردد معه الزملاء :

ـ افرش منديلك على الرملة ٠٠

وينتهز زميل اسكندرانى فرصة ليدخل بصوته ٠

ـ يا بنات اسكندرية مشيكم على البحر غية ٠٠ بدلة الحمام عليكو خللت العرسان تجيكوا ٠٠

ـ أى والله الصيف بدا ٠٠

ـ اسكندرية زمانها مليانة مصيفين ٠٠

ـ احنا لسه فى يونيو ٠٠ يوليو تبقى زحمة ٠٠

ويرتفع صوت المرحوم « **خليل قاسم** » باغنية نوبية ٠ يرقص عليها هو **وزكى مراد** المحامى ٠ لوحة راقصة نوبية لم نشهدها من قبل وتشد أنظارنا وأسماعنا ٠ نصفق بأيدينا ونردد كلمات أغنية لا نفهم معناها ولكن يطربنا ايقاعها ٠

ونلمح فى الأفق تباشير فجر يوم جديد ، ونسمع صوت مؤذن الاخوان المسلمين ينادى على « الصلاة » ، ويعود الهدوء من جديد ٠ ولأول مرة منذ ما يقرب من ٢٤ **ساعة** نحس بالأمان ! وننصرف الى النوم ساعات قليلة تشرق بعدها شمس أول يوم لنا فى **سجن « جناح » بالواحات الخارجة** ٠ يوم يستحق أن أخصص له الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

اول يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٥)

حبيبتى

رغم احساسى النسبى بالأمان مع بزوغ فجر اول يوم لى فى سجن « جناح » **بالواحات الخارجة** ، الا اننى ـ واحسب أن كل زملائى أيضا لم تغفل عيوننا **سوى دقائق** ٠ ما أن دخلنا الخيمة واستقرت أجسامنا على الأسرة الخشبية ، وسحبنا البطاطين على اجسامنا ، وبعد تعليقات سريعة ، ساخرة أحيانا ، وجادة أحيانا أخرى ، حتى ساد الصمت بين الجميع ٠ لكن الحوار كان متصلا ، بين كل زميل وبين نفسه وبينه وبين كل الزملاء ، فى صمت وهدوء ، يقطعه بين الحين والآخر عواء ياتى من بعيد **لذئب أو لثعلب** ثم تعليقات سريعة للزملاء ٠٠

ـ ذئب أو ثعلب ؟

ـ هل يبعد عن هنا كثيرا ؟

ـ لا تخافوا ٠٠ الذئاب والثعالب تخشى النور ٠

ـ النور أو النار ؟

ـ اقترح أن نشعل نارا على باب الخيمة ٠٠

ـ نور المعسكر يؤدى المهمة ٠٠

ويسود الصمت ٠ ثم تعود التعليقات عندما نسمع العواء مرة أخرى ٠ وتقل التعليقات تدريجيا حتى تتوقف تماما حتى مع استمرار العواء ٠ هكذا ، العواء ليس أكثر من عواء ، سواءا كان عواء حيوانات مفترسة أو عواء آدمين ، فتأثيره فى الحالتين مؤقت ٠ حتى محاولات الافتراس التى تأتى بعد العواء ، يمكن للانسان أن يقاومها ويصمد فى وجهها ، لكن ما العمل مع لدغة « **الطريشة** » التى تحدث فى لحظة ودون اى مقدمات ! ربما تكون خطتهم أن نعامل هنا معاملة عادية ، ونعيش حياة اشبه بحياة المعسكرات ، ويترك أمر موتنا **للثعابين والحيات** وخاصة « **الطريشة** » مرة أخرى تسرى فى جسمى رعشة شديدة !

وتنفذ أشعه الشمس القوية من فتحات الخيمة تبعث الدفء فى اجسامنا فننفض البطاطين التى كانت تقينا برد ليل الصحراء ٠

ـ صباح الخير يا زملا ٠٠

ـ صباح الخير ٠٠

ـ صباح أيه دا ظهر

ويضحك زميل :

ـ ظهر مين ٠٠ أنت لسه شفت الظهر في الصحراء ؟ ٠

ونخرج جميعا من الخيمة علي نهار أول يوم لنا في سجن « جناح » بالواحات الخارجة ٠ ما زالت فكره الموت بلدغة « طريشة » مسيطرة علي ، أنادي بصوت عال علي الرغم مني ٠٠

ـ دكتور شريف ٠٠ دكتور صلاح ٠٠

يخرج الاثنان من الخيمة المجاورة بسرعة وقد بدأ علي وجههما الانزعاج ٠

ـ أيوه ٠٠ فيه حاجة ؟

كانا يفكران فيما أفكر فيه وحسبا أن أحدا قد لدغته « طريشة » ٠

ـ ما فيش حاجه ٠٠ بس كنت عاوز اتكلم معاكم ٠٠

ـ يا أخي خضيتنا ٠٠

ـ متأسف ٠٠ بس كنت عاوز أطمئن ٠٠

ويرد شريف حتاته بهدوءه المعروف عنه ٠٠

ـ دي بقى مش سياسة ٠٠ سيب العيش لخبازينه ٠٠

ـ وأنت الخباز الوحيد هنا ٠

ويتدخل صلاح حافظ :

ـ وأنا مش خباز يا درش ؟

ـ لا ٠٠ نص ف خباز بس ٠

ـ أحسن من اللى ما يعرفش يخبز خالص ٠

ـ في الطب ٠٠ مش في السياسة ٠

ويأتي الدكتور شريف حتاته بمذكرة الى المسئولين ، بدءا من رئيس الجمهورية حتي مدير مصلحة السجون ، والى الصحف والنقابات المهنية والعمالية المختلفة ، تستنكر نفينا في الصحراء ومحاولة اغتيالنا بواسطة الحيات والثعابين ، وتطلب نقلنا من هذا المنفى ، وحتى يتم ذلك يطالب تزويد المنفى بالأدوية الضرورية ٠

ـ عظيم يا شريف ٠٠ لكن موت يا (٠٠٠) لا مؤاخذه على ما يجيلك العليق ٠٠

ـ يظهر انها معلقه معاك قوى ؟

وبهدوء الشديد يستطرد ٠٠

ـ ويا سيدى جبنا معانا ٠٠ الأدوية واللقاح ٠٠ احنا برضه الله ٠٠ وأقاطعه ضاحكا ٠٠

ـ عارف ٠٠ عارف ٠٠ انتو القيادة ٠

ـ أيوه كده ٠ اعترف ٠٠

ـ في الطب بس ٠

ـ وفي السياسة كمان وحياتك ٠٠ بكره تشوف ٠

ونلمح مأمور السجن ينزل من سيارتـه على باب السجن فنتجه اليـه :
ـ صباح الخير ·
ويسلمه شريف المذكـرة :
ـ يا صباح يا عليـم يا رزاق يا كريم ·· لحقتوا تكتبوا مذكرات ·· ؟
ـ واحنـا ورانـا أيـه ؟
يقرأ المأمور المذكره ويقول :
ـ حـاضر سأرسلها بالبوسـتة · ·
لا بوسـته أيـه ·· دى عايزه مخصوص · ·
ـ وأجيب المخصوص منين ؟
ـ سـجان
ـ بالقطـار طبعـا · ·
ـ ده على كيفـه ·· ييجى كل أسبوع ·· كل اسبوعين ··
ـ يبقـى بالتليفـون · ·
ـ أنا راح اتصرف · · اطمئنـوا
ـ نحن مطمئنون ·· لكن ··
ـ سأسلمها للمحافظ وأطلب منـه أن يرسـلها مع مخصوص فى سيارة ·
ويسأل المامور أسـئلة عديده عن « الطريشـة » وعن أنـواع الحيـات والثعابين التى توجـد فى الصحراء ، وطرق الوقايـة منهـا ، وهـل حقـا ما يقال عن المفعول السريـع لسم « الطريشـة » · ويعطـى شريف اجابات مبالغ فيهـا ، ونرى الخوف يرتسـم على وجه المامور فيقـول بخبث :
ـ لكن أنت حضرتك بعيد عن ده كله · ·
يرد المامور ورنة الخوف تبدو فى صوته :
ـ لا بعيد ولا حاجـة ·· وأيـه الفرق بين الخيمة ، والفيـلا ؟ ، الأثنين فى صحراء · ·
ـ فعـلا ·· مفيش فرق كبير ·· احسن تسـكن فى شقة عاليـة ·
يبتسـم المامور ، ويقول :
ـ لو كان فيها خير ما كان رماها الطير ··
ـ هو المحافظ مش سـاكن فى فيـلا برضـه ؟
ـ لا يا سيدى ·· ساكن فى شقة ·· أنا راخـر استعجبت سـايب الفيلا ليـه ؟
ونسمع صرخة عاليـة ، واثنـان من الاخوان المسـلمين يحملون شـخصا ويسرعون بـه نحو المامور :
ـ **لدغتـه طريشـة · · لدغته طريشـة ·**
ويجرى شريف الى خيمته ويعود سريعـا ومعـه الحقنـة واللقـاح ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

— فين اللدغـــة ؟
— فى رجـله اليمين ٠
— مفيش حاجة يا جماعـة ٠٠
— ازاى مفيش ده صرخ بأعلى صوته ؟ ٠
— على العموم نديله حقنــه ٠٠ لكن مفيش حاجه ٠
— أنت متأكـــد ٠٠
— طبعا متأكـد ٠٠ أنا طبيب ٠
— أمـال أيــه الحكايــة ٠٠
— وهم سيطر عليه ٠٠ اغلب الظن ٠٠

الاخوان المســلمون والزملاء يتجمعون فى المكــان الذى حدثت فيــــه لدغــة الطريشــة ، ونتجه اليهم وقبــل آن نصــلهم نرى طبيبا من الاخوان يمســك بقطعة حبــل ويقول :

— توهم أنها طريشــه فصرخ ٠
— الى هذا الحــد يفعل الوهــم ؟
— واكثر من هذا ٠٠ الموت ذاته ممكن ٠

ونشهد قطعة أرض من صحراء « جنــاح » بالواحات الخارجــة ، الاخوان المسلمون ، والشيوعيون ، وضباط الســجن وجنــوده ، وهم يجلســون عليها كتفــا الى كتف يســتمعون الى الدكتور شريف حتاتــه وطبيب مـــن الاخوان يتحدثان عن اســاليب الوقايــة من الحيــات والثعابين بلغـــة واحــدة ٠ والجميــع ينصتون اليهما تمــلأ الثقة نفوســهم ، بما يقولانــه ، لا يفرقون بين الطبيب الاخوانــى ، والطبيب الشيوعــى ٠ حتما سيشــهد العالم كله يوما مثل هذا اليوم الذى شهدته هذه القطعة الصغيرة من الصحراء ٠ يوما تصبح فيــه السياســة علـمامســخرا لصالح النــاس ٠ كل النــاس ، وليس لصالح طبقــــه أو فئة ٠ ليس أملا يســـتمد مقوماتـــه من حتميــــة التطــور التاريخــى ، وليس حلما يســـتحيل تحقيقــه ، الا بعـــد وصــول الانسان الى عصر الحريــة ٠ ولكن ما ســيعجل بــــه هو ان العالم قــد بـــدأ مرحــلة خطر فنــاء البشريــة كلها ٠ والأمــل أن يوحـــده الخطر الداهـــــم مثلما وحــد الاخوان المسلمين والشيوعيين ، والضباط ، والجنـــود أمــــام خطــر « الطريشة » ذات يوم من يونيو عــام ١٩٥٥ ، والحــــلم أن تكون وحــدة دائمة ، وليســت وحدة مؤقتــة كتلك التى حدثت ذلك اليوم ! ٠

كانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحــا حين انتهـــى الطبيبـــان ، الاخوانى ، والشيوعــى من حديثهما ، حين انصرف الجميــع وقــد ســـاد بينهم جــو التعاطف والتفاهم وروح العمل المشــترك لمواجهـــة الحيـــاة المشتركة فى هذا المكــان النائــى عن كــل شئ الا الرمــال الصــفراء ، والحيوانات المفترســة ٠ والثعابين ٠ حقـــا ، الاخوان المسلمون لهم حياتهم

لخاصة ، ويعيشون معا فى قسم من السجن ، وكذلك الشيوعيون ، ولكن هناك ما يفرض تعاونهم ، الأكل ، والوفاية ، والعلاج ، واتفق على تنظيم العمل المشترك فى المطبخ وفى الفرن • وعلى عمل خيمة كمستشفى يديرها الطبيبان ، الاخوانى والشيوعى ، فضلا عن طبيب السجن الذى يأتى بضعة ساعات فى النهار فقط • ولم يكن من الغريب أن تتكون صداقات قوية بيننا وبين عدد كبير من الاخوان المسلمين ، بعضها صمد أمام محاولات كثيرة لضربها حتى وصل الأمر الى حدوث أنقسام بين الاخوان المسلمين فى صورة مؤيدين للثورة ، ومعارضين لها ، وسوف اخصص لهذه المسألة حديثا آخر فى رسائل مقبلة •

كان صباح أول يوم لنا فى سجن جناح مشحوننا الى حد أننا نسينا أن أقدامنا ما زالت يحيط بها « **الحجلات** » **وتجر سلاسل حديدية** • وكان ولم استحق أكثرنا حماسا لسرعة ازالة تلك القيود ، فقدماه النحيلتان تحمل « بالعافية » جسمه الهزيل • همس فى أذنى ضاحكا • •

– أيه يا درش أنت نسيت « الحجلة » (*) الرئيسية ؟

– أبدا يا ولم •• لكن يبدو أن نلاحق الأحداث جعلنا ننسى • •

– تبقى فقدت الاتجاه •

وأذهب معه الى مأمور السجن نطلب منه سرعة فك بقية قيودنا • ويعطى المأمور أوامره الى الحداد فى الورشة الصغيرة التى تقع فى أحد أركان السجن • وبعد أن ينتهى الحداد من مهمته نرى أمامنا تلا من **السلاسل الحديدية** • ويذكرنى مشهد هذا التل الحديدى بمشهد مماثل له فى **ليمان طره** •

فى مايو ١٩٥٥ – قبل رحيلنا الى الواحات بشهر واحد – أعلن **المشير عبد الحكيم عامر** فى اجتماع ضخم شهده كل المسجونين فى **ليمان طره وأبو زعبل** ، وعدد كبير من صباط قيادة الثورة ومصلحة السجون ، الغاء القيود الحديدية بعد أن قام بحركة مسرحية بقطع سلاسل أحد المسجونين بالمطرقة والأجنة • ولم ندع نحن لحضور [illegible] الاجتماع ، و[illegible] عنه وما [illegible] فى الحمام العمومى الليمان نستحم [illegible] كان علينا الدور فى ذلك اليوم • لم نتمن فى حياتنا طوال فترة السجن سيئا كما تمنينا ان نخلع عنا هذه القيود الحديدية كباقى خلق الله من المسجونين العاديين ، فقد

(*) هى الحلقة التى توضع حول الساقين وتربط بهما سلسلة وزنها ٣ كيلو جرام تعلق فى وسط جسم المسجون بحزام •

كنا شبه متأكدين بان قرار تحطيم الاغلال الحديديه لن يشملنا ٠ كانت أمنية غالية أن نستحم ولو مره واحدة دون أن نجر القيود الحديدية فى أقدامنا ، بعد الجهود المضنية التى تبذلها عند خلع الملابس ثم عند ارتدائها بعد الاستحمام ٠

كنا قد تعودنا على السلاسل الحديدية فى أقدامنا ، وعلى صوت رنينها أثناء قيامنا أو جلوسنا أو سيرنا أو حتى خلال نومنا ، لكننا كنا نعانى عند كل استحمام ، أثناء خلع الملابس ، ثم أثناء ارتدائها ٠

عند خروجنا من الحمام **والسلاسل الغليظة** فى أقدامنا شهدنا منظرا غير مألوف فى الليمان ٠ أعدادا كبيرة من المساجين يجرون ويمسكون بأيديهم القيود الحديدية التى كانت فى أقدامهم ، يصيحون بفرح شديد ويهتفون لصاحب قرار تحطيم القيود ٠

صاح أحدهم فينا :

ــ لماذا لم تحطموا أغلالكم ؟

ــ القرار لا يشملنا ٠ ٠

ــ هذا ظلم ٠٠ ولماذا ؟

ــ السياسيون لا يشملهم القرار ٠٠

ــ الاخوان خلعوا القيود ٠

ــ الاخوان شملهم قرار الافراج عام ٥٢ بعد الثورة ولم يشملنا ٠

ــ الأمر مختلف ٠ ٠

ــ هل لديك أخبار ٠ ؟

ــ لا ٠٠ ولكنه المنطق ٠٠

ــ نحن استثناء ٠ ٠

ويصل لأسماعنا من بعد صوت ودود ، كلما سمعناه ، أحسسنا بالأمان ، صوت الضابط الصديق (٠٠٠) :

ــ أيه يا جماعة ما خلعتوش الحديد ليه ٠٠ ؟

ــ هل يشملنا القرار ٠ ٠

ــ طبعا ٠٠ أنا كنت خايف زيكم ٠٠ القرار يشملكم ٠٠

وكانت فرصة كبيرة جرينا الى ورشة الحدادة ٠ بضربة الحداد الماهر بمطرقته قطع حجلة القدم اليسرى ، وبضربة واحدة أخرى قطع حجلة القدم اليمنى ٠ ومثل آلاف المسجونين حملنا قيودنا بايدينا وجرينا على العنابر ، وقفزنا السلالم قفزا حتى الدور الرابع ، وألقينا جميعا بهذه القيود الكريهة الى أرض العنبر ٠ قيد وراء قيد لنجد بعد القاء آخر قيد جبلا من الحديد ، كان يتحرك حتى صباح اليوم مع أقدام العبيد ٠

ألم أقل لك يا حبيبتى أننا محظوظون ؟ • **قيدونا بالحديد مرتين** ، مرة عندما صدرت **ضدنا الأحكام** ، ومرة عندما رحلونا الى سجن « **جناح** » ، وخلعناها **أيضا مرتين** • وعدد شهور السنة فى الأحكام القضائية عند كل المسجونين ٩ شهور فقط • أما عندنا فشهور السنة ١٢ شهرا بالتمام والكمال • وكل المسجونين كانوا يخرجون من السجن ، فى مناسبات أعياد الثورة ، والفطر والأضحى ، بنصف المدة ، ولم يخرج أحد منا فى أى مناسبة من هذه المناسبات • ولانهم « يعسوقننا » ومغرمون « صبابة » بنا فقد كانوا يستضيفوننا سنوات بعد قضاء مدة العقوبة ! وفوق هذا كله فان المسجونين العاديين ـ وهم عدد قليل ـ الذين رحلوهم معنا الى الواحات وهم من الصناع ـ كانت مدد أحكامهم **لا تقل عن ٢٠ سنة** ! وأغلب الظن انهم سيموتون معنا فى الصحراء قبل انتهاء مدة عقوبتهم ، وربما يدفنون مثلنا فى الصحراء • هكذا كانوا يفكرون ، ولا من « سمع ولا من درى » !

بعد أن خلعنا **قيودنا الحديدية** ، وقف بعض الزملاء يتأملون هذا التل من الحديد ، كيف ننظر نحن اليه ، وكيف ينظر اليه الضابط الذى فى « عهدته » هذا الحديد • لقد رفض بكل اصرار أن يأخذ أحد الزملاء قطعة من تلك السلاسل الحديدية ، كى يحتفظ بها ، فهى « عهده » ، ولازم يسلمها •

صوت بصيح من بعيد • •

ـ الفطار يا زملا • • الفطار • •

ويحمل كل منا « **قروانته** » لاستلام الفطار •

ـ فول مدمس • • **يا للروعة !**

ـ فول مدمس حقيقى • • مش سوس مفول •

ـ ده فول مدمس زى بتاع بره • •

هذا الفول المدمس مثل الذى كنا نأكله قبل السجن ، وليس سوسا مفولا كما كنا نسميه خلال سنوات السجن الماضية • كان الفول مسلوقا وليس مدمسا • وكانت الفولة الواحدة بها عدد لا يحصى من ثقوب السوس • وفى كثير من الاحيان كنا نضبط السوس متلبسا بجريمة استمراره فى الحياة رغم تعرضه لأقصى درجات حرارة غليان المياه ، كان بعض الزملاء يرمون السوس « بقرف » ، وكان البعض الآخر ياكله « بلذة » • • ويدور الحوار التلقيدى عند كل أكلة فول :

ـ أيه القرف ده يا زميل ؟ •

ـ ده بروتين • •

ـ فعلا أيه الفرق بين لحم السوس وأى لحم آخر !

ـ زى الفرق بين لحم الارنب ولحم القطة •

ـ وهو فيه فــرق ؟
وكان الحوار ينتهى دائما بجملة تقليديـة :
ـ على أى حـال مسألة غير مبدئيـة يمكن الخلاف حولها ٠
بعد أن تناولنـا افطارنـا الشهى من الفول المدمس الحقيقـى ، بالزيت والليمون والكمون ، والخبز الطازج ، سمعنا صوتا يقول :
ـ الشـاى يا زملا ٠٠
ـ شـاى ٠٠ شـاى ٠٠ !
ـ أيـه الحكايـة ٠٠ ؟
ـ دى ثـورة ٠ ٠
ـ ياالهنـا ٠ ٠
ـ طب ونشرب الشاى فى أيـه ٠ ٠
صوت حاسم يقول :
ـ كل واحد يغسل « قروانتـه » ويشرب فيها مؤقتـا ٠ ٠
ويهجم الزملاء على « جرادل » المـاء ٠ ٠
ـ الميـه قليلة جـدا ٠٠ مستحيل أفرط فيهـا دى علشـان طبيـخ الغذاء ٠
ـ شويـة صغيرين ٠
ـ ٣٠ شوية صغيرة تخلص الجرادل ٠ ٠
ـ يا أخى نجيب غيرهـا ٠ ٠
ـ أمشى ٥ كيلو ٠٠ لغاية العين علشـان اجيب غيرهـا ٠
ـ طب وأيه العمل ٠ عايزين نشرب شـاى ٠ ؟
ـ مش شأنـى ٠ اتصرفوا ٠ ٠
ويأتـى الصوت الحاسم مـرة أخرى :
ـ مين يتعهد بمـلء الجرادل بعد ما تشربوا الشـاى ٠
ـ كلنـا ٠٠ كلنـا ٠
استهلك الزملاء المـاء المخصص للطبـخ فى غسـيل القروانـات كى يشربوا فيها الشـاى ولـم يتحرك بعد شرب الشاى لملء الجرادل بالميـاه ويعلو صوت غاضب :
ـ يا زملا املـوا الجرادل ميـه ٠٠
ـ بس نستريح شويـة ٠
ـ أنت عاوز تضيع طعم الشـاى ٠
ويـرد الصوت :
ـ طيب مفيش غـدا ٠٠ وأنا راح أطبخ ازاى ؟
ـ لسـه بدرى على الغـدا ٠٠ الساعة لسة ١٢ ٠٠
ويرتفع الصوت الحاسـم مـرة ثالثة :

- عايزين ١٠ جرادل ميه •• كل زميلين ياخدوا جردل يملوه •• من فضلكم ••

ويستعد ٢٠ **زميلا** أسيرة **جلب المياه من العين التى تبعد عن السجن خمسة كيلو مترات** • ويدور حوار خلال المسيرة :

- يعنى علشان الواحد يستحم لازم يمشى ١٠ **كيلو متر ذهابا وأيابا** •

- وطبعا فى العودة راح يصفى الجردل على النص ••

- يعنى كل اتنين يستحموا بنص جردل ميه ••

ويقول أحد الزملاء ضاحكا :

- يا ترى مين صاحب نكته « يحموك فى كستبان » •

- دى ما بقتش نكته ••

- لازم نشوف حل لمشكلة الميه دى

- وهيه دى المشكلة الوحيدة ؟

فعلا لم تكن **مشكلة المياه** هى المشكلة الوحيدة وان كانت أهم المشاكل التى واجهتنا فى **السجن الجديد** • لقد كان كل هم المسئولين الكبار - بعد اضراب المسجونين فى ليمان طره ، أن ينقلونا فورا قبل أن « يستفحل » خطرنا • فاختاروا هذه القطعة من الأرض فى **قلب الصحراء** • بعيدة عن **مصادر المياه** ، واحاطوها **بالأسلاك الشائكة** ، ثم القوا بداخلها أجولة من الفول والعدس والأرز والدقيق والفاصوليا الناشفة ، وعددا من الخيام ، وكميات من الخشب والصاج والمواسير ثم قالوا لنا : **ابنوا سجنكم بانفسكم** ! لقد حسبوا أننا سنستسلم لقسوة الصحراء ، فتدفننا رمالها ونحن أحياء أو على شفى الموت عطشا أو جوعا • وقررنا أن نخوض معركة استمرار حياتنا • قررنا أن نبنى فى قلب هذه الصحراء واحة ، ليس فقط لناكل فيها ونشرب ، وانما كى نقرأ ونكتب ونتعلم ونرقص ونغنى ، ونمارس كل نشاطات الحياة •

وقضينا الساعات الباقية من نهار يومنا **الأول فى الصحراء** ، وجزءا كبيرا من ليل ذلك اليوم فى الاعداد للمعركة ، **معركة استمرار حياتنا** • وكان اليوم التالى هو يوم بدء المعركة •

أحكى لك قصة ذلك اليوم فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى •

٢ يوليو١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٦)

حبيبتـــى

كان السؤال المطروح ونحن نعد للمعركـة ، هو : من أيـن نبـدأ ؟.وكانت الاجابة : أن نبـدأ بالبنـاء ، بنـاء مقومات استمرار حياتنـا فـى هـذه البقعة النائية فى **قلب الصحراء** فهى ليست معركة رفـع مستوى المعيشة داخل السجن ، مثل المعـارك التى خضناهـا خلال سنوات السـجن السابقة ، وانما هى معركـة **الحد الأدنـى للحيـاة ذاتهـا** ، ومررنـا أن نبـدأ كمـا بـدأ الانسان الأول حياتـه الى **جوار المـاء** • واذا كنـا لا نملك حريـة الانتقال الى جانب عين الميـاه الوحيـدة في كل هـذه المنطقـة من **الصحراء** ، فنحن نملك القدرة على نقـل الميـاه الينـا • وكيف ؟ ان استمرارنـا فى نقـل الميـاه بواسـطة « الجرادل (وبعـد **مسيرة ١٠ كيلو مترا** ذهابـا وايابـا) ، لا يجب أن يستمر هكذا • يجب أن تصـل الينـا المـاه بواسـطه مواسـير ، ولكن هذا هـدف بعيـد • يستغرق تحقيقـه شهرين على الأقـل ، يتوفر خلالهما المواسير ، والخبـرة الفنيـة ، وخـلال هذين الشهرين يجب أن يتـم نقـل الميـاه اللازمة لطهـى الطعام ، وخبـز العيش ، وغسـل الملابس ، والاستحمام ، فضـلا عن رى مساحة من الأرض نزرع فيهـا خضروات ، بأقل جهـد ممكن • اذن لابـد من الحصـول على « طلمبـة » ميـاه تسـحبها من العين العميقة الذى ينزل الى حافتهـا الزملاء كى يملأوا الجرادل ، ثـم يتناولها زملاء آخرون ، وهؤلاء بدورهم يناولونها الى مـن يحملهـا الـى السـجن • وعـد المأمور بشراء طلمبـة ميـاه خلال أسبوع على الأكثـر ونفذ وعـده • وكانت فرحتنـا كبيرة حين تـم تركيب هذه الطلمبة • وفرنـا المجهـود الذى كنـا نبذله فى النزول الى عين الميـاه ، ثـم الصعود منهـا ، وزال خطـر الوقوع فى العين عند فقـد توازن من يقوم بملـئ الجرادل ، فضـلا عن اختصـار عـدد الزملاء الذين يقومون بنقـل الميـاه الى النصف • اذن نسـتفيد من هذا النصف الذى توفـر بعد تركيب الطلمبة فى اعـداد براميـل لحفـظ الميـاه بـدلا من الجرادل • سرق الزملاء ٤ براميـل فارغـة من زيت السـولار الذى يستخدم فى ادارة ماكينـة الكهربـاء المخصصـة لانـارة المعسـكر • وكانت مشـكلة عندما اكتشـف ملاحظ ماكينة الانـارة سرقـة البراميـل الأربعـة :

ــ صـاح الملاحظ :

ـ رحت فى داهيـــة ٠ ٠
ـ ليـــه ٠٠ ما هـــى البراميل موجودة ؟
ـ ما تنفعش بعد ما قطعتوهـــا ٠ ٠
ـ معلهش ندفـــع ثمنهـــا ٠ ٠
ـ مش ممكن ٠
ويذهب الملاحظ الى مأمور السجن الذى يأتـــى لمعاينة موقـــع الجريمة !
ـ يا جماعة البراميـــل دى عهـــده ٠ ٠
ـ تانى ؟ ٠٠ البراميـــل عهدة ٠٠ والسلاســـل الحديدية عهدة ٠
ويقول زميـــل آخـــــر :
ـ وهو احنـــا مش عهـــدة برضـــه ؟
ويرد المديـــــر :
ـ طبعا أنتم فى عهدتـــى ٠ ٠
ـ والعهـــدة ٠٠ ألا تحتاج الى صيانة ؟
ـ طبعا ٠٠ وهو أنـــا قصرت فى حاجة ٠
ـ فى المقومات الأساسية لحياتنـــا ٠
ـ وأيـــه طلباتكم ؟
ونضع أمامه قائمة الطلبـــات الضرورية ، مواســـير ميـــــاه وحنفيـــــات وعـــدد من الصهاريـــج لتخزين الميـــاه ٠ ومطبخ مجهز بالحد الأدنـــى بأدوات الطهى ، وفرن ، وخيمة كبيرة تســـتخدم كمستشفى تجهز بالحد الأدنـــى من الأدوية والأجهزة الطبية والاسرة ٠
ويعلق المديـــر ٠ ٠
ـ انتم مش شايفين انها طلبات كثيرة جـــدا ٠٠
ـ دى الحد الأدنـــى التى تسمح لنـــا باستمرار الحيـــاة ٠
ـ بس تنفيذهـــا ياخد وقـــت ٠
ـ هل يمكن تحديد هذا الوقت ؟
ـ طبعا مش ممكن ٠٠ سأرسل مذكرة بطلباتكم للمصلحة ٠
ـ وطبعا المصلحة تعمل مناقصة ٠٠ و ٠٠
ـ ما انتوا عارفين الاجراءات ٠٠
ـ لكن ممكن اختصارهـــا ٠ ٠
ـ ازاى ؟
ـ نحن نثق فى قدرتك على حلها بسرعـــة ٠
ـ طيب ساعدونـــى ٠ ٠
ـ مثلا ٠٠ تشترى لنا بعض اللوازم الضرورية ٠٠ مثل المواســـير والحنفيـــات ٠
ـ والباقـــى ٠ ٠ ؟

ـ الصهاريج والطلمبات من القاهرة ٠ ٠

ـ راح تاخذ وقت ٠

ـ نقترح ان تسافر بنفسك الى القاهرة ٠ ٠ وتوصى ، بعد عرض الوضع على المسئولين ٠ ٠

ويضيف زميل ٠

لا تنس انك فى النهاية المسئول عنا ٠

ويضيف آخر :

ـ واذا حدث شىء ٠ ٠ فسنكون مقصرا فى نظرهم ٠ ٠ لانك لم تنبههم ولم تطلب منهم شيئا ٠

ويقتنع **المأمور** ويوافق على السفر الى القاهرة بعد أن يعتذرى لنا عن المواسير والحنفيات فى نفس اليوم ٠ ونتفق معه على حل عدد من المشاكل ٠ **زيارة الأهالى** ٠ ارسال الخطابات واستلامها ٠ ٠ السماح لنا بطرود الملابس والأدوية وعلب الطعام المحفوظة والسجاير والسكر والشاى والكتب ٠

ويقول المأمور ضاحكا :

ـ والستات والبنات ٠ ٠

ـ لأ دول نروح لهم قريبا ٠ ٠

ـ ان شاء الله يا أولادى ٠ ٠

يقولها الرجل بكل صدق وحب ٠

وقبل أن تغرب الشمس ، يسرع الزملاء وعدد من الاخوان المسلمين لتفريغ اللورى المحمل بالمواسير والحنفيات ٠ **الفنيون** من الاخوان يقترحون عمل دوره مياه لنا ، واثنتين لهما ، وثالثة للمسجونين ، ورابعة للاستخدام العام ٠ ويبدأ العمل فى فجر نفس اليوم قبل أن تلتهب رمال الصحراء بأشعة شمسها القوية ٠ وتخرج مجموعات من الزملاء والاخوان الى **موقع العمل** ٠ وفى نشاط وحيوية يبدأ العمل ويستمر حتى الثانية عشر ظهرا ٠ أشعة الشمس قوية لم نعد نحتملها ، والرمال تحولت الى كتل من اللهب ، تلسع أقدامنا الحافية ، والعرق يتصبب غزيرا من أجسامنا العارية حتى منتصفها ويأتى صوت **المهندس الاخوانى** الذى يقود العمل ٠

ـ الحمد لله ٠ ٠ لقد انجزنا جزءا لا بأس به من العملية ٠

ـ كم من الوقت تستغرقه عملية مد مواسير المياه ؟

ـ هذا يتوقف على استعدادكم ٠ ٠

ـ نحن مستعدون للعمل طول النهار والليل ٠

ـ عدا فترة الظهيرة ـ من الساعة ١٢ ظهرا حتى الساعة ٣ بعد الظهر ٠

ـ موافقــــون ٠ ٠

ونتفق على تنظيم ورديــات ، كل ورديــة تعمل ٧ ساعات فيكــون مجموع ساعات العمل اليومية ٢١ ساعة ٠

ـ اذا نفذنــا هذا بدقــة نستطيع أن ننجز عمليــة مــد مواسير الميــــاه في أسبوع واحــد ٠

ـ وهــل نستأنف العمل اليوم في الثالثة بعد الظهر ٠ ٠

ـ اقترح ان ببدأ نظــــام الورديات من اليوم بعد الظهر ٠ ٠

ـ سنحتاج الى كلوبات للانــارة ليــلا ٠ ٠

ويتعهــد زميــل كهربائــى بتدبير أسلاك كهرباء ولمبــات وأخذ توصيلة من ماكينــة الكهربــاء ٠ ٠

ويتســاءل زميــل :

ـ كيف وأنت محتاج لآلاف الأمتــار ؟

ويضحك الزميل الكهربائــى :

ـ يا أخي المخزن مليان أســلاك ٠

ـ وكيف ستحصل عليهــا ؟

ـ ده شغلى بقــى ٠

ويذهب في نفس الساعة الى ملاحظ ماكينة الكهرباء ويعرض عليــة اتفاقــا من بنــد واحــــد ٠ أن يستعمل اســلاك الكهرباء التــى فــى عهدتــه لتوصيل الكهرباء الى موقــع العمل ، وبعــد الانتهــاء من عمليــة مــد مواســير المياه ، يتعهد باعــادة الأســلاك ويلفها على البكــرة كما كانت ٠ ثــم يقــول ضاحــكا :

ـ هذا والا ٠ ٠

ويرد الملاحظ :

ـ لا يا عم ٠٠ موافق ٠٠ كفاية حكاية البراميل ٠

وعند عودتنــا الى السجن يستقبلنــا الزميل **أحمد خضر** « العامل النقابــى » ورئيس الطهاة في السجن عند الباب قائــلا :

ـ تتصوروا راح تتغدوا أيــه النهاردة ؟

ـ راح يكون أيــه يعنى ؟ ٠ عدس أو فــول ٠

وجبة الغذاء العاديــة في السجون أما عدس وأما فــول ٠ أو كما كنــا نطلق على العدس اســم « العدس **الزلط** » أى العدس المملوء زلطــا ، وعلــى الفــول اســـم « **السوس المفــول** » ٠ ٠

ـ طب واذا أكلتــوا طبيخ ٠ ٠

ـ طبيـــخ !

ـ طبيـــخ !

ـ وده معقــول ؟

- واذا حصـــل ؟

وينـدفـع الزميل مسئول « الحياة العامة » أعطيك علبة ســجاير هوليود

— لارج ٠ ؟

— لا ٠٠ صغيرة ٠٠

— راح تتغدوا ٠٠ فاصوليا بالدمعة وأرز وطبعا لحمة ٠٠

— لحمة وفاصوليـا ورز ٠٠ مرة واحدة ٠ ٠

— ده حلم ولا علم يا ولاد ٠ ٠

ويقف **أحمد خضر** على أطـراف أصابعه فى محاولة يائسـة ليكـــون رأســه على ارتفـاع معقول ، فهو قصير وبدين ، ويقــول بصوته المسرسـع ولسانه الألدغ :

— يـا زمبل أنا لا « أعلف » ٠ أعرف ٠٠ المستحيل ٠٠

ويرد عليه الزملاء ٠٠ عالفين « يعنى عارفين » ٠ ٠

وأضحك مع الزملاء ٠٠ ويقول أحمد خضر :

— طب وانت بتضحك لبـه يا درش ٠٠ الحال من بعضه ٠ ٠

— ألدغ صحيح ٠٠ لكن طولك مرتين ٠ ٠

ويجرى الزملاء وراء **أحمد خضر** الذى يعطى كل زميـل نصيبـه من اللحمـة والفاصوليـا والرز ٠ كله على بعضــه فكل زمبـل لا يملك غير قروانــه واحدة يستخدمها فى الأكـل وفى شرب الشاى وعند الاستحمام ، بـل وفى نقـل الرمال من الأرض الى « الفنـة » أثنـاء العمل فى الموقـع عند عين الميـاه ٠ بعد قليـل يرتفـع صوت أليف محبـــوب ننتظره دائما بعـد كل وجبـــة طعام ٠ ٠

— الشـاى يا زملا ٠٠ الشـاى ٠ ٠

ونجرى نحو نبـع الشاى ٠ ٠وتثور نفس المشـكلة ٠٠

— مستحيل أفرط فى نقطـة ميــه ٠٠ الميــه دى علشـان طبيخ العشـا

— يا أخـى نجيب لك غيرهـا ٠ ٠

ويأتـى صوت **صلاح حافظ** :

— يا زملا نضفوا القروانـة بشوية رمل ٠٠

— الشاى « يكرف » من ريحة الطبيخ ٠ ٠

— الرمل يضيـع الريحـة ؟

— على مســئوليتك ؟

— جرب ٠٠ لن تخسر كثيرا ٠ ٠

ويجرى الجميـع الى أقرب مكان بـه رمال سـاخنة ينظفون القروان ، ثـم يعودون لأخـذ الشـاى ٠

— متى نشرب الشاى زى البقى آدمين ؟

— منظر الشاى فى الكباية الزجاج ٠٠ رائـع ٠٠

- ليـه طعم الشـاى فى الكباية أحسن من الفنجان ؟
- فعـلا ٠٠ ليـه ؟

الجميع يوافقون ٠ ولكن لا أحـد يعرف لماذا ؟

وننصرف لقضـاء القيلولة فى الخيـام ٠ الاحساس بالراحـة بعد العمل المضنى ممتع ٠ هؤلاء المتخمون بالراحـة لا يحسون بهـا ، يمتصـون دمـاء الكادحين ويشربون عرقهم وهم فى مكاتبهم المكيفـة ، ويعقـدون الصفقات وهم فى أسرتهم الوثيرة ، ويصرفـون الآلاف على موائـد القمار دون أن يختلج عرق واحـد من عروقهم ٠ حتى عقولهم لا تعمل فقـد استبدلوا بها أموالهم التى يشترون بهـا العقول كمايشترون الأبـدان ٠

يجب ألا ننام قبل أن نقـرأ ٠٠ هذا ما تعودنا عليه ٠ فهـل نسـتطيع القراءة قبل نـوم القيلولة ، وبعـد هذا العمل المضنـى الذى قمنـا بـه منذ فجـر اليوم حتى الثانية عشر ظهرا ؟ امسـكت بكتاب لأقـرأ فيـه وأنـا ممـدد على سريرى الخشبى ٠ ورغم جفـاف مـادة الكتاب فـان ذهنـى كان يتجاوب معها بشـكل غريب ٠ هـل يمكن أن يكون جسمى مهـدودا الى هذا الحـد ويظل الذهن متوقـدا ؟ ورحت أستكشف ما فى داخـى ! أحس بأمان الى حـد كبير بعد أقـل من يومين من تواجـدى فى هذا السجن ٠ فما هو مصدره ؟ يبدو أن ارادة **التحدى** من أجـل استمرار حياتنـا بالعمـل الجماعى ، فضلا عمـا نلاقيه من معاملة انسـانية من المأمور والضباط ، كـل ذلك أبعـد احتمالات تدبير **مؤامرة لاغتيالنـا** ٠ حتـى لدغـة « **الطريشة** » لـم نعـد نفكر فيهـا كثيرا ٠ بـل لقـد كدنـا ننسى خطرها تماما ٠ حقـا صوت الحيـاة هو الأقـوى ٠ وبقدر ما يرتفـع صوت الحيـاة فى داخل الانسـان بقـدر ما يتوقـد ذهنـه وينشـط حتى ولو كان جسـمه مجهـدا متعبـا مكدودا ٠

اذكر أن عينى لـم تغف أكثر من عشر دقائق ، قمت بعدهـا وقـد دب النشـاط فى جسمى الذى كان متعبـا منذ أقـل من سـاعتين ٠ نـداء العمل ٠ هذا هو أحـد أشـكال صوت الحياة التـى قررنـا ان نبنيهـا بسواعدنـا الفتيـة ٠ كان النداء ٠٠ دقات رتيبـة على جردل مـاء تتوقف لحظـة ٠٠ ثـم تعود مرة أخرى ، ٠ وما أن تتوقف دقات المرة الثالثة حتى يكـون جميـع الزملاء قـد انتظموا فى طابـور [illegible] ، الابتسامة على الشـفاه ، والتحـدى يفيض على الوجـوه انسانيه ٠ كنت أرى كل الزملاء ، وأحس بهم ، من خلال ما أراه فى نفسى وأحسه ٠ عاأنذا أراهم أكثر نشـاطا وحيويـة ، وأكثر احساسـا بالأمان ٠ أغلب الظن أن ما دار فى ذهنـى خلال فتـرة قيلولة الظهيرة هو نفس ما دار فى أذهانهم ، كانت هـذه الورديـة الثانية فى اليوم الثانـى من وجودنـا فى سـجن الواحـات التى تذهـب من أجل جلب الميـاه ٠ خلال سيرنـا وجدنـا الزميل الكهربائـى ومعـه

ملاحظ ماكينه الكهرباء ، و٤ مساجين يعاونون فى مد أسلاك الكهرباء ، قال للزملاء الذين يحملون الكلوبات ٠٠

ــ مفيش ثقــه فى كلامى والا أيــه ؟ ٠٠

ويــرد مادــد المسدرة .

ــ أبــدا ٠ كلنا ثقــة ٠ بس من باب الاحتياط ٠٠

ــ على أى حــال اطمئن ٠٠ راح تكملوا الشغل علــى نــور الكهرباء ٠٠

عندمــا تمتلىء نفس الانســان بالثقــة يصنع المعجزات ، الثقــة فى النفس تمنح الانسان قدرة هائلة على العمل والخلق والابتكار ٠ وهذا الذى أراه يجــرى وأشارك فيه أكبــر دليل على ذلك ٠ لا أظن أن الذين ألقــوا بنــا فى هــذا المكــان من الصحراء البعيــد عن المــاء ، مصدر الحيــاة ، كانــوا يحسبون أننــا ســوف نتغلب على هذه المشكلة وبهذه السرعة فى التفكيــر والتخطيط والتنفيــذ ٠

الساعة تقترب من العاشرة مســاء والعمل لايزال مستمرا بنفس الحيوية والنشاط ٠٠ ونلمح من بعيــد الوردية الثالثة فى طريقها الينــا ٠ يصيح صــوت :

ــ الوردية الثانيــة تســلم للوردية الثالثة ٠٠

وترتفع أصوات ٠٠

ــ سنواصل العمل معهم ٠٠

ــ لســه عندنا ما نعطيــه ٠٠

وتهتف أعماقى فى صمت : أبدا لن تتوقف عطاؤكم يا أبنــاء مصر البررة ومصريا أحبائى معطاءة ، أعطت للانسان مالم تعطه أى بلد آخــر فــوق هذا الكوكب ، حكــام مصر اليــوم يا أحبائى لا يعبرون عن وجهها ، فــلا تكترثون لمــا يفعلونه ضدكم ٠ مصر الغــد ، هى مصر الشعب وسلطته ٠ هى مصر الكادحين والعارقين ٠ انتــم مثلــى ترونهــا فى الأفــق ، البعيــد القريب ، الحلم الأمل ٠ ماهتفوا من الأعمــاق أن مصر قــد أصبحت للشــعب ٠

لا أعــرف كم مضى من الوقت حين توقفت عن العمل وأخذت اتأمل وجــوه زملائــى وهم يعملون ولا أعــرف أيضا كم من الوقت كانت تاملاتــى ستستغرقه ٠٠ فقــد جاءنى صوت **وليم اسحق** الذى كــان يقف الى جانبى دون أن أحس به ٠٠ يقــول :

ــ اسمع يا درش انا لازم أرسمك صورة بالزيت ٠٠

ــ صحيح يا وليم ٠٠ يارب ! لكن ايه المناسبة ؟

ــ تقاطيع وجهك القوية المحــددة تلهب فرشاتــى ٠٠

ــ دايمــا أسمع منك الحكاية دى ٠٠

ــ لــم أرهــا بمثل هذه القوة ٠٠ كما رأيتها منذ لحظــة ٠٠

ــ ليــه بقى ٠٠ ؟

ـ ما كان يدور فى أعماقك جسدته تعبيرات وجهك ·· تداخل فيهـا هذا الضوء ·· يا دين النبى ·· يا عالم فرشـة وألوان ·· راح أتجنن وأجـد ذراعاى تحتضنه فى حنان ·· والدموع تفـر من عينى وأقـول لــه ··

ـ بس يسمحوا بالطرود ·· وكل اللى أنت عاوزه راح ييجى ·

وكالأطفـال يصيح وليـم :

ـ ده أنا أبقى ملك ·

ومنذ ذلك اليوم ونحن نطلق على وليـم اسحق اسـم « **ملك الصحراء** » صبحنـا ننـاديه « **ياملك** » وكثيرا ما كان يغضب اذا لم ينـاديه أحـد ذا الاسـم الجديد · وكثيرون حتى بعـد خروجه من السجن لا يعـرفونه باسـم « الملك » ·

ينتشر نـور الفجـر ونلمح الورديـة الأولى فى اليـوم الثالث قادمة الـى قع العمل · أتـربة كثيفـة تثيرها أقدامهم السائرة فى ثبـات ، تغطـى سامهم ووجوهم ولكنهـا لا تستطيع أخفـاء تعبيرات اصرارها وتحديها· رتفع الصـوت المألوف ··

ـ الوردية الأولى فى اليـوم الثالث تستلم ··

ويصر بعض الزملاء فى الوردية الثانيـة والثالثة فى اليـوم الثـانى ى الاستمرار ، لكن قائـد العمل يرفض بشـدة

ـ ان لأجسامكم عليكم حقـا ··

ـ اسمعنى أنت ·

ـ انا لا أبذل مجهودا جسمانيا مثلكم ··

ـ مهمـا يكن الأمـر من حقك أن تستريح ··

ـ حسـنـا ·· ساعود معكم ··

وبعـد أن يسلم قيـادة العمل الى أحـد مساعديه · يسير الجميع فـى ب ومودة · ويدور حوار · يسأله أحـد الزملاء :

ـ أيـه رأيك ·· راح نخلص فى الموعد المحـدد ؟

ـ اذا سـار العمل بالمعـدل الحـالى ·· نتأخـر يومين ·

ـ لأن ·· لازم يخلص فى الموعـد المحدد

ـ دى بقى مسالة تتوقف على همتكم

ـ سنضاعف من نشاطنا ··

ـ لازم نبـذل مجهود أكبـر ··

ونصـل الى خيامنا بعد حوالـى ساعة من فجر اليوم الثالث لوجودنـا ى سجن جناح · نستلقى على الأسرة فى محاولة للنـوم · ولكن يتـوقفـه ذهن عن العمل وهنـاك سؤال مطروح ، طرحته ظروف العمل فى الموقع · يف يتـم انجـاز هذا العمل فى الموعـد المحدد ؟ ·

ويطرح هذا السؤال أسئلة أخـرى : هل يكفى الحافز المعنوى ؟ وهل الوعى هو الشكل الوحيـد للحافز المعنوى ، أم هنـاك أشكالا أخرى ؟

وفى عمل مثل هذا الذى نقـوم به ألا يمكن أن يكـون الحافز المادى دافعـا للعمل ؟

وفى مثل حالتنـا هذه كيف نحـدد الحافـز المـادى ، وما هـى أشكاله ؟

وتستمر المنافسـه أكثـر من ساعتين لتنتهى الى صياغة محددة هـى : الوعى بخطـه العمل وأهدافها هو الأساس فى أى عمل جماعى ولصالح المجموع والعمل بروح الفريق ، لا تلغى المنافسـه ، ويمكن أن يكون التنافس بيـن فريق وفريق ، والحافز المعنـوى يمكن أن يتخذ أشكالا مختلفـة ، مثـلا : وسـام للفريق الذى ينجز عمـلا أكبـر ، أو شكر وتقـدير يعلن شفاهة بعد انتهـاء عمل الوردية ، ويمكن أن يكـون أيضـا وفى نفس الوقت حـافزا ماديـا ، مثلا : علبـة سجاير للفريق المتفوق ، أو قطعة لحم زيادة لكل فـرد منـه .

وأحمل هذه الصياغه الى باقى الزملاء ، والى الأخوان المسلمين وبعـد مناقشـة يوافقون عليهـا بحماس ، وعنـد استلام الورديات من بعضهـا البعض فى نهاية كل يـوم يعلن قائـد العمل اسـم الفـريق المتفـوق . أذكـر أن أول فريق تفـوق اقترح زميل أن يأخذ الفريق وسـام مصطفـى كامل . ووفق على الاقتراح عندما ارتفعت أصواتهم بنشيد .. بلادى .. بلادى . لك حبى وفؤادى . وكان الحافز المادى هو علبـة سجاير هوليـود . أى أن نصيب كل زميل كان سيجارة واحدة حيث الفريق مؤلفا من عشرة ، وترتفع أصـوات :

- راح تشرب سيجارة بحالها ..
- لا على ثلاث مـرات ..
- برضه ما جاوبتنى على السؤال ..
- لا .. طبعـا .. معقول أشربهـا لوحـدى ؟
- طب هات نفس ..

ويتجمع الزملاء حـول حاملـى السجائر . يختلسـون بضـع دقائـق ويجلسون جماعات .. جماعـات .. ويدخنون بلـذة ومتعـة .. وتختلط الأصوات ..

- انت برضـه راح تولـع ثلث ؟
- أمـال يعنى أولع السيجارة كلهـا ..
- يا أخى دحنـا سـتة .
- نصف سيجارة بس ..
- لا تكفى .. ولع السيجارة كلهـا ..
- وبكره أعمل أيـه .. نفسى أشرب نفسين الصبح ..
- يا أخى اصرف ما فى الجيب .. يأتيك ما فى الغيب .

ـ ده تفكيــر غير علمي يا زميل ••

ـ يا أخي ماتزودهاش ••

ـ يا الله ان شالله ما حد حوش ••

ويعودون الى العمل اكثـر نشاطا وأكثـر حيوية • وكل فريق ينــاضل أجل الحصول على علبــة سجاير وأحـد الأوسمة • وتمـر الأيام سريعا تم انجــاز العمل فى موعـده المحـدد •

وكــان مشهدا مثيــرا • مشهد **نزول الميــاه من الصنابير في قلب الصحراء•**

احكى لك عنه يا حبيبتى فى رسالتى المقبلــة ،

٤ يوليو ١٩٧٧
القاهــرة

الرسالة رقم (٢٧)

حبيبتـــى
كأنما كان الأمـر اكتشافا جديدا لم تعرفه البشرية من قبل • المـاء يجرى فى مواسير أكثر من ٥ كيلو مترات وينزل من الصنابير • يا للسـعادة ! نستطيع منـذ هذه اللحظـة أن نفتح الحنفية لينزل منهـا الماء ، نشرب ، ونستحم ، ونطبخ ونخبز منـه ، بل ونستخدمه فى رى قطعة أرض نزرعها•
هل نزرع خضارا فقط أم نزرع بعض الأزهار والورود أيضـا ؟
ويـدور حوار طـريف :
ـ طبعـا خضار بس •• طماطم وخيـار وجرجير وفجل وفول و • و•••
ـ والفـواكه ؟
ـ بطيخ وشمام ••
ـ وليـه مش برتقال كمـــان
ويضج الزملاء بالضحك •
ـ بتضحكوا ليـه ؟
مـرة أخرى يضجون بالضحك • ويرتبك الزميل ، وأخيرا يعرف سببه الضحك :
ـ انت ناوى تقعـد فى **السجن** لغـاية لمـا يطلع **البرتقال ؟**
ويـرد الزميل فى غضب .
ـ خلاص غلطت فى البخارى ؟
كان هذا الزميـل طيبا الى درجـة تصل أحيانا الى حد البلاهة ، وكـان حسن النيـة الى درجـة أنه يمكن أن يصدق أى كـلام يقـال له من زميل • أليس زميـلا ؟ وكانت لـه فى نفس الوقت قـدرات هائلة على خلق صداقات مع أى انسـان يلتقى بـه فى الحى ، وفى الجامعة حيث كـان طالبـا ، وفى الأنـدية المختلفـة التى يتـردد عليهـا ، وكـان محبوبا من الجميع يثقون بـه ثقـة تامـة ، ويعتمدون عليه فى حل أى مشكلة تواجههم ••
ويحكى عنـه الزمـلاء قصة طريفة ، حقيقية ، طلب منـــه مســئوله يومـا أن يجنـد بعض الفلاحين فى بلدته ما دام يملك هذه القـدرة علـى خلق علاقات وصداقات • وجاءه فى اليـوم التـالى مباشرة يـزف اليـــه خبـر تجنيـده أحـد الفلاحين • واندهش مسئوله •• بهذه السرعة سـافر الزميل الى بلدته وعـاد منهـا بعـد أن جنـد فلاحـا ؟ فسأله :

ــ لحقت تسـافر البلد وترجع ؟
ــ مين قال انني سـافرت
ــ أمـال الفلاح ده منين ٠٠
ــ طالب في كليـه الطب « جامعة فؤاد »
وضحك المسئول وقـال :
ــ بأمول لك فلاح مش طالب ٠٠
فـرد عليـه ببـراءة شديدة :
ــ طيب ما هو طالب فـلاح ٠٠
والغريب أن هذا الزميل الذى يملك هذا القـدر من حسن النيـة ، والطيبة، يملك فى نفس الوقت دهاءا يفـوق دهـاء الثعلب ، وذكاءا حادا ، وذاكـرة قادرة على حفظ أى شيء يمر بهـا ! كنـا نكلفـه بأخطـر التكليفـات داخل السجن ، وارسال واستلام الخطابات والتقارير المرسله منا والواردة الينـا ٠ كمـا كنـا نستعين بذاكـرته عندما نحتاج الى نص محدد من مرجع محـدد ! حتى بعض الاحصائيات التى تكون قـد مـرت عليـه يعيـد ذكرهـا بمنتهى الدقه ، كنت أحبه كابن أكثر ممـا كنت أحبه كزميـل ٠ ليس فقط لصغر سنه فقـد كـان هنـاك زمـلاء فى مثـل عمـره ٠وكـان هو أيضـا يلجـأ الى لا بوصفى زميلا لـه أو مسئولا ، ولكن باحساس الابن ٠

المحـه مستمرا فى الحوار ولكن لا أسمعه ٠ يجرى نحوى وعلى وجهـه غضب ، ويقـول .
ــ أظن ده بقى ببقى منتهى الرفاهيـة ٠
ــ أيه هـو ؟
يشيـر الى أحـد الزمـلاء ، ويقـول :
ــ عاوز يزرع ورد وزهور
ــ ورود وزهور بس ؟
تزول بعض تعبيـرات الغضب من وجهه :
ــ لا طبعـا ٠ وخضار كمـان
ــ [illegible] أيـه المشكلة ؟
ــ المشكله ان احنا نستفيد من الأرض والمـ[illegible] فى زرع خضار علشـان الأكل وبس ٠٠
ــ طبعـا الأولوية للخضار ٠٠
ــ ما كفـاية الخضار ٠٠ أيه لزوم الورد ٠٠
ــ برضه ٠٠ مفيـد ٠٠
ــ مفيـد فى أيـه ٠٠ بيتاكل ٠٠
ــ لا له فوايـد أخـرى ٠٠ متعـة جماليـة مثل الموسيقى مثلا ٠
ــ بس بشرط ٠٠

ـ مفهوم ٠٠ بشرط توفير كل احتياجاتنا من الخضـار ٠٠ موافق ؟
ويبتسم فى هدوء ٠٠ ويعلن موافقته ٠٠ والطريف ان هذا الزمبل كـان أول من قـام بزرع ورد وأزهار أمـام الخيمـة التى يسكن فيهـا ٠ وكـان بقف لحراستها طول وقت فراغه ، ويعهـد بها الى زمبل آخـر عندمـا يكون مسغولا فى عمل بعيـد عنها نظيـر وردة يعطيها لـه ٠

الحركة لاتهـدأ عنـد صنابيـر الميـاه التى أتينـا بهـا عبر الصحـراء ٠ البعض بملأوون الجرادل ويذهبون بهـا الى المطبخ ، وآخرون الى المخبـز ، وبعضهم بستحم فى الهواء الطلق ، فالعمل فى الحمامات لـم يبـدأ بعـد فما زلنـا فى انتظـار الخزانات وطلمبـات الميـاه التى وعدنا بهـا المأمـور وقـد سافر خصيصا من أجل احضارها هى ولوازم أخـرى ٠ فجأة نسـمع أصوات بعيـدة تـردد نسدد : بلادى ٠ بلادى ٠ الصوت يقتـرب ، موكب من ست سيارات تتقدمهم سيارة المأمور البيك آب ، عربتان بهما زمـلاء يرددون النشيد ، و ٤ عربات لورى تحمل أشـياء كبيـرة لا نتبين منهـا سـوى الصهاريج ٠

ـ ادن ممـد نعـذ المأمور ما وعد بـه ٠٠
ـ ومن هؤلاء الزملاء ٠٠ ؟
ـ أحكام حديدة بالأشغال الشـاقة ؟
ـ ربما ولكن من ٠٠ ؟

يصرخ أحـد الزمـلاء ٠٠

ـ دول الزملاء اللى فى سجن مصر ٠٠
ـ لكن دى أحكامهم سجن بس ٠٠
ـ لازم راح يلمونا كلنـا على بعض ٠
ـ دى تبقى مخالفـه صريحة للقانون ٠
ـ قانون أيـه اللى أنت جاى تقول عليـه ٠ ؟

تقف العربات عند باب السجن ٠ يجرى اليها الزملاء يستقبلون زملاءهـم بعـد فـراق سنوات ٠ مأمور السجن وضباطه وجنوده يشاهدون هـذا المشهـد الانسانى فى صمت ٠

قـوة اللحظـة وعمق انسانيتها يمكن أن تحـرك الجانب الانسانى حتى عنـد أشرس البشر فما بالك ومعظم هؤلاء وعلى رأسهم المأمور قد أصبحـوا شـبه أصدقاء لنـا ٠

بصـوت ودود يقـول المأمور :

ـ انتو بقى مبسوطين بحضور زمايلـكم ٠٠ والا بالصهاريج دى ٠٠

ويصيح الزمـلاء فى وقت واحـد :

ـ الاتنين طبعـا ٠٠
ـ الخير على قدوم الواردين ٠٠ جبت لكم كميـات هائلة من الطـزود ٠٠

وللتأكـد يسألون :

ـ طـرود أيــه ..

ـ طرود من أهاليكم ..

ـ هايل « لازمــة مجدى فهمى »

ـ عظيم « لازمة زكى مـــراد »

ـ مدهش « لازمة صلاح حافظ »

ـ آهو ده الشغل « لازمة ملك الصحراء »

ـ رائــع « لازمــة محمد شطا »

ـ تمـــام « لازمة سعد باسيلى »

لـم تهـدأ حـركة الاهالى منـذ غادرنا **ليمـان طـره الى سجن « جناح » بالواحات الخارجة** . كانوا يترددون يوميـا على **مصلحة السجون والمبـاحث العـامة ورئاسة الجمهورية ودور الصحف والنقابات المهنيـــة والعماليــة** . كتبـوا مذكرات لكل المسئولين فى الدولة ، ووزعوا بشكل علنى بيـانا علـى الشعب عن ترحيلنــا المفاجىء الى مكان مـا **فى الصحراء** ، ورغم الوعــود التى أعطيت لهم بزيارتنـا ، ورغم التصريح بالزيارة لزوجة أحـد المسجونين ، فما زالوا ممنوعون من الزيارة . والطرود والخطابات لـم يصرح بهــا . وبحمل البيــان فى ختامه مسئوليــه المؤامـره التى تدبـر ضدنا . ولمــا وجـد الأهالــى تباطؤا فى تحقيق مطالبهم دخل عـدد منهم مصلحون السجون وأعلنوا **اعتصامهم واضرابهم عن الطعام** حتى تجـاب مطالبهم أو **الموت** مع ذويهم الملقى بهم فى **الصحـراء** . عرفنــا هذا من الزمــلاء الذين أتوا الينــا من سجن مصر .

وحين نشكر **مامور السجن** على جهوده التى كللت بالنجاح فى مصلحــة السجون ، يقـول بتواضع :

ـ الشكر لأهالكم .. دول حقيقى أبطال .. همه اللى خلوا المسئولين يقتنعوا بمطالبكم . كل اللى عملته أنى وقفت الى جانب هذه المطالب .

ويتجــه المأمور الى داخل السجن ويــرى خنفسات الميــاه . فيصيح فرحا :

ـ [illegible] .. والله أبطــال

ـ [illegible] .. والطلمبات [illegible] فى موعد

ـ طيب بالله بقى علشــان تستلموا الطرود

بعض الزملاء يمشى فى ثبـات نحو مكتب المامور ، فهـم يثقـون بـأن لهم طرودا .. والبعض الآخــر يقـدم رجـلا ويؤخر رجـلا ، تـرى هـل عندهم فائض كى يرسلوا طـردا ؟ . وباقى الزمـلاء لم يكلف نفسـه عنـاء الذهاب ، ان أهله لا يملكون قوت يومهم فمن أين يأتون اليــه باحتياجاته ؟ .

ومع أن نظـام « **الحيــاة العـامة** » يصادر كل ما يأتى الى الزملاء مـن طعام وسجاير ونقود ويوزعهــا على الجميع بالتساوى ، **لا فرق بين الزميل**

المقتـدر وبين الزميل المعـدم ، الا أن مجـرد وصول أى شىء مهمـا صغرت قيمته للمسجون يرفع معنوياته الى حـد لا يمكن تصوره · مـرات كثيرة رأيت فيهـا زمـلاء لم تصلهم طـرودا أو نقـودا ، فى عيونهم حزن وأسى · لانستطيع ابتساماتهم المفتعلة أن تخفيهـا · ربمـا كنت أكثـر احساسا من غيرى بهؤلاء الزمـلاء · فقـد كنت ـ فى أغلب الأحيان ـ واحدا منهم ·

كان الضابط ينـادى على أسـماء أصحاب الطرود ، بينمـا كنت أضـع يـدى على قلبى · خوفا على نفسى ، وعلى عـدد من الزملاء أعرفهم جميعـا· هذه أول مـرة يرسل لنا فيها الاهالى طـرودا · والذى لا يصله طـرد فى هذه المـرة بالذات سـوف يأخذ عقله ويعطى ، تـرى هل أصابهم مكـروه ؟ هل يئسوا من عودته فقـرروا أن يقطعوا صلتهم به ؟ الى هذا الحد وصلت حالتهم التى لـم تمكنهم من ارسال حتى علبه سجاير ؟

أوزان الطرود يبدأ أكبرها ما يزيد عن ٢٠ كيلو جرام ولا يزيـد أصغرها عن ٢ كيلو جرام والمحتويات أيضا مختلفة، فى بعضها « **مارون جلاسيه** » وفى بعضها الآخر « **حرنكش** » ! و « الحرنكش » عبارة عن حلاوة مصنوعة من بقايا العسل الأسود ، و «المارون جلاسيه » ـ كما أظن ـ أبو فـروه مكسـوة بالشكولاتـه !

وأسمع اسمى ، ويسمع كل الزملاء دون استثناء اسماءهم ·

حمل كل زميل طرده وهو سعيد غاية السعادة · الجميع سعداء لكن الأكثر سعادة كانوا أصحاب الطرود الصغيرة فى حجمها وفى قيمتها ، ذهبوا جميعا بهـا الى مسئول « **الحياة العـامة** » ·· ليتولى مصادرتها لصالح الجميـع بالمساواة الكاملة · وكان يوما مشهودا ، كان موعد الغذاء قـد حـل · وحين سمع الزمـلاء دقـات نـداء الغـذاء المعتـادة ذهبـوا اليـه متكاسلين ، متباطئين ·· يأخذون نصيبهم من الطبيخ والأرز واللحم · حين لا يسـمع الزميل أحمد خضر التحيـات والتقديرات المعتـادة لطبيخه ، يصيح بصوته المرتفـع :

ـ أيـه يا زملا ·· بطاطس ولحمـة ورز ·· مش عاجبكم ؟

لا يسمع أى مديح · بل ولا ردا على سؤاله ·

ـ أطبخ لكم بفتيك ·· مبلبه ·· لحم بارد ؟

ثـم يصرخ بغضب ··

ـ شىء بارد صحيح ··

ويجـرى حوار طـريف :

ـ يا أحمد وأنت مالك بس

ـ أمال مين اللى ماله ·· مش أنا مسئول الطبخ ؟

ـ وحد قالك حاجة

ـ أمال مالكو متيسين لـيه ؟ ·

– يا أخى افهم بقى ••
– أفهم أيـه ؟
– فيـه طرود وصلت النهاردة ••
– وأنا فى المطبخ •• ولا دارى •• وأنا جالى طرد
– طبعـا •• واستلمناه ••
– طيب أعرف فيـه أيـه ؟
– روح لمسئول الحياة العـامة •
ويجـرى أحمد خضر الى مسئول الحياة العامة تاركـا جرادل الطبيخ والأرز واللحمـة ، والمغرفة ما زالت فى يـده ليعـرف ماذا أرسل اليه أهله !
وترتفع أصوات دقات الملاعق على القروان •
– تك ، تك ، تك •• تك ، تك ، تك ••
ويأتى اليهم صوت مسئول الحياة العامة •
– طيب يازملا •• طيب •• عارف طلباتكم •
ويخرج من خيمته كالطاووس يتبعـه ثلاث زمـلاء ، ويحمل الأربعـة غطيان جرادل » وعليها ما لذ وطاب مما أرسله الأهالـى فى طرود اليـوم
– بفتيك •• !
– فيليـه ••
– فـراخ ••
– ديك رومى مـرة واحـدة •
– والله عمرى ما كلته ••
– والفيليـه دى لحمه مشوية ولا محمرة ؟
– مشوية يا بنى آدم ••
– اتمدنوا بقى ••
– والبفتيك بالردة والا بالدقيق ••
– يا جدع بالبقسماط المجروش ••
– والله راحت عليك يا أحمد يا خضر ••
ويصرخ أحمد خضر • ويلقى محاضرة :
– يازملا انتو بتفكروا بطريقـة آنيـة • استراتيجيا بقى أنـا اللـى اكسب • [illegible] ذكروا أن الطرود [illegible] •• وكمـان [illegible] تيجـى كل [illegible] محتوياتها دى • [illegible] مـرة يبعت [illegible] الأهـالى طرود بعـد ما جينـا هنـا فى [illegible] وطبيعى أنـه •••
وتقاطعه دقات الملاعق على القروان :
– تك ، تك تك ••• تك ، تك ، تك ••
ويستطرد أحمد خضر :
– أنا بقى عمرى ما تهمنى المقاطعة •• أنا بقى فى النقابـة لمـا كنت

الخطب •• ويقاطع مـرة أخرى :

ـ تك ، تك ، تك •• تك ، تك ، تك ••

ـ النفابيون الصفر •• كانوا بيقاطعونـــى زيكو كـــده ••

ومــرة ثالثـــة :

ـ تك ، نك ، تك ••• تك ، تك ، تك ••

ويقــول مسئول الحيـــاة العامة :

ـ يا أحمد دول منى بيقاطعوك ولا حاجة ••

ويحتج أحمد ويقول غاضبا :

ـ ازاى بقى منى بيقاطعونى •• انا احتج •• أيه رأيكو يازملا ؟

ومــرة رابعـــة :

ـ تك، تك، تك ••• نك، تك ، [illegible]

ويخرج مسئول الحياه العامة . مسرت ثانيــة ، يتبعــه ثلاث زمـــلاء ، يحملون الفاكهـــة .

ـ تفـــاح

ـ منجـــة

ـ برقــوق ••

ـ والله الحبسه أحلوت

ـ نعمة يصونها من الزوال • •

ـ اللهم ما أجعله خير •• عينى بتـــرف ••

وترتفع أصوات بعض الزملاء •• عينى بتـــرف يا حبة عينى، باللى حرمت النـــوم من عينى • خير ان شـــاء الله • والله ما كان على بالى دا كله •

وبينمـــا يتوجه الزملاء لغسل أيديهم وقرواناتهم لأول مـــرة من الحنفيـــات ودون مشاكل مع **أحمد خضر** مسئول الطبيخ يعلو صوت يقـــول :

ـ خبر هام يا زملا •• كل واحـــد يستنى مكانه ••

ويعلن مسئول الحياة العامة .

ـ ابتداء من اليـــوم •• فيـــه نســاى زيـــادة الساعة خمسة •

ـ فايف أو كلاك تى •• يا عينى ولســـه •

وينصرف الجميع الى خيمهم لقضـــاء قيلولة الظهيرة • واستلقى علـــى سريرى الخشبى • كنت حزينـــا رغم كل ما عشته من مرح خلال الساعات الأخيرة وكنت قلقـــا لسبب لا أدرى مصدره على وجه التحديد ، رغم الانفراج الذى حدث فى السجن •

وكانت وقفـــه تأمل مع النفس •• تستحق أن أخصص لهـــا رســـالتى المقبلة ، فالى اللقـــاء يا حبيبتـــى ،،

٥ يوليـــو ١٩٧٧

القاهـــرة

الرسالة رقم (٢٨)

حبيبتــى

مى بعص الاحيان يعلو فى داخل الانسان صوب أقوى من كل الأصــوات بالحاح ، ذف لحظــه تأمل مع نفسك • ولقــد شهدت سنوات عمرى منــذ شبابى عــددا من هذه اللحظــات النى أحدثت كلهــا انعطافا حاســما فــى حياتى على المستويين العــام والخاص • قبل أن أدخل السجن ، وخلاله ، وبعــد خروجى منــه ، كانت اللحظــة التى حدثتك عنهــا فى رسالتى السابقة واحــدة منهــا • « أرى فى عينيك الرغبــة فى حديث عن كل تلك اللحظات » أعــدك فى رســائل مقبلة ، ودعينى أحدثك عن هذه اللحظــة بالذات ، لحظة دهابى لفضــاء قيلولة ذلك اليــوم الذى سهد استلامنا جميعــا طرود طعــام وسجاير وحلوى وفاكهة من أهالينــا •

قبل أن نستلقى على أسرتنــا الخشبية ، وفى حركة تلقائيــة ، أخــذنا جميعــا نتأمل بفرح الملابس النى وصلتنــا مى الطرود ، وتوالى التعليقات:

« **مجدى فهمى** ــ أمى هية اللى مصلت لى البيجامة دى •
ــ وعرفت ازاى يا مجدى ؟
ــ ودى محتاجة لذكاء ••
يضحك بحب وحنان ويستطرد :
ــ شــوف واسعة ازاى ••

« **سعد باسيلى** » ــ شوف بيجامتى •• آخــر تمــام
ــ طبعــا شغل معلمين ••
ــ ده تخصص يا أستاذ ••

« فننــة أخت سعد باسيلى اضطرتها الظروف بعد سجن أخيها الى احتراف الخياطــة »

« مصطفى [illegible] خليل » ــ والله [illegible] عملية جدا •• شوف
ــ [illegible] سجن [illegible] ؟
ــ أنا اللى [illegible] ازاى نفصل الهدوم ••
ــ لك حق ما انت بتــاع كلــه •

ويستمر الحوار ، لم نكن حوارا بين الزملاء ، وانمــا كــان حوار بينهــم وبين أهاليهم • وادرك سبب النــداء الذى يلح فى داخلى • قف مع نفسك لحظــة تأمل • الحوار مع الحيــاة يجرى من خــلال قنوات عديدة ومتنــوعة

عامــة وخاصة ، ومع أنــه لا انفصــال بين العــام والخاص ٠٠ الا اننــى كنت فى حاجة ملحــة لحوار من خــلال قنــاة خاصة جــدا ٠ هذا الحــوار الخاص الذى يجرى تلقائيــا منذ لحظــات بين الزملاء ، وبين أهاليهــم يؤكد هذه الحقيقــة لكننى أحاور من ؟ لو ان زوجتــى « ميمــى » هــى التــى أرسلت لى هــذه البيجامة ــ وان كــانت جاهــزة ــ لخلفت بعض كلمــات للحوار ٠ أخى مسعد ــ رحمه الله ــ هو الذى أرسلها وليست « ميمــى » ، فهو لــم يكتب لــى شيئا عنها وعن أخبارها ٠٠ الحوار مع أخى مســعد متصل ولكنــه حوار عــام وأنا فى حاجة الى حوار خاص ٠٠ خاص جــدا ٠ لو كانت أمى ما زالت على قيــد الحيــاة ، لظل حوارنا متصــلا متجددا ٠ ماتت فى النصف الثانى من الأربعينات بين ذراعي ، وكانت كلماتها الأخيــرة لــى « خــد بالك من مسعد » ما زلت اتذكــر حوارا قصيرا معهــا بالكلمة والحرف، كنت من وجهــة نظــرها أحسن أخوتى « حنين » مالوش مطالب ٠ لا يحب المشاكل ، لكنهــا كانت تعجب لأمــرى وهى ترانى أعرض نفسى للخطــر ٠ قالت لى فى حنــان ٠

ــ هو انتو يا ابنى ضــد الحكومة والانجليز ؟

ــ ضــدها وأكتــر كمــان ٠

ــ ازاى يا ابنى ٠٠ دا انتــو غــلابة ؟

ــ ما هو سعد زغلول « باشــا » بالغلابة دول عمل حاجات كبيرة للبلــد

ــ يعنى انت يا ابنى راح تبقى زى سعد باشــا ٠٠

أضمها بين ذراعى وأقول لهــا بابتسامة :

ــ وليــــه لا ٠٠ ؟

وتقبلنى بكل حنــان الأم ، وتقــول :

ــ ربنــا ينصركم يا ابنــى ٠

وأختى الوحيدة ــ رحمها الله ــ هى التى بتــرت بسكين حــاد حـــوارا كــان بيننــا حين طلبت منى أن أخرج بأى ثمن حتى تشفى من مرضهــا ٠ فقــد قال لهــا الأطباء أن مرضها حدث نتيجــة صدمة اعتقالى ، وخــروجى سيحدث لهــا صدمة أخرى تشفيها من المــرض ٠

لا أستطيع أن أتصور يا حبيبتى المدى العميق ، الغنى ، المتجدد لحــوارنا المتصل لو أنــا التقينــا قبل **١٨ يوليو عــام ١٩٥٢** ، ولو بيــوم واحــد٠ أو لحظــه واحــدة ، ربما كــان لقاؤنا القصير هذا نــواة لتجربة حب عظيمة ، وربمــا كــان بداية لصداقة وطيــــدة ، لكنك يا حبيبتى كنت مــا تزالين « فى المهــد صبيــة » !

أحيانا ٠٠ وخــلال مسيرة النضال الطويلة مع **مجدى فهمى** ، كنت أعجز أحيانا عن رؤيــة العالم بوضوح ، وكــان مجدى يقــول :

ــ أنت فى حاجة الى تجربة حب حقيقية ٠

ـ لماذا ؟

ـ قدراتك على الابداع والخلق تتضاعف عشرت المرات من خلال علاقة خاصة جدا ٠

لم أكن أدرك عمق هذه الكلمات التى سمعتها من **مجدى فهمى** مرات عديدة خلال أكثر من عشرين عاما ٠ عرفت مغزاها وعمقها ، ودلالاتها خلال هذه الأيام فقط ٠ أنت قاسية يا حبيبتى ٠٠ لماذا تم دأت الى هذا العالم مبكرا ؟

كان السبب المباشر لحالتى النفسية فى تلك اللحظة البعيدة التى عشتها فى قلب الصحراء منذ ما يقرب من العشرين عاما . هو اننى لم تعد لى علاقة خاصة ، أمى ماتت ، واختى بترت حوارنا ، وروجتى « ميمى » استسلمت لضغط ظروفها ٠ هكذا فقدت حنان الأم ، والأخت ، والزوجة ٠ وليس لى صديقة أو حبيبة ٠ حتى أخوتى ـ عدا مسعد ولم يكن قد تزوج بعد ـ انصرفوا جميعا عنى ٠ وكان يمكن أن أجسد عند زوجاتهم ، أو احداهن ، عطفا يرطب ملبلا من الجفاف الذى أعانيه ٠

لم يعد هناك أى مبرر لاستمرار علاقات وهمية بعد أن فقدت كل مقوماتها ، فالعلاقات الزوجية ، وحتى علاقات الدم ، لا يمكن أن تستمر، وبالتالى يجب الا نصر عليها ، ما دامت قد فقدت [illegible] بقاءها ، واستمرارها ٠ وأحسست بهدوء نفسى بعد اتخاذ هذا القرار ٠

الأصدقاء المقربون منى ، وكل من تربطنى بهم علاقة خاصة يرون ان تعبيرات وجهى تكشف بوضوح عما يدور بداخلى ، ويبدو أن مجدى فهمى وكان مستلقيا على سريره بجوارى يتابع فى صمت انفعالاتى الداخلية التى يعكسها وجهى ٠ قال وابتسامه ودودة تكسو وجهه :

ـ عاوزين نقعد قعده النهاردة

ـ انا محتاج قوى لهذه القعدة

ـ ياريتك تكون ما اتخذتش قرار

ـ حتى لو حصل ٠٠ ممكن التراجع عنه بعد المناقشة ٠٠ انت مش عارف الحكاية دى يا مجدى ؟

ولا يستغرق حديثنا أكثر من نصف ساعة لينتهى الى القرار نفسه ٠ لكن الحديث [illegible] الحوار المتصل هو جوهر كل [illegible] هذا الحوار على أسس انسانية مشتركة بقدر ما ينمو ويتطور ٠ ويسوقنا الحديث الى تقييم تجربة علاقتنا التى لم يكن قد مضى عليها أكثر من أربع سنوات ٠ ونتفق على أن هذه العلاقة وان بدأت مجرد علاقة نضال ، الا انها تطورت بسرعة هائلة الى علاقة صداقة قوية ، حيث يجمع بيننا التكوين الانسانى المشترك ٠

واليـوم ـ بعـد أكثـر من **٢٦ عامـا** ـ منـذ التقيت **بمجدى فهمـى** نصل صداقتنا الى أروع وأعظم ما يمكن أن تصل اليـه صداقة • انهـا تجـربة عظيمة تستحق أن تسجل فى عمل كبير ، فأبعادها العميقة فى نفسينا التى اكتسبتها ليس فقط من خـلال الاتفـاق الفكـرى والوجدانى ، والنظـرة الانسانية المشتركة ، ولكن أيضـا من خـلال صمودها لمحاولات لم تتوقف ـ وللأسف من زملاء ـ لضربها أو النيـل منهـا • محاولات وصل بعضهـا الى درجـة من التدنى تقشعر لهـا الابدان • وعبنا راحت كل محـاولات الأصدقاء ، والأعداء لتنـال من صداقتنا الوطيدة • ما أروع العلاقة الانسانية حين تتحول الى تجـربة حيـة ، من خلالها يستطيع الانسان ، ان يفكـر بذهن صـاف ، وأن يخلق ويبـدع ويبتـكر •

ونتصرف سـويا وقـد تشابكت ايدينـا نـردد فى صمت قسم المحافظة على تجربتنـا الفـريدة كمـا نحافظ على حبات عيوننـا • وفى الصبـاح نفاجأ بجلسـة انسانية رائعـة مـع **أم مجدى فهمى وأخت سعد باسيلى** ، أحكى لك عنهـا فى الرسـالة المقبلة • باحبيبتى

٨ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٢٩)

حبيبتـــى

كان لوقفتــى مع نفسى ثم حوارى مع **مجدى فهمى** أثرهما العميق فـــى وجدانى • لقــد نفضت عن نفسى أوهام علاقات زوجيــة وعائلية كنت متعلقا بهـا سنوات طويلة منــذ دخلت السجن • وبــدأت مرحلة جديدة من رحلة علاقاتى الانسانية خــلال سنوات سجنى • حقــا لقــد كانت علاقاتى بكــل من التقيت بــه من الزمــلاء ، وعــدد كبير من الاخوان المسلمين ومن المسجونين العاديين تتسـم بطابعها الانسانى ، لكنها كانت لا يمكن أن تــكون البديــل للعلاقات الانسانية الخاصة مع الأم ، أو الأخت ، أو الزوجة ، ربمــا كــانت العلاقات الزوجيــة أو علاقة الــدم مع المرأة هى أكثــر العلاقات الانســانية التى يجــد فيهــا الرجل ، وبصفة خاصة المسجون لمسات الحنان • ولكــن اذا توفــرت كل الظروف التى توفرها مثل هذه العلاقات عنــد أم صــديق ، أو زوجته ، أو أخته . ألا يمكن أن تكــون بديــلا لعلاقة الزواج أو الــدم ؟

كان هذا السؤال يلح على ، يطلب اجابة تطبيقية للاجابة النظــرية التى تقــول : نعــم •• يمكن • فما العلاقات الانسانية بجوانبها المختلفــة الا توافق عاطفى ووجدانى ، تجسده الظروف الموضوعية المناسبة •

وتشاء الصدمه ــ وكثيرة هى الصدف التى لعبت فى حياتى دورا هامــا ــ أن تعطينى الاجابه العملية المؤيــده للفكرة النظــرية •

كانت الساعة لاتتجاوز الثانيــة عشر ظهر يوم بعيــد فى **سجن «جناح» بالواحات الخارجة** • عــربة تقف على باب السجن الخارجى • ومن بعيـــد نلمح **ثلاث سيدات ينزلن** من العــربه • **نساء فى قلب الصحراء** ؟ من هن ؟ وكيف وصلن الى هنــا ، ويجرى الزملاء الى هنــاك • جريت بعدهم بقليل ، لأجــد نفسى بين أحضان **أم مجدى فهمى** ، تقبلنى بحنان بالغ • حنـــان **الأم الذى فقدته منذ سنوات بعيــده** • ثــم تقبلنى زوجة أخ مجدى فهمى ثــم شقيقة **سعد باسيلى** • ويصيح مجدى فهمى ••

ــ هايله يا أمى ازاى عرفتى تيجى ؟

وتقول بثبــات وثقــة :

ــ وانت ازاى جيت ؟

ويلتفت مجدى الى زوجة اخيه :

ــ مدهشة يا « بــدرية » وصلتوا ازاى ؟

وتحتضنه (بدربه) بحنان كبير ٠٠

ــ زى ما وصلت انت ٠٠

والتمت الى فتنــه ــ أخت سعد باسيلى ــ

ــ حمد الله على السلامة يا « متنــة » ٠٠ ازى سكرى ٠٠ (سقيق سعد باسيلى)

وأرى دموعــا فى عينيها وتقــول :

ــ شكرى فى **سجن مصر** ٠

ــ من امتــى ؟

ــ بقــاله شهرين ٠٠

لم يكن شكرى أى علاقة بالتنظيم ٠ وكــان من العناصر التى يطلق عليهــا لفظ « بلطجى » وكثيرا ما كان يسبب مشاكل لأخيه سعد باسيلى قبل دخوله السجن ٠ فما الذى حدث لــه ؟ متى ؟ وكيف ؟ ويقطع صوت « فتنه » تأملاتى :

ــ شكرى موجود فى مستشفى السجن ٠

ــ ليــــه ؟

ــ حاول الهرب ، قفز من الدور الثالث لمـا جه البوليس ، انكسرت رجله٠٠

ــ ومسكوه فى الحــال طبعــا ؟

ــ أبدأ فضل يجرى وهمه وراه ومسكوه ٠

ــ ولا يهمك يا فتنــه ٠٠

وتلتفت حولها ٠٠ تبحث عن أخيها ٠٠ كل من تعرفهم حولها ، يسلمون عليهــا ويتحدثون معهــا وأصيح بأعلى صوتى وبغضب :

ــ فين سعد يازملا هو ما عرفش والا أيــه ؟

وألمحــه من بعيــد يأتى الينــا على مهل ٠ كان **سعد باسيلى** يمثل لنــــا مشكلة **بالغة التعقيــد** ٠ من رأيــه أنه لا مكان للعواطف الانسانية فــى نفس المناضل،فهىنقيض الصفات الأساسية التىيجب أن تتوفرعندكل المناضلين والغريب أنــه هو نفســه يحمل فى داخله كــل كنــوز الانســـان العاطفيــة والوجدانية ، ولكنه كان يكبتها بقسوة وعنف عند كل محاولة لابرازهــا ٠ عندما كان وجهه ــ الناصع البياض ــ يجرى فيــه الــدم ويصبح شــديد الحمرة ، نعــرف أن معــركة ضارية تجــرى فى أعماقه ٠ كانت عواطفـــه تنتصر دائمــا ، ولكنــه لا يعترف ابدا بلسانه ٠ كــان لسانه يقول شيئا ، وكان وجهه يقول شيئا آخــر ٠ وجسد لقاؤه بأخته التى عانت من مشــقة طــريق قطعته فى **٤٨ ســاعة** ، والتى بذلت جهــدا خرافيا من أجل الحصول على اذن لزيارة أخيها الذى ألقوا بــه فى الصحراء منذ أكثر من شــهر ــ جسد صورته بشكل واضح ٠ رأته من بعيــد يسير نحوها فى خطــوات منتظمة ــ لم تنتظر وصوله وجرت اليه لتلتقى بــه داخل السجن ٠

ـ أهــلا يا فتنــه حمدلله على السلامة ٠٠

يــده ممدوده للسلام عليهــا بطريقة تقليدية تماما ٠ وعبثا تروح كــل محاولات ســفيفته للحصول على قبله منه ٠ كانت حمره وجهــه تزداد عند كل محاوله تقوم بهــا المســكينه لاحتصانه وتقبيله ٠ صاح الزملاء الذين كانوا يراقبون هذا المشهد . وهم يصفقون بأيديهم ٠٠

ـ سعد باسيلى ٠٠ سعد باسيلى ٠٠ أعينى معاك وأطلع من دينى ٠٠ يا سعد باسيلى ٠٠ يا سعد باسيلى ٠٠

كان نشيدا كتب كلماته الساخره **عبد الرحمن الخميسى** ، ولهذا النشيــد قصــة طـريفة ٠

ذات يــوم عــام **١٩٥٣ فى سجن مصر** كــان عبد الرحمن الخميسى ينتظر زيارة زوجته لــه ـ لا أذكــر ترتيبهــا فى قائمه زوجاته ـ لكنهــا لم تحضر ٠ وكــان حزن الخميسى ـ ربما لطبيعته كفنان ـ بالغــا الى الحــد الذى جعلنى اقترح عليه أن يتضى الليلة فى زانزانتــى ومعنــا ثلاثة مــن الزمــــلاء بينهم سعد باسيلى والزميلان الآخران **كانا سعد زهران ومجدى فهمى** ٠

وعندما اغلق السجان باب الزنزانة ، وعندما بدأنا فى الاعــداد لعشاء شهى من السمك واللحم والمحشى الذى جاءت به أم مجدى فهمى وزوجة سعد زهران، قال الخميسى بحسرة وألــم :

ـ كــان نفسى فى السمك اللى بتعمله مراتى ٠٠

ويبتســم سعد زهران بانسانية ويقــول ٠٠

ـ معلهش يا عبد الرحمن ٠٠ ده سمك كويس بتعمله ســمعه ٠٠

ويــرد الخميسى :

ـ لأده كان السمك اللى جابللى من بور سعدد ٠٠ طازج ٠٠

ويتدخل سعد باسيلى :

ـ أيــه يعنى الفــرق بين سمك القاهرة وسمك بور سعيد

ـ لا فيــه فــرق طبعا يا ســـعد ٠٠

ويقول سعد باسيلى بامتعاض ٠ ٠

ـ أبدا ٠٠ كل الحكاية ان الخميسى عاوز ياكل من سمك مــراته ٠٠

ويصيح الخميسى بصوته الجهورى ٠٠

ـ أيــوه يا سعد ٠٠ السمك اللى بتعمله مراتى لــه طعم خاص ٠

ويــرد عليه سعد بثبـــات :

ـ طعم خاص عندك انت بس ٠

ويعلو صــوت الخميسى :

ـ طبعا عندى بس ٠٠ أمــال عند الجماهير كلهــا !

ويشعر سعد باسيلى بان « **الجماهير** » قــد أهينت فيهب للدفاع عنها !

ـ بس ماليكش دعــوة بالجماهيــر ٠٠

ويحتد صوت الخميسى :

ـ هو أنت يا أخى وصى عليها ••

كنت **أنا وسعد زهران ومجدى فهمى** ، نرقب الحوار فى صمت ونبتسم بين الحين والحين • التفت الينا الخميسى وصاح فينا :

ـ الله انتوا واقفين على الحياد •• اشتركوا معانا فى المناقشة •

أوجه حديثى لسعد زهران •

ـ أيه يا سعد ما تقول رأيك

يرد ضاحكا ••

ـ لا ياعم قول أنت •• أنا خايف ••

وأقول لمجدى فهمى ••

ـ طيب اتكلم انت يا مجدى ••

ويضحك قائلا ••

ـ انت عارف •• أنا مش فدائى ••

ويلتفت الى الخميسى ويتساءل ••

ـ أيه الحكاية •• طيب قول أنت •

وأقول ضاحكا ••

ـ وهل يجدى القول ؟

ونضحك جميعا ، ويشاركنا سعد باسيلى الضحك لكن نظراته تنطق باننا جميعا ، ناس « خرعين » ! يستجيبون لعواطفهم • ونبدأ فى تناول العشاء أربعة زملاء يريدون « الفضفضة » حول أكلة شهية صنعتها أم أو زوجة أو أخت ! لكن خامسهم يفرض عليهم ارهابه ، بين الحين والحين تفرض روح المقاومة والتحدى نفسها :

ـ ايه رأيك بادرش فى السمك ده ••

ـ سميعة ساطرة فى عمل السمك ••

ـ بذمتك مش أحسن من سمك اسكندريه ؟

ويصيح سعد باسيلى ••

ـ أيوه كده اكشفوا عن نفسكم •• كنتم بتروحوا اسكندرية علشان تاكلوا سمك •

بمسكنة يقول سعد زهران :

ـ وفيها أيه يا سعد ؟

ويرد سعد باسيلى ••

ـ طبعا فى ابو قير •• مش كده ؟

وأقول :

ـ أبدا والله يا سعد •• عند الزميل « **خالد** »

ويعلق بسخرية :

– يا عيني يا عيني على القيادة ..
يسقط في ايدينا . ولا نعلق . وننتهي من تناول العشاء وقد فقدنا جزءا أساسيا من لذته ، لمدة الحديث عن الذين صنعوه . ثم جاءوا به الينا في السجن .

يقوم **سعد باسيلي** باعداد الشاي بينما ينصرف **عبدالرحمن الخميسي** للكتابة ، وانصرف أنا **وسعد زهران ومجدي** لحديث هامس عن الزيارة حتى لا يسمعنا سعد باسيلي فيكرر اتهاماته لنا . وبينما نحن نتناول الشاي يبدأ عبد الرحمن الخميسي في قراءه قصيدة مطلعها :

انى انتظرت صبيحة الاثنين
أن تحضري لزيارتي باعيني
لكن مضى يومي ولم يخرجني
من قبضة الزنزانة السجان

سادنا الصمت احتراما للمعاني الانسانية في قصيدة الخميسي وهو يتغزل في زوجته ، بينما يتلمظ سعد باسيلي غيظا ، يقاوم بعنف كلمات على لسانه ، وما أن ينتهي الخميسي من القاء قصيدته حتى ينفجر سعد باسيلي .

– بقى دى .. روح مناضل ..
ولا نملك سوى الضحك بصوت عال ونردد وراء الخميسي كلماته الطريفة ..
– سعد باسيلي .. سعد باسيلي أعيش معاك وأطلع من ديني يا سعد باسيلي ياسعد باسيلي .
وينظر هو الينا في اشفاق وحسرة على « مناضلين آخر الزمن » **ولاد الكلاب المثقفين** » !!

ولقد كانت شخصيه سعد باسيلي محل حوار ومناقشة بيننا في مناسبات مختلفه ، وكنا دائما نقف حائرين أمامها . أنت لا تستطيع الا أن تحترم بكل الاكبار والاعزاز روح النضال عنده واستعداده للتضحية بحياته من أجل ما يؤمن به . لكنه يقوم بكل هذا البكترونيا ، على الرغم من تكوينه الداخلي الانساني .

ربما كانت في حياته تجربة عاطفية فاشلة ؟
هذا ما كان يرجحه **الدكتور فؤاد مرسي** عندما كنا نناقش هذه المشكلة عند سعد باسيلي ، فهو لا يعترف بأي علاقة عاطفية أو حسية . وموقفه من المراه يصل الى أقصى درجات التخلف . وكان السؤال المطروح دائما . كيف يستطيع انسان أن يجمع بين فكر سياسي **تقدمي وبين رأى رجعي في المرأة ؟** ولقد فشلت كل محاولتنا لمعرفة سر هذا الموقف ، **ومازال هذا** السر ملكا لصاحبه حتى الآن .

وأعــــود بك يا حبيبتى الى أول زيــارة لنـــا فى **الواحــــات الخارجــــة** ·
والــدة **مجدى فهمى وبدريه زوجــة أخيه مصطفــى ، وفتنــه اخت ســـعد باسيلى** يحيط بهما الزملاء · كــل زميل بريــد أن بعرف أخبــار أهــــله وذويه ، وكانت الزائرات بملكن حصيله هائلة من أخبــار العائـــلات ، فهذه خطابات ، وهذه طرود جئن بهـــا · وهذه مشاكل مطلوب حلهــا كلمت والــدة مجدى فهمى بمنافستها مع أصحابها · تقول لمجدى :

ــ يــا مجدى عاوزه فــلان وفلان و ··
ــ ليــه يا والدتـــى ؟
ــ وأنت مالك ·· عاوزه اتكلم معاهـــم ·
ــ أيه يعنى يا أمــى ·· أسرار ·
ــ أيــوه أسرار ·

وينادى **مجدى فهمى** على الزملاء المطلوبين ، وتنتحــى الأم جانبـــا بكــل زميــل ويتهامســـان ، حتى كــاد النهــار أن ينصرم · ويقول مجدى ضاحكا ··

ــ وأنا يا أمــى متى راح ييجــى على الدور ؟
ــ بكــره كله علشـــانك ··

اليوم ، وبكره ، يومان بطولهما زيــارة ســجن · وكيف كان ذلك ؟ فــى السـجون الأخرى تتـم الزيــارة بطريقتين · الأولــى يطلق عليهـــا اسـم الزيــارة العاديـــة ، وهى تتـم من خلال حائطين من الأســـلاك يفصــل بينهما متران على الأقل · يقف الزوار فى جانب ، والمسجون على الجانب الأخــر · وحين يفتح باب الزوار ، تنطلق الأصوات عالية وتختلط الــى حــد كنـــا نعجز معه عن معرفة أى شىء ·· ازيك كويس ، شـــد حيلك ، مع السلامة ، أربع كلمات لا يســـتطيع المســـجون أو الزائــــر أن يلتقطهـــا · والطريقة الأخــرى وهــى مـا يطلــق عليهـا زيــادة خاصــة وهى عـــادة لا تزيـــد عن نصف ســاعة يجلس خلالهـــا المسجون على كرســى والزوار على كراســى أخرى فى حجرة الضابط النوبتجى وبحضــور أحـد السجانة · لكــن هــذه الزيـــارة كانت شيئا غير عــادى · فهى ليست فقط زيــارة خاصــــة حــدودها لا تزيــد عن نصف ســاعة بين المســجون وأهـــله ، وانما هـــى زيـــارة أى فرد من أهالينــــا لنـــا كلنـــا وعلى امتـــداد يومين كاملين · والواقـــع أن الفضــل يعود الى مأمور السجن « ··· » ، فلقــد فوجــىء الرجــل كمـــا فوجئنـــا بحضور الزائرات وهن يحملن اذن زيـــارة خاصــــة · وكان مــن المســتحيل أن تجرى هذه الزيـــارة الخاصة بالطريقــة التقليدية ، فليس من المعقول أن يقطعن آلاف الأميــال من أجل قضــاء نصف ســـاعة فى غرفـــة مغلقـــة فى قلب الصحراء ، وفى حراســـة ضابط وســجان ! لقــد أدرك الرجل منذ أول لحظــة اســتحالة ان تتــم الزيارة بالطريقــة التقليدية · ومنـــذ البدايـــة ســلم بذلك عندما تناقشـــنا معه ، ليس فقط نتيجــة لاقتناعــه

الشخصى ، وانما تسليما بالأمر الواقع • فكل الزملاء ـ الدين لا يمكن حبسهم فى خيام ـ قد خرجوا جميعا للزيارة التى بدأت بالفعل منذ أكثر من ساعة • وكان الحوار مع المأمور حول اقامة خيمه خارج الأسلاك الشائكة كى يجلس فيها الزوار ، وحول مدة الزيارة • وافق على المطلب الأول وشرع الزملاء فى اقامه خيمة كبيرة تتم فيها الزيارة • وبدأت المساومة على المطلب الثانى ـ مدة الزيارة ـ قال المأمور :

ليست عندى أوامر بمدة الزيارة • •

ـ اذن من حقك تحديد مدتها • •

ـ التصريح بزيارة خاصة ولكنه عادى •

ـ وهل يعقل أن تكون مدة الزيارة نصف ساعة كما يجرى فى السجون الأخرى •

ـ غير معقول طبعا • • ما رأيكم أن تستمر حتى الغروب ؟

ـ لكن القطار لن يغادر الواحات الا بعد غد •

ـ ينامون فى الاستراحة •

ـ ولماذا لا ينامون فى خيمة الزيارة • •

ـ مسئوليه !

ـ أنت قادر على تحملها • •

ـ وما الذى يدعونى الى ذلك ؟ •

ـ انسانيتك !

ونلحظ دموعا خفيفة تجرى فى مآقى عينى الرجل الانسان ، يقول وابتسامة ودود تكسو وجهه .

ـ موافق بشروط •

ـ نقبلها مقدما •

يضحك من قلبه ويقول :

ـ انتم مفاوضين شطار •

ونقبل كل شروطه • بعد غروب شمس اليوم تذهب الحمبع الى خيامهم ، ولا يجرى أى اتصال بالزوار عبر الاسلاك الشائكة اثناء الليل حتى الصباح

ـ موافقون •

ـ وفى صباح الغد تجرى الزيارة ولكن بشكل أكثر نظاما •

ـ موافقون •

ـ يبقى بعد ذلك أن تقسموا بشرفكم أن لا ترسلوا معهم أى خطابات غير رسمية •

ويستطرد :

ـ أو حاجات من اللــى انتو عارفينها ٠

وينتحــى الزملاء المفاوضــون جانبــا ويتهامســون ، من المستحيل أن نقســم ثم نحنث بالقســـم ٠ الرجل معه حــق ، فمن المؤكـــد أن رجـــال **المباحث** ينتظرون رجــوع الزوار وســوف يقومون بعمل اللازم ٠

ـ نقسم بشرفنــا ٠

ـ وأنا واثق انكم رجــال ٠

ـ فقط لنــا مطلب صغير ؟

ـ أرجو أن يكون كذلك ٠

ـ خطابات رسمية لأهالدنا ٠٠ كالتى ترسل بالبريد ٠

ـ موافق ـ ولن اقرأهــا وساترك ذلك لضمائركم ٠

ويكلف أحــد الزملاء بمراجعــة كل الخطابات التى سيكتبهـــا الزمــلاء ٠

وعند غروب شمس اليوم الاول ، يطلب مأمور السجن مجدى مهمى وســعد باسيلى والزملاء الذين اتفقوا معه على شروط الزيــارة ليؤكدهـــا من جديد ٠

يقول مجدى فهمى محمد :

ـ شىء هايــل جدا ٠٠ بس مطلوب استثناء بسيط ٠

يقول المأمور وهو يضحك :

ـ تانـــى ٠٠ أيــه هو الاستثناء ؟

ـ طبعا غير معقول أن الزوار يناموا ٠٠ والا احنا راح ننام ٠٠ والمســـافة بيننا بضعة أمتــار ٠ ويفصلنا عنهم أسلاك شائكة ٠٠

ـ طبعا مش ممكن تنام معاهم يا مجدى ٠٠

ـ بالطبع لأ ٠٠ فقط نجلس داخل الســجن ، وهم خارجة ، ونتحـــدث عبــر **الأســلاك الشائكة** ، أو علــى الأقــل نراهم ويرونـــا ٠٠

ونفاجأ بقبول المأمور فيقول :

ـ موافــق وبشرط ٠

ـ أن لا يجلس معى أنا وسعد واحد آخــر ٠

ـ بالضبط ٠٠

ويتم تنفيذ الاتفاق بمنتهـــى الدقة ٠ مجــدى وســعد يفترشـــان بطانيــة على بعد ٥٠ **مترا من الأسلاك الشائكة** ، ـ داخل السجن ـ ، والزائرات يجلس داخل خيمتهن المفتوحــة على بعد ٥٠ مترا فى الجهـــة الأخـــرى، **خارج السجن** ٠ وعـــدد كبير من الزمــلاء يشــكلون مجموعـــات صـــغيرة منتشرة على **أرض السجن** ، البعض يتســـامر ، والبعض الآخـــر ترتفع أصواتــه بالغنـــاء ٠٠ أى غنــاء ٠ وبين الحين والحين تســمع أصواتـــا ٠

ـ يا مجدى ازدك يا ابنـــى ٠

ـ الله يسلمك يا أمـــى ٠

ـ مش عاوز حاجــة ؟

ـ سلامتك يا أمـــى ٠

ثــم يسود الصمت ويظل الحوار متصلا بالاشـارات والضــــحكات المتبادلة تــم بكلمات متناثــرة معبرة ٠ حتى مطلع الفجر ٠

ومع أشــعة الشمس الأولى يبدأ اليوم الثانى لتلك الزيارة التاريخية ٠ أحكى لك عنهـــا فى الرسالة المقبــلة يا حبيبتـــى ٠

١٣ يوليو ١٩٧٧
القاهــرة

الرسالة رقم (٣٠)

حبيبتـــى

ويبـدأ اليوم الثانـى للزيـارة مع شروق الشمس ، عــدد من الزمــلاء يحمــل جرادل مملوءة بالمياه وصابون وبجرى بهـا نحـو الزائرات كــى يغتسـلان وعــدد آخـر يحمل « برادا » كبيرا للشـاى وأكوابـا وبسـكويت للأم والشقيقة وزوجـة الأخ · بعدهـــا بقليـل يفود مســئول الحياة العامـة « صلاح هاشـم » فرقـه من الزملاء يحملون صوانـى عليها ما لذ وطـــاب للمطـار · الجميـع يرتـدون أحسن ما لديهم من ملابس وصلت اليهم فـى طرود ، ذقونهم ناعمه ، وشعورهم مصمصفة ، وبعضهم وضع كولونيـا (٥٥٥) أو بارفـان ، وصلته مع طرود أمس أيضـا · كان **لمعـى يوسـف** « مسئول المطبخ » من بين الزملاء الجـدد الذين وصلوا الينـا من سـجن مصر · منذ حضـوره قـام بالعمل فى المطبـخ وكان التنافس بينه وبيـن أحمد خضر شـديدا ·

وذات يوم فوجـئ الزملاء **بلمعى يوسـف** يعمل لهم « محشى » فقـرروا انتخابه مسـئولا عن المطبـخ :

يقول للزائرات :

ــ فول مدمس عظيم ·· ولا فول التابعـى ·

وترد أم مجـدى :

ــ تسلم أيديك يا ابنى ·· انت اللى عملتـه ؟

ــ وطعمية كمان ·· مدهشـة ·

كانت الطعمية مفاجأة لكـل الزملاء يقدمها لهم **لمعـى يوسـف** · انـهم لا يرونهـا منـذ سنوات وكثيـرا مـا دارت مناقشـات مـع لمعى يوسف حول أمكانيـة صنعها لكنـه كـان دائما يعدهم بذلك لكـن بعـد « تذليـل الصعوبات الأساسية » قال بفخـر :

ــ أنا قعدت امبارح طول الليـل أفـكر ازاى أوفـر الظروف المناسـبة لعمل الطعميـة ··

ويضحك مصطفى كمال ــ صبيه فى المطبخ ·

ــ الذاتيـة والموضوعيـة كمان ··

ويتمتم **زكى مراد** ·· ذاتيـة موضوعيـة ·· طعميـة ··

ويصيح الزملاء ··

ـ هابل ٠٠ مولد قصيدة شعر جديدة لزكي مراد ٠
ـ نسمعها الليلة بقى ٠ ٠
ـ قصيدة وتفوت ما حد يموت ٠

بعد ان تتناول الزائرات الافطار مع عدد من الزملاء يصيح مسئول « الحياة العامة » :

ـ يا لله يا زملا ٠٠ كل واحد على شغله ٠٠ مجدى وسعد بس اللى يستنوا هنا مع أهلهم ٠ ٠

يرفع سعد باسيلي يده طالبا الكلمة ٠٠ ويعطيه مسئول الحياة العامة الكلمة وهو يضحك :

ـ أيه يا سعد ٠٠ طلباتك ٠٠ عاوز حاجة ؟

وبمنتهى الجدية يقول سعد :

ـ أنا عندى شغل اليوم ٠ عليه الدور فى **غسيل قروان الخيمة** ٠ ٠
ـ معلهش ممكن زميل آخر يقوم بعملك اليوم ٠
ـ ليه بقى ؟
ـ لأن عندك زيارة ٠

بحسم يرد :

ـ أنا لا أوافق على أى استثناء ٠
ـ دى ظروف خاصة يا سعد ٠
ـ ولو ٠٠ وأنا لا أقبل أن يقوم أحد غيرى بعملى ٠
ـ ممكن يحصل تبادل ٠٠ اللى عليه الشغل بكره يعمله النهاردة بدالك ٠٠ وانت تعمله بكره ٠ ٠

وتدور مناقشة تستغرق أكثر من ١٥ دقيقة يقتنع بعدها سعد باستمراره فى الزيارة وتأجيل شغله الى الغد ، ولكن بعد أن تشترك الزائرات فى المناقشة ، وبعد ان استخدمت أخته « فتنه » كل ما تملك من **أسلحة عاطفية** ٠

ينصرف الزملاء الى أعمالهم ، ويخصص مسئول الحياة العامة ثلاثة زملاء لخدمة الزائرات وتقديم الشاى والقهوة والمرطبات المصنوعة محليا كعصير البرتقال والليمون ، من خبرات الزيارة أمس ، ويعقد [illegible] مسئول المطبخ [illegible] لحثهم على بذل كل جهود[illegible] من أجل اعداد [illegible]

ـ عاوزين نثبت للستات دول اننا [illegible] طبيخ لا يقل عن طبيخهم ٠ ٠
ـ أهو كله طبيخ يا معلمى ٠
ـ لا بقى ٠٠ طبيخ عن طبيخ يفرق ٠
ـ الحكاية حكاية نفس ٠

ـ وابــه رأيكو مى محشى ؟

ـ **خطير** ٠٠

ويبدأ لمعى يوســف فى اصدار التعليمات لمساعديه :

ـ مش عاوز ولا حصــوة واحــدة فى الرز ٠٠ عيب ٠ بنغســل كويس ويترك علشــان بنشـف فى الشمس ٠ الكوســه دى كبيرة ، فنرنهـــا تخبنــة ، لازم تنصر كويس ، واللى مبها بذر كتير نرميــه ٠ ونأخـــذ شوية باميــة من بناعــة بــكره ٠٠ نعمل طبقين علشـــان الزوار ٠٠ أمــا اللحمة فسيبوهــا لــى انا بقــى ٠٠

ـ راح تسلقهـــا ٠٠

ـ راح نسلق سويــة ٠٠ ونحمر شويــة ٠

ـ وحانعمل ســلطة ٠

ـ يقــوم **حليم طوسون** يجيب لنــا شويــة جرجيــر من مزرعتــه الخاصــة ٠٠ وكمان شويــة طماطم وبصــل أخضر ٠٠

ويرد **حليـم طوســون** :

ـ ده كل الــى فى المزرعــة ما يجيش حزمتين جرجير وحزمتين بصل و½ كيلو طماطم ٠٠

ـ كويس نعملهم سلطة للزوار ٠٠

ويجرى العمل بهمة ونشاط ، انهم رجال أغلبهم لم يقم بعمل مثل هــذه الأعمال ، فمنهم **الطبيب** ، **والمهندس** ، **واستاذ الجامعة** ، **والطــالب** ، وهــم مسجونون فى **قلب الصحراء** ، فى منطقــة لــم **تعرف الخضرة** من قبــل ،وهم يستضيفــون ضيوفــا أعزاء ٠ وهذه الوليـمة الفاخــرة التى يعــدون لها ترمــز الى معــان عميقة ٠ ان يطمئــن الأهالـــى الــى أننــا قــادرون علــى مواصلة الحيــاة تحت أى ظــرف من الظروف ، واننا معــا ، يــدا واحــدة ، نتعاون ونتكاتف من أجــل أفضــل حيــاة تستطيع عقولنــا ان تدبــر ظروفها ، ونستطيع سواعدنــا أن تبنيهــا ، نحن بنــاة الحياة وصناعهــا ، سلاحنــا الكلمة وسبيلنــا الديمقراطيــة ، وأداتنــا الوحدة الوطنيــة ٠ لن يقهرنـــا أعــداء الحيــاة مهما تنوعت اسـلحتهم ٠ لن نسمح لهم أن يغتالــوا أرواحنــا ، أو يقتلوا حبنــا للحيــاة ، وسوف نحيــا تحت أى ظــرف من الظروف ، وفى أى مكان يزجون بنــا فيــه ٠

يحل موعــد الغــداء ، الزملاء لا يسمعون الدقــات التى تناديهم لاستلام طعامهم ٠ عصافير بطنهم تزقزق وتعلو أصواتهـــا مع كــل دقيقــة تمــر ولا يسمعون فيهــا « دقات » الطعام ٠

ـ أيــة الحكاية ؟

ـ جعنــا ٠٠

ـفين الأكــل يا لمعــى ٠

ويـرد لمعي يوسـف بغضب :

ـ مش عيب برضـه ٠٠

ـ أيـه هو اللى عيب ؟ عاوزين ناكل ٠٠

ـ مش برضه الضيوف يأكلوا الأول ٠

ـ معاك حـق ٠٠متأسـفين ٠

ويصيح لمعـى يوسـف ٠٠

ـ دى تقاليـد شعبنا يا عالم ٠٠ شعبنا المضياف ٠

ان يقدم الضيف على أهـل البيت شىء رائـع ، احـدى القيـم الكثيرة التى يتميز بهـا شعب مصر العظيم ٠ عطاؤه لا ينضب ، يعطـى للضيف قبـل ان يعطى لنفسـه ٠ يعطيه أغلـى ما عنـده وهو راض ، حتـى وان لـم يكن يمتلك غيره ٠ لكن ليس كـل من يدخلون بيتـه ضيوفـا ، هـم فى بعض الأحيـان دخلاء ، وهو يملك حاسـة لا تخطـىء ، يميز بهـا الضيوف عن الدخـلاء ٠ الضيوف اصدقائـه ، والدخـلاء اعـداؤه وهـو قـادر على تمييـز أقنعتهم مهما تنوعت أشكالهـا ٠ ويتسابق الزملاء فى خدمة الضيوف ٠ هذا يحمل صينية عليهـا أطباق الأرز ، وآخـر يحمل صينيـة الكوسـة ، وثالث البامية ورابـع يحمل السلطة ، وخامس يحمل الفاكهة ، وسادس يحمل اللحم المحمر ، وسابع يحمل اللحم المسـلوق والشـوربـة التى بهـا لسـان العصفـور ٠٠

ـ تصبح أم مجـدى :

ـ أيـه ده كله ٠٠ دى وليمة ٠٠

ويتقدم مسـئول الحياه العامـة ، ينحنـى فى احتـرام ، كما يفعـل المتر فى الفنـادق الكبرى ٠٠

ـ كله من خيركم يا ست أم مجدى ٠

وتسأل « فتنـه » ٠

ـ وكل يوم بتاكلوا كـده ٠٠

ـ طبعا ٠٠ طبعـا ٠٠

وتعلق « بدريـه » زوجه مصطفى شقيق مجدى ٠

اذا كان كده آجـى اسجن معاكو بقـى ٠

[illegible] مهمى ٠٠

ـ لا [illegible] معروف ٠٠ أحوسـ[illegible] مصطفى يزعـل ٠٠

ـ ييجـى معايـا ٠٠

ـ أيـوه ٠ ٠ تبقـى كملت !

بعد الغذاء يأتـى حاملو جرادل الميـاه والصـابون والفـوط ، ويغسـل الضيوف أيديهم ، حتى يكون الشاى جاهزا أمامهم ٠

ـ يا سـلام لو فنجان قهـوة ٠٠

ـ حاضر يا ست أم مجدى ٠٠

البن من بين الأصناف التي لا تصادر كلها مثل معجون الاسنان والأدويه الخاصة للاستعمال الشخصي ، ويقع مسئول الحياه العامه في « حيص بيص » • من أين يأتي بالبن ؟ يصيح بأعلى صوته .

ـ مين عنده بن يا زملا ؟

ـ الضيوف عاوزين يشربوا قهوة • •

ـ • • •

ويتقدم « كبيفه » المهوه المعروفين ، شريف حنانه ، حازم طوسون ، وليم اسحق ، زكي مراد ، صلاح حافظ يتسابقون لعمل قهوة •

ويعلن مسئول الحياة العامة :

ـ يعني المستخبي طلع •• من الصبح دايخ على فنجان « قهوة » • •

ـ هوه أنت ضيف ؟

ويمضي اليوم بسرعة لم نعهدها في السجن من قبل ، قرص الشمس الأحمر يبدو بعيدا في الأفق ، يرسل أشعته الأخيره ، الظلام يزحف بسرعه يبدد ضوء الشمس ويعلن موعد الافتراق • ما أمسى لحظة الافتراق ! قد يخفف أمل اللقاء مره أخرى من آلام لحظة الافتراق • احباؤنا يفترقون عنا ، ولا نملك تحديد موعد اللقاء مرة ثانية • حتى هذا اللقاء النادر لا نعرف له موعدا آخر • الحزن يزحف على الوجوه ، والألم يعتصر القلوب ، ونبضات تسمعها الآذان في لحظه واحده قبل الافتراق •

وفي قلب « اللحظة » تتبلور دموع بعض العيون ، وهؤلاء أسعد حظا من أولئك الذين جفت عيونهم من الدموع • الثوار أنقى انقياء البشر • قلوبهم طاهرة مثل قلوب الأطفال ، وارادتهم أقوى من الصلب • هم أسرى الكلمة الطيبة ، وشهداء هدف يؤمنون به • عيونهم لا تعرف الدموع ، عندما يتحدون ويقاومون ، وتنهمر أمام موقف انساني يهز عواطفهم ووجدانهم •

ما أبعد الفروق بين قبلات وأحضان اللقاء بعد غيبه ، وبين قبلات وأحضان الافتراق الى زمن غير معلوم !

وتتحرك السيارة تحمل الذين ادخلوا البهجة في نفوسنا خلال ساعات مضت كالبرق • أيادينا ترتفع عالية ملوحة ، وقلوبنا تسقط الى أقدامنا ، والدموع في مآقي العيون تبدو في ظلام الليل كنجوم السماء • تغيب السيارة عن أنظارنا ، ونعود الى السجن ، الصمت يلف الجميع • دمات العشاء الرتيبة تنادي الزملاء ، نذهب بتثاقل الى « المدس » •• يبذل مسئول الحياة العامة جهدا كبيرا ليخرجنا من صمتنا ، يعلن أن العشاء اليوم فيه مالذ وطاب ، تعلو هتافات الاعجاب لكن تحس بفقدان حرارتها المعروفة •

يعلن مرة أخرى أن حفلة يوزع فيها الشاي والحلوى سوف تقام

بعد العشاء . يقابل الخبر بالتصفيق والتهليل الخاليين من روح المرح المعهودة عند الزملاء .

بعد العشاء ، وخلال شرب الشاى وتناول الحلوى يرتفع صوت **صلاح حافظ يغنى** لأم كلثوم ، ثم لعبد الوهاب ، وفاروق عبد السلام يغنى منلوجات شكوكو ، وأغنيات اسكندرانية ، لكن الجميع ، المغنون والمستمعون معا ، فى واد وما يدور فى أعماقهم فى واد آخر .

ما أنبل الثوار ، فى اللحظات التى يعتصر الألم قلوبهم ، يحرصون على أن لا تنتقل عدوى آلامهم الى زملائهم وهم يعرفون أنهم يتألمون مثلهم . تنتهى الحفلة . ونمضى الى الخيام . نستلقى على الأسرة الخشبية . لا يغمض لنا جفن . العيون مفتوحة ، والألسنة لا تتكلم ، عواء الذئاب ونباح الكلاب يعكر هدوء الصحراء وسكونها ، لكن قلوبنا أكبر من الصحراء ، ونفوسنا أكثر منها هدوءا ، لم تنل منهما كل عواءات ونباحات أعداء الانسانية من البشر : وهم أشرس من كل الحيوانات المفترسة .

قبل بزوغ الفجر بقليل يهمس مجدى فهمى :

- ما نمتش ليه يا درش ؟
- سرحان .
- فى أيه ؟
- فى اللى انت سرحان فيه .
- تبدو فى الأفق مؤشرات لمعركة حاسمة ضد الاستعمار .
- تحطيم حلف بغداد ، وباندونج ، وصفقة الأسلحة .
- لا يمكن أن يكون كل ذلك من باب التضليل .
- وقضية الديمقراطية .
- يكسبها الشعب من خلال المعركة ضد الاستعمار .
- ما رأيك فى مقال **عبد الرحمن الشرقاوى** ؟
- موافق عليه .
- وأنا أيضا ؟
- الا[illegible] بد من موقف جديد .
- غير الاتصال بالخارج .
- يناقش الأمر من كل جوانبه
- **مايل .. تصبح على خير .**

وتشرق شمس يوم جديد من أيام النصف الثانى من **يوليو عام ١٩٥٦ .** شيئا ما غير عادى يجرى فى احدى الخيام منذ الصباح . **أنا ومجدى فهمى وزكى مراد ومحمد شطا** نجلس فى احدى الخيام وتطول الجلسة فى مناقشات حول المعركة ضد الاستعمار التى تتجمع بوادرها فى

الأفق • يجب أن يكون موقفنا واضح من السياسة الوطنية ، المعركة الوطنية ضد الاستعمار تتطلب وحدة كل الصفوف • الديمقراطية للشعب فى المعركة ضد الاستعمار هى ضمان النصر • ونتفق على كتابة بيان نحدد فيه موقفنا بوضوح ويوقع عليها كل الزملاء •

ونجتمع مرة أخرى بعد الغذاء ونوافق على البيان ويجتمع كل الزملاء كى يتلى عليهم البيان ويوقعون عليه • لم يكن مفاجأة لهم فقد كانوا يتوقعون هذا الموقف الجديد من الحكم الوطنى ، بدأت المناقشات بينهم بعد المواقف الوطنية من حلف بغداد . وزادت حرارتها بعد مؤتمر باندونج ، ثم كانت صفقة الأسلحة تحولا واضحا فى الموقف •

لكن **مأمور السجن وضباطه** هم الذين فوجئوا بهذا الموقف ، لم يكن فى تصوراتهم ، أن مسجونين يمكن أن يرسلوا لسجانيهم تأييدا ومساندة **وبلا أى شروط** • يتحمس **المأمور** لهذا الموقف الوطنى ، يعلن أنه سيسافر بنفسه الى القاهره ويوصل هذا البيان الى **رئاسة الجمهورية** والى مدير مصلحة السجون •

ـ والصحف والنقابات العماليه والمهنية ؟

ـ سأحصل على اذن من مصلحة السجون لارسالها •

ثم يستطرد :

ـ ومين عارف ممكن اجيب لكم معايا خبر كويس •

ـ لا لسه بدرى •

ـ ليه بقى ؟ • موقف وطنى واضح • ومساندة وتأييد للحكومة •

ـ نأمل هذا • •

ويصيح المامور بحماس ؟

وبأسرع ما يمكن مكانكم مش هنا ، بره • فى الشارع ، ده شىء منطقى •

وأعلق بابتسامة :

ـ ربما يكون لهم منطق آخر ؟

ويرد المأمور :

ـ عهدى بك انك لست متشائماً • ؟

ـ فى هذه المسألة بالذات متشائم • •

ويوضح أحد الزملاء • •

ـ أصل له ظروفه الخاصة جدا •

ـ ليست هى السبب المباشر ، وأنا انظر اليها بموضوعية •

ويبدو على المأمور انه لا يفهم الحكاية • ويتولى زميل شرحها له •

ـ أصله كان المفروض يفرج عنه بعد **الثورة مباشرة** •

ـ ليه ؟

ـ لأنه القى القبض عليه **قبل الثورة بسبعة أيـام** ٠

ونلمح علامات الدهشــة والاشفاق على وجـه المأمور ٠ ونحس بفتــور حماســه فى نبرات صوته وهو يقـول :

ـ أظن الموقف مختلف دلوقت ٠

يســافر المأمور الى القاهــرة يحمل موقفنــا الجديد الى الحكام ، ويعــود فى صباح يوم **٢٦ يوليو ١٩٥٦** ٠ ومعــه أخبــارا ســارة لنــا ، وكان يومــا مشــهودا أحــكى لك تفاصيــل أحداثـــه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

١٦ يوليو ١٩٧٧
القاهــرة

الرسالة رقم (٣١)

حبيبتــــى

قضينـــا الأيـــام العشره بعد سـفر المأمور الى القاهــرة فى ١٦ يوليــو ١٩٥٦ وعودته فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، فى مناقشـــات واســعة مع **الاخـــوان المسلمين** حول ما جــاء فى مجلة « **الوطن** » وهى مجلة أسبوعيــة خصصناهـــا لمناقشتهم على صفحات المجلة • وكنـــا نصدر جريدة يومية من صفحتـــى كراس بهـــا آخـر الاخبــار وتعليق سريــع • **كما كنـــا** نصـدر مجـــلة « **الفــكر** » وهى مجلة ثقافيــة تصـدر كــل شـهر ، وكانت مقالاتهـــا تعبر عن رأى أصحابهـــا وكنـــا نناقش كل ما ينشر بهـا فى جلســاتنا معـــا أو مع الاخوان المسلمين الذين تكونت معهم علاقــات قويــة ، بدأت فى لــمـــان طره انسانيـــة ، وانتهت سياسية فــى « **جناح** » ثم فــى « **المحاريق** » • منهم على سبيل المثال البكباشى **فؤاد جاسر** ، الصــاغ **جمال ربيــع** ، الصاغ **حسين حموده** ، سعد الرئيس وغيرهم ولـم توقف الخلافــات مـــع الاخــوان الآخرين دون استمرار المناقشـــة معهم أذكر منهم **صالح ابو رقيق** ، **ومحمــد ابو النصر** ، **ومهدى عاكف وحسن دوح** وغيرهم • من بين هذه المناقشــــات اختار مناقشة بينى وبين البكباشى أركان حرب **فؤاد جاسر** ، وهو مـــن « الاخوان المؤيدين » • ذات يوم من تلك الأيــام العشرة فى يوليــو ١٩٥٦ ، وبعــد أقــل من ساعة من صدور مجله « **الوطن** » جـاءنــى البكباشـــى **فؤاد جاسر** وهو يحمل المجلة وكنت ساعتهـــا « نوبتجى » الخيمة وأقـــوم بغســيل أوانـــى الأكــل ، وأملأ ميــاه الشرب ، وأرش الخيش الملفوف حولهـــا بالمــاء كلما جفت ، وبعـــد وضعها فى مكان ظليــل ، كــى تحتفظ ببرودتهـــا • ثم ارش الميـــاه أمام الخيمه كلما جفت ، وأروى الزرع أمــام الخيمة ، هذا العمل كــان يسـتغرق اليوم بطوله ، لكن كــان يمكن اختلاس بعض الوقت بين الحين والآخـر للقراءة ، أو لمناقشـــة سريعـــة • وحين طلب منـــى **فؤاد جاسر** أن نجـرى مناقشة فى خيمته على فنجــان شــاى قلت لــه ضاحكا :

ــ ما أنت شــايف يا فؤاد أنــا مشغول •

ــ وبعدين ضرورى أناقشـك دلوقت •

ــ طيب أكمل غسيل الفروان ده ونعقد هنـــا •

ــ عندك شــاى • •

ــ ما عنديش طبعا ــ لكن نطلب من مسئول الحياة العامة •

نظام الحياة العامة يصادر الشاى والسكر ، ولكنه يسمح بحالات استثنائية مثل وجود ضيوف أو حافز مادى لتشجيع الزملاء للقيام بأعمال خاصة ٠٠ الخ ٠

وتبدأ المناقشة فى ظل الخيمة حتى يمكن أن أرى خمس جرادل مساه الشرب حين تجف مارس علبها الماء وأملأ التى تفرغ منها ٠ وبعد فترة ارتفعت حرارة المناقشة حول قضية الديمقراطيه ، يقول فؤاد :

– قضية الديمقراطية ، وتشمل حرية تكوين الأحزاب ، والحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين شرط لهذا التأييد ٠

– ليست هناك شروط فى **السياسة يا فؤاد** ٠ ٠

– **ازاى** بقى تفضل فى **السجن** ونؤيد الحكم الوطنى ٠ ٠

– **الافراج** عنا ليس شرطا للتأييد ٠٠

– ولكننا قضية وطنية مع الحكومه الوطنيه فى معركتها ضد **الاستعمار** ٠

– ولكنك فى نظرها لست كذلك ٠

– وهل تتغير وجهة نظرها حين أعلن تأييدها ٠ ٠

– مواقفك الوطنية الواضحة المستمرة ، والمعلنه للشعب ، تجبرها على تغيير موقفها منك ؟

– من جانبى موافق ٠٠ ماذا تقترح ؟

– أقترح أن تجرى منافسة مع أكبر عدد من زملاءك وتكتب بيانا للحكومة والصحف والنقابات العمالية والمهنية ٠

– مهمة صعبة ٠٠ سأبدأ بنفسى ٠

– لا يا فؤاد والا فسر موقفك تفسيرا خاطئا ٠ ٠

– **جمال عبدالناصر** يعرفنى شخصيا ٠٠ وسوف يثق فى موقفى ٠

– حتى ولو حدث ذلك وهو احتمال ضئيل جدا ٠٠ سوف يكون مادة لأى تفسير خاطىء ٠

– وماذا يهمنى ما دمت مقتنعا بموقفى ٠

– أظن أن دورك الوطنى [illegible] عند خروجك من السجن

– [illegible] فى الخارج

– مع من ؟

– مع الحكومة ٠

– أيهما أكثر ضمانا – حتى من الناحية الشخصية – أن تعمل وحدك أو تعمل مع مجموعة من الاخوان المسلمين ٠

– لن أجد منهم من يقتنع ٠

– هل حاولت وفشلت ؟

– لا ٠٠ ولكنى أعرف مقدما ٠

ـ الناس بتتغير يا فؤاد ·· انت نفسك تغيرت ·
ـ **موافق** ·· ولكن بشرط ·
وأضحك قائـلا :
ـ أنت هاوى شروط ·· أيـه شروطك ·
ـ **ان تشترك معى فـى المناقشـة** ·
ـ **موافــــق** ·
يبتسـم **فؤاد جاسر ويقـول**
ـ وأدى سيجارة بيلمونـت بحالهـا ·· تشربهـا لوحدك · اشـعل السيجارة ، ويشـعل فؤاد غيرهـا ، ونصمت حتـى لا تشـغلنا المناقشـة عن الشعور بلذه ندخن سيجارة كامله ·
كان عـدد من الزملاء يرقبوننا من بعيـد لا يسـتطيعون الاقتراب منـا أثناء المناقشة وتدخين ½ سيجارة مشاركة · وما أن لمحوا السـيجارتين مشتعلتين حتى هجموا علينا دون استئذان · أقول ضاحكا :
ـ يـا زمـلا احنـا مشغولين ··
ـ يعنى ·· فتـره استراحـة ··
ـ **نشترك معكما فى التدخين** ·
ويخرج **فؤاد جاسر** علبه سجائره البلمونت الصغيرة ، ويوزع **الخمسـة المتبقين فيهـا** على الزملاء ، بعـد أن يأخـذ أحـد الزملاء سـيجارة **يقول لى** :
ـ هـات نفس بقـى ·
ـ **يا أخى** ما معاك سيجاره بحالهـا ·
ـ نشربها بعد العشـاء ·· لوحدنـا ··
ـ والله فـكرة ·· خـد ٣ **أنفاس** يا عـم ·
دقات ساعة الغذاء المعتـادة تنـادى علينـا · يهم البكباشى **فـؤاد جاسر** بالانصراف ، يسرع الينـا مسـئول الحيـاة العامة ويقـول لـى بغضـب :
ـ ايـه بقى ، يمشى فى وقت الغذاء ··
ـ **والله** فكرت ·· لكن ترددت ·
ـ ابعت حـد يقول لـى ·· على العموم أنا عامل حسـاب الأسـتاذ فـؤاد ·
واحتفاءا بضيفنا يجلس معنـا مسـئول الحيـاة العامـة · واثنـاء تناولنـا الغذاء أهمس فى أذنـه :
ـ **ما تنساش** ·· كام سيجارة كـده نشربها مع الضيف ··
ـ **يا زميـل أنا عامل حسـابـى** ·
وبعد الغذاء تشتعل ٣ **سجائر** ويهجم علينـا بعض الزملاء « ليرحبـوا » بالضيف ، ومنعـا لاحراجـه ، يتصرف مسـئول الحياة العامة فيوزع علـى

كل ثلاث زملاء سيجارة • ويقترح فؤاد أن يذهب لاحضار علبة سجاير من خيمته • ويرفض الزملاء ويعلقون تعليقات طريفة :

ـ شفتوا بقى الملكيه الخاصة • • مفيدة !

ـ عملت لنا أيه الملكيه العامة !

ويضحك فؤاد جاسر ، قائلا :

ـ أيه الحكاية • • باين علينا راح نتبادل المواقع •

وينصرف على موعد آخر بعد صلاة المغرب ، حيث التقى معه مرة أخرى ومعه مشروع بيان تأييد الحكومة فى مواقفها الوطنية كتبه هو والصاغ **جمال ربيع** والصاغ **حسين حموده** ، وسوف يناقشونه مع أكبر عدد من الاخوان للتوقيع عليه وارساله • أقول لفؤاد جاسر :

ـ شفت ازاى يا فؤاد ، الناس تقتنع بالموقف الوطنى السليم • •

ـ وده راح يلقى على مسئوليه كبيرة •

ـ وأنت جدير بها •

ـ تشجيعك بزيدنى ثقة بنفسى • •

وبعد العشاء كنت على موعد مع الأستاذ **صالح أبو رقيق** • علاقتنا قديمة بدأت فى **ليمان طره** انسانية ثم سياسية • جمعتنا **معارضة** السلطة من خلال قضية الديمقراطية والحريات السياسية • كان يؤكد حقنا فى مباشرة نشاطنا السياسى بحرية • وكنت أتمسك فى هذه التأكيدات ، غير أننا كنا ننتهى دائما الى أننا متفقون على الاقل فى المرحلة الراهنة ، بعدها تدور المعركة ، وكنت أعلق ضاحكا : فقط لا تنسوا أن الدين لله والوطن للجميع • فى هذا الاجتماع بدى لى غاضبا ووصف ما قرأه فى مجلة « **الوطن** » بانه **ارتداد** عن الموقف الصحيح •

ـ وما هو الموقف الصحيح ؟

ـ الغاء قرار حل الاخوان المسلمين ، والافراج عن المسجونين منهم فورا •

ـ بما فيها حرية تكوين الأحزاب السياسية والافراج عنا أيضا ؟

ـ طبعا • •

ـ وحقنا فى مشروعية نشاطنا السياسى ؟ • •

ـ هذا ما تملكه الحكومة •

ـ ليس هذا ملكا لأحد • • انه حق •

ـ ومن الذى يعطيه • • ؟

ـ الحقوق لا تعطى وانما تؤخذ • •

ـ كيف ؟

ـ الشعب بواسطة آداته ، جبهة وطنية تضم مختلف القوى الوطنية ، الممثلة فى أحزابها السياسية ، ووفق برنامج وطنى محدد هو القادر على أخذ حقوقه •

ـ من خلال اسـقاط الحكومة ؟
ـ الحكم الوطنى داخل هذا التحالف الوطنـى ·
ـ هذا ما نختلف عليـه ··
وبسـتطرد ··
ـ أعجب لكم · قلتم بالأمس انها **فاشـية** ، وتقولون اليـوم انهـا حكم وطنـى ·· كيف هذا ؟
ـ المواقف ليست ثابتة ·· الناس تتغير ·
ـ من الذى تغير ·· أنتم أم هـم ؟
ـ ربما كنـا مخطئين فى الحـكم عليهم ·
ـ وبماذا تفسر موقفهم من الحريـات ؟
ـ **تناقض لا شـك** ·· ولا بـد من حلـه ·
ـ شعار **الاسـقاط** هو طريق حـل هذا التنـاقض ·
ـ وانما **التحالف الوطنى** معهم هو الحل الوحيد ·
ـ أعجب لكـم ·· ربما كنتم خباليين ·· وربما كان وراء موقفكم هـذا شيئا آخـر ·
ـ لا هذا ولا ذاك ·· بـل هو **موقف موضوعـى** ·
ـ لكنه لن يؤدى الى الافراج عنكم ··
ويكمـل :
ـ على الأقـل فى المـدى القريب ··
ـ نعرف هذا ولا ننتظره لسنوات قادمة · فالمعركـة طويلة صعبـة ومعقدة ·
ونفترق على خـلاف · لكن نظـل أصدقـاء ، وما زلنـا حتـى الآن ·
وفى كل مـرة نلتقـى فيها حتى بعـد خروجنـا من السجن يمزح معـى ويقـول :
ـ أنت لازم تكون جندى من جنود الاخوان ، وأرد عليه ، كلنـا جنـود لمصر ، فلننتظم فى جيش واحـد ·
واعـود الى الخيمة ويوصلنـى الاستاذ **صالح ابو رقيـق** الى منتصـف الطريق ويقول ضاحـكا :
ـ الحدود هنـا ·· مع السلامة ·
ـ ليس بين الوطنيين حدود ·
ـ اذن انضموا الينـا ··
ـ ربما كان التحالف الوطنـى أفضـل ·
ـ لكنـه لا يلغـى الحدود ··
ـ نعم لا يلغيهـا ·· وانما يضعفهـا ·
ـ ولماذا لا نلغيهـا بضربة واحـدة ··
ـ منطق الحياة لا يسمح ·

يربت على كتفى فى ود ونفترق على موعد آخر قريب ٠

فى الخيمة وجدت الزملاء ينتظرون عودتى لمناقشة ما تم خلال هاتين المقابلتين ٠ وقررنا الاستمرار فى اجراء مناقشات مع الاخوان المسلمين بجناحيهما مع التركيز على الاخوان « المؤيدين » ٠ وأن تصدر « مجلة الوطن » عددا خاصا ، ينشر به البيان الذى كتبه « الاخوان المؤيدون » ٠ وعمل تحليل سياسى لموقف الحكم الوطنى ومن خلاله تناقش الحجج التى يسوقها « الاخوان المعارضون » تبريرا لموقفهم المعارض للحكم الوطنى ٠ وما أن نعلن هذه القرارات للزملاء حتى يصيح الفنان **سعيد عبد الوهاب** وهو المسئول عن توضيب ورسم صفحات المجلة التى توزع أربعة أعداد !

– وان شاء الله بقى العدد ده يصدر امتى ؟

– كلك نظر يا سعيد الصبح طبعا ٠ ٠

– وفين المواد ؟

– حالا تجهز ٠ ٠

– والحوافز ؟

– المعنوية زى ما أنت عاوز ٠

– لا يا سيدى ٠٠ شبعت حوافز معنوية ٠

– والمادية علبة سجاير هوليود « لارج » وأربعة شاى ٠

ويصيح صلاح هاشم « مسئول الحياة العامة » :

– وأجيب ده كله منين ٠ ٠

– اتصرف يا أبو الصلح ٠ ٠

– مفيش سجاير الا للتوزيع يومين على الزملا ٠ ٠

– ربنا يرزق بعد يومين ٠ ٠

– لا يا عم مش موافق ٠

– أبو الصلح ٠٠ لا تكن حرفيا ضيق الأفق ٠ ٠

– أنا مش مسئول ٠ ٠

واقول له فى صوت له نبرة خاصة يعرفها :

– وبعدين ٠٠ يا أبو الصلح !

– طيب ٠٠ طيب ٠٠ أدى علبة السجاير ٠٠ وادى السكر والشاى ٠٠ وأنا بقى رايح أنام

ويقول فاروق عبد السلام :

– وأنا كمان أنام شوية علشان اقدر على الأشغال الشاقة دى ٠

يسحب مجدى فهمى ورقا وقلم ، ليكتب ما كلف به ٠ وأجلس الى جانبه أكتب أنا الآخر ٠ وعند منتصف الليل أهز فاروق عبد السلام كى يستيقظ لندفع اليه بمواد العدد الخاص من مجلة « الوطن » ٠ ومع

شروق شمس اليوم التالى يعيد الينا المواد منسوخة فى نسختين :

ـ هايل يا فاروق ٠٠ امتى الباقى ؟

ـ قبل الغدا يكونوا جاهزين ٠

ـ الجانب الايجابى الحرفى فيك عظيم ٠ ٠

ـ بس نظير أجر ٠ ٠

ـ مفهوم ٠ ٠

ويصيح مسئول الحياة العامة :

ـ لا ٠ ٠ مش ممكن ٠٠ مفيش سجاير ٠ ٠

ـ وبعدين ٠ ٠ !

ـ طيب ٠٠ طيب ٠ علبة صغيرة آهى ٠ ٠

ويبتسم فاروق ويقول :

ـ لكن أنا عندى « نوبتجية » اليوم ٠ ٠

ويتقدم الزميل **سعد باسيلى** متطوعا للقيام بالنوبتجية بدلا من فاروق ٠

وتمضى الأيام سريعة ٠ فى مناقشات مع الاخوان المسلمين ، وفى صدور أعداد خاصة من مجلة « **الوطن** » وجريدة « **الأنباء** » التى تحمل آخر الأخبار والتعليقات المحلية والعالمية ، حتى يحل **يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦** ، وتتلاحق الأخبار والأحداث والمناقشات بشكل مثير ، أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

١٧ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٣٢)

حبيبتـــى

كما قلت لك فى رسالتــى السابقــة كان يــوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يحمـــل لنـــا مع المأمور الذى وصـــل من القاهرة فى ذلك اليــوم أنبــاء ســــارة ٠ قال لنـــا وعلى وجهه ابتســــامة عريضـــة :

ـ مش قلت لكم ٠٠ **الافراج** عنكم أقرب ممـــا تتصورون ٠

ـ هـــل هنـــاك وعـــود ؟

ـ لـــم اسمع وعـــودا ولكن الجـــو العـــام فى **الصلحة** ، **والمبـــاحث العامة** ، فى صالحكم تماما ٠ لقد وافقـــوا على كـــل مطالبكم وأكثر منها ٠ الكتب والصحف والزيـــارة والخطابات والطرود واقامة كانتين هنـــا وسوف تصـــل غـــدا ٣ زيارات فاســـتعدوا ٠ وبالنسبة للطعام فقـــد اتفقت مع متعهـــــد فى اسيوط على الخضار واللحمة بشرط أن تصـــل طازة بطازة ٠ ٠ واحضرت معى ثلاجة كبيرة ٠ و ٠ و ٠ ٠ ٠

ويقول أحد الزملاء ضاحـــكا :

ـ دى الحبســـة أحلوت قـــوى ٠ ٠

ويعلق آخـــــر :

ـ دى تبقـــى بشائر حبس طويلة مش افراج قريب ٠

ويعلق المأمور :

ـ أنا مش فاهم ليـــه التشـــــاؤم ؟

ـ أصل الافراج لا يحتاج سوى لقرار ٠ ٠

ـ وكل **قرار** لـــه مقدمــــات ٠

ـ المقدمات ضرورى تكون سياسية ٠

ويـــرد المأمور :

ـ زى أيـــه مثلا ؟

ـ رأى الحكومة فى البيـــان اللـــى أرسلناه ٠

ويبتسم المأمور ، ويقول ٠ ٠

ـ واذا جبت لكم رأى **رئيس الجمهورية** ٠

ويخرج من جيبه برقيـــة من رئاسة الجمهورية موجهـــة الى مأمـــور سجن « جناح » بالواحـــات لتوجيـــه الشكر الى كل الزملاء الذين وقعـــوا علـــى البيـــــان ٠

ويسرى الخبر بسرعة بين الزملاء • موجة من التفاؤل تنتشر بينهم • الافراج القريب مؤكد ، مسألة منطقية • الحكم الوطنى يحتاج الى مساندة من كل الوطنين فى معركته القادمة ضد الاستعمار • تجارب الثورات المعاصرة تؤكد ضرورة الجبهة الوطنية للانتصار على الاستعمار • والخلافات الفكرية لا تشكل عائقا فى طريق الجبهة الوطنية •

وأضع يدى على قلبى ، ربما كان كل هذا صحيحا من الناحية النظرية • ولكن النظريه سيء والتطبيق شيء آخر • وفى طريقى الى مجدى فهمى أراه قادما يبحث عنى ، يبتسم ابتسامته المعهودة :

– محتاجين لجلسة سريعة ••

نجلس بعيدا وسط الصحراء لنناقش الموقف •

يقول مجدى :

– من البداية ، وأيا كان تحليلنا للموقف يجب أن نوقف بحسم هذه الموجة من التفاؤل •

– تمام •• والأفضل أن تؤخذ الأمور بحذر حرصا على معنويات الزملاء •

ونجد صلاح هاشم على رأسنا ومعه عدد من الزملاء •• يقول :

– أى خدمة •• سجاير •• شاى •• قهوة ؟

– وأيه المناسبة يا أبو صلاح ؟

– انتو برضه بتناقشوا ومحتاجين تعدلوا دماغكم ••

– ما احنا طول عمرنا بنتناقش •• وأنت عمرك ما عرضت خدماتك بالشكل ده •

– ما هو مناقشة عن مناقشة تفرق !

– اذن هات ما عندك •• وورينا عرض اكتافك •

ويعطبنا علبة سجاير هولبود « لارج » • ويضع أمامنا ترمس مملوء بالشاى • ثم يقول :

– وبعد شوية أعمل لكم قهوة ••

– أيه الكرم المفاجىء ده ؟

– بس شدوا حيلكوا كده وأعملوا لنا تحليل يطلعنا افراج •

لم أشعر يوما بفداحة المسئولية كما شعرت بها فى ذلك اليوم ، قبل السجن وخلال السنوات الأربع الماضية فيه • ربما كانت هذه أول تجربة يواجهها مسجونون سياسيون يقفون الى جانب السلطة ، يؤيدونها ويساندونها ، دون أن يفرج عنهم • وربما كانت هذه أول مرة تتلقى سلطة وطنية تأييدا أو مساندة من أشد معارضيها حتى الأمس القريب • هل يفهم الحكام موقفنا الحقيقى الموضوعى منهم ؟ وهل يتسع ادراك الزملاء لاحتمال بقائهم فى السجن ، مع استمرار تأييدهم

الحـــكم الوطنـــى ما دام هذا هــو الموقف السليم ، فـــى كـــل الأحــــــوال يجب وقف هذه الموجــة من التفاؤل • كيف ؟

ويقول **مجدى فهمى** : من خــــلال اعــادة قراءة وشرح بعض الكتـــب النظريـــة ، وتأكيـــد عـــدد من مفهوماتهــــا • الطبيعة المزدوجة للبورجوازية الوطنيــة ، تجربـــة الثورة الصينيـــة ، قضيـــة الديمقراطيـــة كمــا تفهمها وتمارســــها الطبقات المختلفـة • دور الطبقــة العاملة فى الثورة الوطنية وشرط قيادتهــا للثـــورة • •

وفى مســاء نفس اليوم بعــد محاضرة القاهــا **مجدى فهمى** عن تجربــــة الثورة الصينية ، وبعــد مناقشـــات استمرت أكثر من ســاعة ، جـــاء مـــن يقـــول : المأمور جــاب راديو كبير علشان نسمع فيــه خطــاب **جمال عبدالناصر** • ونجلس علـــى **البطاطين** فى **قلب الصحراء** لنسمع من الميكروفون صـــــوت المذيــع يعلن وصـــول جمال عبد الناصر •• ونســمع هتافات عاليــة وتصفيق حــاد ثم يســود الصمت حين يبــدأ جمال خطابــه • وحين اعلن جمــــال **تأميم قنــاة السويس** ، امتزج هديــر تصفيق الجماهيــر فى ميــدان المنشية بالاسكندريـــة ، مع هديـــر تصفيقنـــا ، نشـــارك الملايين فى كل مكـــان فى مصر والعالم العربـــى وكل القـــوى التقدمية فى العالم •

وكانت هذه أول مــرة تشــهد فيهـــا **صحراء الواحات الخارجة** هتافــا يشـــق عنـــان سمائها **بحياة ناصر وثورة ٢٣ يوليو** • وبعد الخطـــــاب انتظمت جموعنـــا مع **جموع المؤيدين من الاخوان المسلمين** فى مظاهرة صاخبة ظلت تجوب المعســكر أكثر من نصف ســاعة • وبلغ تأثـر **المامور والضباط والجنود** درجة كبيرة جعلتهم ينضمون الينـــا ويهتفـــون معنـــا ، ثـــم يعانقوننا فـــى ود وانسانية • وبعد المظاهـــرة عقدنـــا اجتماعا عاما حضره كـــل مـــن فى الســجن من مسجونين عاديين وجنـــود وضباط والمأمور والاخـــــوان المؤيدين • ألقيت فيه الكلمات المناسبة ، والشعر • الشاعر **فؤاد حـــداد** انسحب بهـــدوء بعـــد أن سمع جمـــال وهو يعلن قرار التأميم ومكث فى خيمته ليكتب قصيدة •

يا حمام البر ســقف ، طير وهفهف ، على كتف الحر وقف ، والقط الغله ••

وقصيدة أخرى كتبها **صلاح حافظ** •

بكره النور فى بلادنـــا ــلالى لمـــا نقبـــم السد العالـــى •

قصائد كتبت أثنـــاء **خطاب ناصر** التاريخـــى ، وأخرى خـــلال احتفالنا • فى ساعات قليلة ولدت قصائد فى **قلب الصحراء** انشدها مسجونون محـــكوم عليهم بالاشغال الشاقة فى تلك الصحراء ، ثــم أنشدتهـــا مصر كلهـــــا ومعها كل أقطــار الأمة العربيـــة •

كان استقبالنـــا لتأميـــم القنـــاة يفـــوق فى أيجابيتـــه كـــل القـــــوى **الوطنيـــة** الأخرى • فمنذ **الأربعينـــات** وهذا الهـــدف واحـــد من أهـــداف

برنامجنــــا • وخلال معركة الكفــاح المســلح فى القنـــاة ضـــد قوات الاحتلال البريطانية ، كان تأميم القناة فى مقدمة المطالب التى طالبنا بهـــا حكومـــة الوفـــد •

كانت كل كلمات الزملاء تبرز أهمية هذا القرار ، وتضـــع احتمــــالات معركة ضارية ضـــد الاستعمار الذى سيلجأ الى شتى المؤامرات لضرب الثورة الوطنية ، حتى قـــد نصـــل مؤامرته الى الغزو المســلح • وانـــه لا سبيل الى تحطيم مؤامرات الاستعمار بكل أشكالها الا بتعبئـــة الشعب واطلاق حرياتـــه السياسية والافراج عن كل المسجونين الوطنين • وتضمنت البرقيـــة التـــى أرسلناها الى الرئيس **جمال عبد الناصر** فى نفس الليلة هذه المعانـــى : لقـــد تحمس المأمور حين قـــرأ تلك البرقيـــة وركب عربته على الفور واتجـــه الى المحافظة كى يرسلها باللاسلكـــى ، قال وهو يركب عربته التى كنـــا نحيط بهـــا من كل جانب :

ــ أظن بقى لا مجـــال للتشاؤم

ــ وهل نهوى التشاؤم ؟

ــ نحن أكثـــر الناس تفاؤلا •• ولكن !

ونسمع نبـــرات صـــوت المأمور الودودة :

ــ كلها يومين وأجيب لكـــم أحسن خبـــر •

موجة التفاؤل تصعـــد بسرعة عنـــد الزملاء • لا نستطيع أن نقف فـــى وجهها ، وفى نفس الوقت يجب أن نسير معهـــا • الموقف هـــو أن نهيىء أنفسنا لأحسن الاحتمالات ، ولأسوأها فى نفس الوقت • الأمـــر المؤكـــد ان معركة ضـــد الاســـتعمار قـــد بدأت بعـــد **التأميم** • والانتصـــار فـــى هـــذه المعـــركة يتوقف بالدرجة الأولى على **قيـــادة المعركة** • فهل تدرك هذه القيادة كل أبعـــاد المعـــركة وهل تعى ضروراتها • وما تفرضه من اطلاق الحريـــات السياسية للشعب ومنظماته وهيئاتـــه الوطنية ، وقيـــام جبهة وطنيـــة والافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ؟ انهـــا حقـــا قيادة وطنيـــة ، ولكنهـــا بورجوازية ذات طبيعة مزدوجة • الموقف اذن يفـــرض حملة تعبئـــة سياسية وفكـــرية • محاضرات يوميـــا ، سياسية وفكـــرية ، والنشرة الداخلية « **الوعى** » تركز على الدروس المستخلصة من تجارب الثورات الوطنية الديمقراطية المعاصرة ، وعلى التحليل السياسى اليومى لمـــا يرد الينـــــا من أخبـــار فى الصحف والراديو • كان الزملاء يعـــون بعقولهم القـــولات النظـــرية ، لكن عواطفهم معلقـــة **بالأمل المستحيل** • وتنهـــــال خطابات الأهالى تبشرنا بالافراج القريب جدا ، بعـــد ان يلوون عنق أى كلمـــة أو تصريح لمسئول • ولم يكن هذا غـــريبا منهم فالحق كل الحق معهـــم حين يتعلقون بقشـــه كالغريق ، ولكن الغريب حقـــا أن تصلنـــا تحليـــلات سياســـية لزملائنا فى الخارج تتوقع الافراج عنا بين يـــوم وآخـــر • أكثـــر من ذلك ،

يصلنــا مقــال نظـرى بعنوان « **نحن حزب فى السلطة** » ! ويدلل على ذلك بأن معظم ما وضعناه فى البرنامج قــد تحقق ، وبالتــالى فــان القيـــادة السياسية قــد أصبحت لـــه !

وأصبح وضعنــا شــاذا حين وصلنــا هــذا التقرير ، مثـــل هــذا الكلام لا نوافق عليــه من الناحية النظـرية · وهذه التحليلات السياســية المتفائلة على غير أساس ، نرفضها ، فما العمل ؟ موجه التفاؤل ســوف تصل الى قمتهــا لو عــرف الزمــلاء ما جــاء بهــا ، فمن البديهى أن يكــون الزملاء فى الخــارج هم الذين على صــواب لأســباب مختلفـــة ، ليس فقط بحــكم وضعهم ، وانمــا أيضــا لأنهم أقــرب الى الواقع · بل المفــروض انهم جــزء منــه · كــان من الأفضل أن لا يرسل لنــا زملاء الخارج هذه التحليــلات والمقولات النظـرية على الأقل من بــاب الحــرص على معنويات زملائهــم المسجونين اذا لم يتحقق الافــراج عنهم · لقــد وصلوا الى يقين بحقيقــة الافــراج عنــا ، هذا ما تقوله تحليلاتهم · وهو خطأ نظـرى ومنهجى فــى نفس الوقت · ان التزامنــا ليس التزاما أعمى وانمــا هو التــزام واعى · والظروف لاتسمح بمناقشتهم وامكان تعــديل رأيهم فى نفس الوقت تفرض علينــا مسئوليتنــا ازاء الزملاء المسجونين أول ما تفــرض الحــرص علــى معنوياتهم بعــدم تعريضهم لأى **هــزة نفسية** · ورأينــا أن نكتب الى الزملاء فى الخارج وجهــة نظــرنا فى هذه التحليــلات السياسية والمقولات النظرية ، ومــررنا اعلانها على زملاءنا ، فى نفس الوقت الذى تعلن فيه تحليلاتهم · وتجــرى الأيام الباقيــة من يوليو ، وأغسطس ، وسبتمبر ، وثمانية وعشرين يومــا من أكتــوبر ١٩٥٦ ، وموجة التفــاؤل بين الزملاء بين مد وجزر · خطابات الأهالى **ترفع** الموجــة أحيانا ، وأحيانا أخــرى **تهبط** بها · وتحليلات زملائنا فى الخارج كانت تتجاذبها أيضا موجــة التفاؤل فى مدهــا وجزرها · كانت كل الدلائل تشير الى مؤامــرة كبــرى يدبرها الاستعمار ضد الثورة · ولم تكن مواقف القيــادة السياسية تــدل على ادراكها الكامل بأبعــاد هذه المؤامــرة · لقــد ركــزت كل ثقلهــا على العمل السياسى الدبلوماسى الخارجى فى الهيئات الدوليــة · ولم تهتم باعــداد الشعب سياسيا وعسـكريا للمعركة ، وبالتالى لم تكن قضية الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين فى جــدول أعمالها · وكان من الطبيعــى أن يقل بين الزملاء نغمة الحديث عن الافــراج ، وأن تهبط موجــة التفاؤل الى أدنى مستوى · وبرزت مشكلة خطيرة · مسئوليتنا كسياسيين وطنيين تفرض علينــا تأييـــد ومســاندة المواقف الوطنيــة للســلطة فى مواجهة المؤامرات الاستعمارية ، والتحذير مــن اشكالها المتعــددة · وفى كل بيــان أو برقيــة كنــا نضع مطلب الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ، حتى تحــول الى أكلشيــه تتنــاوله الســنة بعض الزملاء بالسخرية ! وفى نفس الوقت تفــرض علينا

مسئوليتنا ازاء الزمــلاء تفسير سياسى ونظـرى لاستمرار وجودهم فــى السجن ، أن تسجن لانك **تعــارض** النظـام شيء مفهوم ومقبول ٠ ولكن أن تسجن وأنـت **تؤيد وتساند** هذا النظـام مسـألة لا تقبلها الا اذا كنت تملك قـدرة نظـرية كبيرة ورؤيــة سياسية واضحه مستمدة منهــا ٠ ولقد أثبتت التجـربة صحــة موقفنا الفكرى والسياسى وظل الزملاء صامدين متماسكين٠ غيــر أن موقف الاخوان المسلمين « المؤيدين » كــان ضعيفــا ، فبعــد أن كان عددهم يزداد ، أخذ بضيق ، فتركهم عــدد كبير وعــادوا الى الاخــوان المسلمين « المعارضين » ٠ وبعــد أن كان « المعارضون » والمؤيدون يعيشــون معــا أصر المعارضون على عــزل المؤيدين فى خيام خاصة ٠ ومع الســاعات الأولى لصباح **يــوم ٢٩ أكتــوبر ١٩٥٦** سمعنا خبــر العــدوان الثلاثى على مصر ، واشتعلت مشاعرنا وجـرت أحــداث أحكى لك تفاصيلها فى الرســالة المقبلــة ياحبيبتــى

١٨ يوليــو ١٩٧٧
القاهــرة

ملحوظــات لابــد منهــا ٠٠ وسؤال ٠

الملحوظة الأولى : يوافق اليــوم ــ **١٨ يوليو ١٩٧٧** ــ الذكرى الخامسة والعشرين للقبض على فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ ٠

الملحوظة الثانية : بعد أربعة أيام من اعتقالى قامت ثورة **٢٣ يوليو ١٩٥٢** وبقيت فى السجن **حتى ٤ ابريل ١٩٦٤** ٠

الملحوظة الثالثة : بعد أربعــه أعــوام وأربعة أيــام قضيتها فى الســجن صــدر قــرار تاميم قنــاة السويس ٠

الملحوظة الرابعة : تستعد الصحف والاذاعة والتليفزيون للاحتفال باليوبيل الفضى **لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢** ٠

السؤال : **كم** كــان عمرك يا حبيبتى يوم صدر قرار تأميم القناة ٠ وهل كان جيلك يعرف عن وجودنا وراء الأسوار ؟

الرسالة رقم (٣٣)

حبيبتـــى

فى مســـاء يوم **٢٩ أكتـــوبر ١٩٥٦** ، كنـــا مثل بعض أبنـــاء البيت الـــذين قيدهم أبنـــاء آخـــرين من نفس البيت حتى لا يقاومـــوا اللصوص الـــذين اقتحموه لسرقته والاعتداء على حرماته ! لمصلحة من يشلون مقاومتنـــا لهـــؤلاء اللصـــوص ؟

اللصوص والسفاحون يسرقون ويقتلون كل أبنـــاء البيت وهم لايتعاونون الا مع أولئك الذين يخونون حرمة البيت الذى آواهـــم ٠ واخوننـــا الذيـــن يقيدوننا يتعرضون لنفس مـــا يتعرض لـــه أبناء البيت البررة ٠

وأتـــرك لك يا حبيبتـــى تصـــور حـــالة الزملاء الملقى بهم فى **قلب الصحراء** ، وبلادهم الحبيبة يعتـــدى عليهـــا الغزاة الاستعماريون والصهاينة ٠ كانـــوا أسودا وضعوا فى **أقفاص** ٠ ومن الذى وضعهم ؟ أخوتهم الذين يجمع بينهم شرف الانتماء **للبيت الواحـــد** ٠ لكن حالتى فاقت كل تصور فى تلك اللحظة٠ **الملك يقبض على ، وحـــكام ثورة ٢٣ يوليو يحكمون على بالأشـــغال الشـــاقة ثـــم يحرموننى من شرف الدفاع عن بلادى !**

الزملاء جميعـــا يتجمعون فى حلقـــات حول عـــدد مـــن أجهـــزة الراديـــو «الترانزستور» مع جميع اذاعات العالم ، ويرتفع صوت من بين احدى الحلقات:

ــ الجيوش الاستعماريـــه ٠٠ اجتازت ممـــر متـــلا ٠٠

ــ أى اذاعـــه ؟

ــ لنـــدن ٠

ــ كذب لا تصدقوها ٠

ويرتفع صـــوت آخـــر ٠٠

ــ اسرائيل اذاعت نفس الخبـــر ٠٠

وتصيح أصوات غاضبـــة :

ــ كذب ٠٠ كذب ٠٠

ويأتى صوت ثالث حزين ٠٠ حزين ٠٠

ــ الخبـــر صحيح يا زمـــلا ٠٠

وتصيح كل الأصوات ٠٠

ــ لا ٠٠ لا ٠٠ مش ممكن ٠٠

ــ الخبر من راديو القاهرة ٠٠

وبسود صمت رهيب · راحت سيناء · ربما يكونون غدا فى مدن القنــاة · هل يحتلونها ؟ هل يحمل الشعب السلاح ليدافع عن أرضه ووطنه؟
الموقف العسكرى خطير جدا ؟ لماذا ؟
البكباشى **أركان حرب فؤاد جاسر** من الاخوان المؤيدين - يشرح لنــا الموقف العسكرى على سبورة ، أن يمر الغزاه من ممــر متــلا معناه احتلال كــل سيناء · الا تستطيع جيوشنا أن توقف تقــدم الغــزاة ؟ لا · مستحيل ؟ **ما العمــل اذن ؟**

ويأتى الينــا **صوت فؤاد جاسر** حزينــا ، ممزقا ، مكســورا :
- لابــد من انسحاب جيوشنا الى ضفــة القنــاة ·

وفى صباح يــوم **٣٠ أكتــوبر** نسمع خبــر صدور **الأوامــر** بالانسحاب من سيناء ! لم تعــد الحرب نظاميــة بين جيوش فقط · انهــا حرب شعبية، وهل يملك الشعب السلاح ؟ ويأتينــا صــوت **جمال عبد الناصر** من الجامع الأزهــر ··

ســنقاتل ·· ســنقاتل ··

وتصل أخبار حمل **الشعب للسلاح** في مــدن القنـــاة وفــى القاهــرة · ليقــاوم الغــزاة !

دماؤنا تغلى · وأعصابنا لم تعــد تحتمل · هذه ارضنــا ونحن **اخلص** ابناءها · ايدينا التى يكبلها الحــكام يجب ان تحمل الســلاح مع الشـــعب فى وجــه المعتدين الغزاة · وأصحب **زكى مــراد** فى صباح اليــوم التـــالى للعدوان على بلادنا ونذهب الى **المأمور** ، فى الطريق الى مكتبــه نتفق علـــى كل شىء · دون أى مقدمات يقول **زكى مــراد** :

- نرجو أن تبلغ القاهرة ما يأتى : '**اذا لم يصدر قــرار الافراج عنــا فــى ظــرف ٤٨' ساعة من الآن فعليهم أن يتحملوا مسئولية ما يحدث هنــا ·**

ويلاحظ **المأمور** الانفعالات على وجهنــا فيقــول بصوت ودود :
- يا جماعة أصبروا ·· ·· الحكومة عارفــة موقفكم الوطنى العظيم ··

وأقــول بغضب ··
- لم يعــد **شرف** معرفتها' لموقننــا لــه أى أهميــة ··

ويحاول المأمور تلطيف الموقف ··
- ده برضه بساعدنى فى مسالة **الافــراج** ··
- **لا أحد يملك منع مواطن من شرف الدفاع عن أرضــه**
- أنتــو عارفين - الرئيس مشغول فى المعركة ·
- ونحن ·· السنا جــــزءا من هذه المعركـــة ؟
- يعنى ··'المسألة تحتاج لبعض الاجراءات

ويقــول **زكى مــراد** بغضب :
- اجراءات أيــه ؟ دى كلمــة يقولهــا ··

وأكمـل ٠٠

ـ ولابـد أن يقولهـا ٠٠ والا ٠٠

ويقـول المأمور ٠٠

ـ طيب أدونى فـرصة كافيـة ٠٠

ونقول بحسـم :

ـ **٤٨ ساعة** من الآن ٠٠ ليس أكثـر ٠

ـ وأنا فى ايـدى أيـه ؟

ـ فى ايـدك أن تتصل باللاسلكى بالقاهرة ٠٠ الآن ٠

ـ سأفعل ٠٠

ـ واذا مضت ٤٨ ساعة ولم نخرج من السجن فسيكون هنـاك تصرفه آخـر ٠

ـ زى أيـه مثـلا ؟

ويقول زكى مـراد :

ـ سننتظم جميعـا أمـام بوابة السجن ونطلب من سيادتك السـماح لنـا بالخروج والذهاب الى القاهرة لحمل السلاح ضـد الغزاة المستعمرين ٠

ويقاطعه المأمـور :

ـ وأنت عارف اننـى لا أملك هذا ٠٠

ـ طبعـا نعـرف هـذا ٠٠

ـ اذن ما الذى تنتظـره منى ؟

وارد عليـه :

ـ أن تقـوم بتنفيذ **ما يمليـه عليك واجبك**

ويسأل المأمور :

ـ واجبى الوظيفى ٠٠ أو الوطنى ٠

ـ نتمنى أن يكـون الواجب الوطنى

ـ وأكل عيشى ؟

ـ هذه ظـروف استثنائية

ـ لكننى موظف أولا ٠٠

ـ فى مثل هذه الظروف **انت وطنى أولا ٠٠**

ونلمح الدموع تتجمع فى عيون الرجل الوطنى

ـ لا أستطيع الا أن انحنى احتراما لكم ٠٠ لكن أرجو أن تقدروا موقفى ٠

ويقـول زكى مـراد :

ـ نحن نقـدر موقفك تماما حتى ولو تغلب واجبك الوظيفى على الواجب الوطنـى ٠٠

ـ وهل تعرفون نتائج القيـام بواجب الوظيفة ٠٠

ـ واقـول :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ نعرفه جيدا ٠٠ ستطلقون علينـــا **الرصاص** عند خروجنا من **السجن** ٠٠

ـ وهل أنتم مستعدون لذلك ؟

ويـــرد زكى مـــراد بحسم :

ـ كل الاستعداد ٠

وترتسم علامات الدهشة ممزوجة بالاعجاب والتقدير على وجـه المأمور :

ـ سيسقط منكم **ضحايا** ٠٠ والباقى لن يخرج ٠٠

ـ لا سنخرج جميعـــا من بـــوابة السجن ٠٠ **أحياء أو امواتا** ٠

ويتساءل المأمور :

ـ وما الذى تجنونه من وراء ذلك ؟

وأقول ســـاخرا :

ـ حتى تصل المأســـاة الى ذروتها ٠

لحظـــة صمت تمـــر كأنها دهـــر ٠ نلاحظ خلالهـــا وجه المأمـــور يجســـد ما فى داخله ٠ هؤلاء الناس اذا قالوا شيئا فعلوه ٠ خروجهم من باب الســـجن ليس لـــه سوى معنى واحـــد ٠ هو محاولة الهروب ٠ والقانون صــــارم ، **اطلاق الرصاص على المسجون الذى يحاول الهروب** ٠ هؤلاء أول مســـجونين يعلنون عن عزمهم **للهروب** ويحددون لـــه موعـــدا ٠ وهم لا يهربون من أجل ارتكاب جرائم ، وانمـــا كى **يموتوا** فى ساحة الشرف ٠ عجبا **لهم** من بشر٠٠ يهربون **للمـــوت** وليس للحيـــاة ٠

ـ وفجأة يسأل المأمور :

ـ هل انتم مستعدون لتسجيل موقفكم هذا والتوقيع عليه ،

ونقـــول فى نفس واحـــد .

ـ وفـــــورا ٠

ويتنـــاول **زكى مـــراد** الورقة والقلم من **المأمور** ويســـجل عليها مطلبنـــا ٠ الافـــراج عنـــا كى **نمـــوت** فى ســـاحة القتـــال برصاص الغـــزاة خلال ٤٨ ساعة أو استمرار سجننـــا والموت برصاص الحـــكومة الوطنيـــة على بـــاب السجن ٠ ويوقع وأوقع بعـــده ٠

ـ واضح أن الحكاية جـــد خالص ٠

ـ عهـــدك بنـــا لا نقول الا الجـــد ٠٠

ـ اذا أعطونـــى فرصة للتصرف

ـ نرجو أن يكـــون بسرعـــة ٠

سأذهب فـــورا الى المحافظ وأطلعـــه على ما دار بيننـــا وعلى **هذه الوثيقة**٠ وأطلب منـــه ان يبلغ رئاسة الجمهورية بمضمونهـــا ٠

ـ نأمل أن نعـــرف النتيجـــة على وجه السرعة

ويقـــول ضاحكـــا :

ـ ربمـــا يحتاج الأمـــر اطالة مـــدة **الانـــذار** ٢٤ ساعة ٠

ويقول **زكي مراد** بحماس شديد :

ـ ولا ساعة واحدة ••

واكمل :

ـ وهو ليس انذار ••

ـ ما هو اذن ؟

ـ هو موقف •• والانسان موقف •

ويضمني **زكي مراد بحب** ، ويقول :

ـ عنوان محاضرة نسمعها اليوم منك •

ـ ومطلع قصيدة تنشدها لنا اليوم ايضا •

ويطلب المأمور ان لا تبدأ المحاضرة قبل عودته من عند **المحافظ** فهو يريد أن يسمعها مع الزملاء ، كما يسعده أن يسمع القصيدة • ربما لم يشهد أى سجن فى العالم ما شهده سجن جناح بالواحات الخارجة فى ذلك اليوم • اجتماع يضم المسجونون الشيوعيون والاخوان المسلمين المؤيدون للحكم الوطنى .والمسجونون العاديون ، وكل السجانة وكل الضباط ومعهم مأمور السجن يستمعون لاكثر من ثلاث ساعات محاضرة عنوانها « الانسان موقف » ، وقصيدة مطلعها هاتين الكلمتين • كان الراديو يذيع نشرة أخبار كل ساعة وكنا حريصين على أن لا تعطل المحاضرة سماع نشرة القاهرة ، وكل اذاعات العالم • وجلس الزملاء الذين يحملون الراديوهات « الترانزستور » يسمعون الاخبار بواسطة السماعة ، بأذن ، ويسمعون المحاضرة بالأذن الأخرى •

بعد حوالى ساعه من بدء المحاضرة ، رفع زميل يحمل راديو يده أشار الى خبر هام ••

ـ الرئيس **جمال عبد الناصر** يوجه نداء للمعسكر الاشتراكى ولكل القوى التقدمية فى العالم الوقوف الى جانب مصر فى معركتها ضد الاستعماريين والصهاينة والغزاه •

وتلتهب الأكف بالتصفيق دقائق • وأعود الى المحاضرة :

تمضى أقل من نصف ساعة •• وترتفع يد زميل آخر من حملة الراديوهات •

ـ الاذاعة توقفت عن الارسال •

أتوقف ، وتكاد قلوبنا تتوقف عن ضخ الدماء الى اجسامنا • لهفة عليك يا أرضنا الحبيبة ، حرمونا من شرف بذل **دماؤنا فوق ترابك المقدس** ، لا ، لن تتجمد دماؤنا فى عروقنا ، اليقين فى أعماقنا يحمى قلوبنا ولن تتوقف أبدا عن ضخ دماء الحياة لأجسامنا ، حتى نبذلها فداء لك يا مصر يا حبيبتى •

ويبدد الصمت أصوات ترتفع :

ـ تمكن المهندسون (١) المصريون من تجهيز عربة اذاعة حتى يتم اصلاح محطة الاذاعة التى تعطلت ٠

أكف الحاضرين تلتهب من التصفيق وتعلو الهتافات بحياة الشعب الذى لا يقهر ٠وأعود الى محاضرة « الانسان موقف » بعدها ينشد زكي مراد قصيدته ٠ ثم نردد مع أم كلثوم ٠٠ **والله زمان يا سلاحى اشتقت لك فى كفاحى ، أنطق وقول أنا صاحى يا شعب والله زمان** ٠ **ومع فايدة كامل ٠ دع سمائى فسمائى محرقة ، دع مياهى فمياهى مغرقة** ٠٠ الخ ٠٠

ونستقبل نور فجر اليوم الجديد بنفس هادئة ، وقلوب مطمئنة ، وروح شفافة متصوفة ، كانت لنا مواقف كثيرة ، قبل السجن وخلاله ، لكن موقفنا هذا جسد الانسان فى شموخه وعظمته ، الانسان الذى لا يقهره شيء ٠٠ حتى الموت ذاته ٠

وفى الصباح تحمل لنا زيارة من أهلنا انباء هامة ، تجعلنا أكثر اصرارا على الموقف الذى أخترناه ، أحكيها لك يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة ٠

٢١ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

---

(١) كان على رأس هؤلاء المهندسين المهندس الدكتور فائق فريد ٠ النائب لأول مجلس للأمة عن دائرة روض الفرج ٠ اعتقل فى عام ١٩٥٨ ، ولم ترفع عنه الحصانة البرلمانية ٠

الرسالة رقم (٣٤)

حبيبتــــى

ذات يـوم من الأيـام الأولـى فى شـهر نوفمبـر ١٩٥٦ حملت الينـا زيـارة من أهالينـا انبـاء هامة أعطتنـا أمـل الاشتراك فى معركـــة مصر المقدســة ٠ وازداد أملنـا حين سـمعنـا اخبارا أخـــرى من مأمور السجن ٠ الحكومة توزع السـلاح على الشعب ٠ زملاؤنـا فى الخـارج بالاتفـاق مـع الحكومة يقومون بتعبئــة الجماهير فى المعركـة ، وينظمون المقاومة الشعبية فى بور سعيد ٠ الجبهة الوطنية تتحقق من خـلال المعركـة ، والحـريات السياسية تعم كـل مناحـى الحيـاة فى مصر ٠ فقط لـم يبـق ســوى الافراج عن المسجونين السياسين الوطنين ، وهى مســألة قـد أصـبحت أقرب الينـا من حبل الوريـد !

ـ ولماذا لـم يصدر قرار الافراج مع قرار التعاون معكم ؟

وجهنا هذا السؤال الى الزميـل الذى جـاء مع الزيـارة وحمل لنـا هذه الأخبـــار ٠

ـ لأنــه يحتـاج الى قانــون ٠

ـ ربما كان الأفضـل أن يصدر عفـو سياســى ٠

ـ بالعكس القانــون أفضـل ٠

ـ حتى يكتســب نشــاطنـا مشروعيتــه ؟

ـ بالضبط ٠ ٠

ـ ونشاطكم ٠٠ أليس مشروعـا ؟

ـ بالطبـــع ٠ ٠

ـ من أى شىء يستمد مشروعيته ؟

ـ من صلتنـا بالدولة وعملنـا مع أجهزتهـــا ٠

ـ وهـل ننتظـر حتى يصـدر القانـون ؟

ويصيح الزميـل وكـل نبرات صوتــه توحـى بالتفاؤل الشديد ٠ ٠ :

ـ مشروع القانون أعـد بالفعل وسينظر أمام مجلس الأمة ٠

ـ وهـل تضمنون وقوف أغلبيـة مجلس الأمة الى جانبنـا ٠ ٠ ؟

وترتفـع رنـة التفاؤل فى كلمات الزميـل :

ـ عـدد من مجلس الأمة طالبـوا بهـذا فى مقدمتهم ابو الفضل الجيزاوى ٠ ٠ ٠

ويهمس :

ـ اطمئنوا ما دام الريس عاوز كده .. لازم مجلس الأمة يوافق .

وأتساءل بسخرية ..

ـ وهوه الرئيس عاوز يفرج عنا ؟

ـ ليس فى ذلك أدنى شك .

ـ اذن فليصدر قانون يعرضه بعد ذلك على مجلس الأمة .

ـ قانون يصدر من مجلس الأمة أقوى من قانون يصدره رئيس الجمهورية .

ـ وهل احتاج قرار توزيع السلاح على الشعب الى قانون يوافق عليه مجلس الأمة ؟

ـ توزيع السلاح ده قرار سياسى .

ـ لكنه يستند الى قانون .

ـ وهذا ما حدث .. وبسرعة ..

ـ ألا تستحق قضية الافراج مثل هذه السرعة ؟

ويستنكر الزميل هذا الكلام .

ـ ده بقى موقف ذاتى . !

وأقول بغضب :

ـ الافراج عن الوطنيين فى ظروف غزو استعمارى يبقى موقف ذاتى ؟

ـ الالحاح عليه يتحول الى موقف ذاتى ..

ـ وهل اطلاق الحريات السياسية موقف ذاتى ؟

ـ طبعا لا ..

ـ لماذا اذن هذا الفصل التعسفى بين الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسين ؟

ـ ربما لخوفنا من أن يفهموا أننا نضع شروطا ؟

ـ أخشى أن تكون هناك أسبابا أخرى !

وينقطع الحوار فترة حول هذا الموضوع ، ثم يعود مرة أخرى حين يأتى المأمور ومعه أنباء أخرى ، يقول :

ـ جاءت برقية من رئاسة الجمهورية صباح اليوم .

ـ خيرا ..

ـ شكر وتقدير لموقفكم الوطنى المشرف .

ـ تانى !

ويشاركنا المأمور بتعبيرات وجهه وابتسامته ، سخريتنا :

ـ على العموم لازم تعطوهم فرصة ..

ـ تانى !

ـ يا جماعة ليه بس التشاؤم ده ..

ـ على العموم • باقى من الزمن **٢٤ ساعة** • •

ـ ده بقى ببقى انذار •• **مش موقف** • •

ـ ليه بقى • ؟

ـ يمكن تعديل الموقف • •

ـ هذا اذا استجدت ظروف تستدعى تعديله • •

ـ يعنى توزيع السلاح على الشعب ، واشتراك زملائكم فى المعركة مع الحكومه دى مش ظروف جديده ؟

ـ هى بالفعل ظروف جديدة •• تجعلنا أكثر اصرارا على موقفنا •

ويكاد المأمور أن يتوسل الينا • ويقول :

ـ أرجوكم لا تضعونى فى موقف حرج •

ـ ولماذا تضع نفسك فى موقف حرج ؟

ـ سأكون مضطرا الى القيام بواجبى الوظيفى •

ـ لا نفهم ده وحدك •

ـ كيف ؟

ـ اطلب حضور المحافظ واترك له الامر •

ـ هذا تفسير على أنه تقصير فى تأدية وظيفتى • •

ـ أخرى من أن تكون وظيفتك هى **اطلاق الرصاص علينا** •

وبعد فترة من الصمت • كان الحوار مع **المأمور** يدور معنا على مسمع من أهلنا ومن الزملاء الذين جاؤا لزيارتنا ، لكنهم لم يفهموا شيئا من الحوار حتى آخر كلمه منه • لم تعكر كل ما شهدناه من خوف وهلع وتساؤل فى وجوه الزوار من هدوء أنفسنا الذى يعكسه بريق الاصرار فى عيوننا • ويبدأ **المأمور** محاولة كسب الزوار الى جانبه . ولم تعبر الدموع التى جرت من عيون **الأم والزوجة والأخت** ، من موقفنا ، ويلقى الزميل آخر ما فى جعبته •

ـ ده موقف استفزازى •

ـ لمن ؟

ـ للسلطة •

ـ لماذا ؟

ـ لأنهم سيفسرونها على أنها حسرقة للمعركة

ـ لكن ما تفسيرك أنت ؟

ـ الى حد كبير هو كذلك • •

وتتوالى تعليقات الزملاء :

ـ البعض يستفزون • •

ـ والبعض يطبطبون • •

ـ اللى ايـده فى الميـه ٠
ـ مش زى اللى ايـده فى النـــار ٠
ـ البعض يقاومـــون ٠
ـ والبعض مســـجونون ٠
ـ يـد تطلق الرصاص على الاعـــداء ٠
ـ واليد الأخرى تطلقـه على الأصدقـاء ٠
ـ أحسن جبهة وطنيـة ٠
ـ وآخـر صيحـة نظريـة ٠
سخريـة لاذعـة تجســـد كل ما فـى داخلنـا ، اصرار على الموقـــف الذى أخترنـاه ، رمض لكـل الأوهـام التى نسجها زملاؤنـا فـى الخـارج ارضـاء لذواتهم ، واحساس مرير بالأســى من موقفهم الذاتــى ٠
ويتوجه المأمور الى عربتـه وقبل أن تتحرك بـه ، يقول لنـا :
ـ أنا رابح اتفـاهم تانـى مع**المحـافظ** ٠٠ ونتصـل **بالقاهـرة** ٠
راديـو القاهرة لا يتوقف صوتـه الذى يسمعه كل من فـى السـجن ٠ يذيـع الأغانـى الثوريـة والأناشـيد الوطنيـة ٠ وآذان بعض الزملاء على كل اذاعـــات العالم يتابعـون أخبار الحرب العدوانيـة على بلادنـــا ٠ يقطـع المذيـع الأناشـيد والأغانـى الوطنية ويعلن :
ـ قوات العـدو تغزو بورســعيد ٠٠ المعـارك تدور فى منطقة الجميل ٠ ويعـود الراديو لمواصـلة اذاعة الأناشـيد الوطنيـة ٠ وتغلى الدمـاء فى عروقنـا ٠
ويعلن المذيـع ٠
ـ المقاومة الشـعبية تطـارد قوات الاحتـلال ، **بورسـعيد** يا مدينـة البواسـل وقلعة الاحرار ٠ قاومى الاحتلال ٠٠
وتعود الأناشـيد ٠٠ وترتفـع صيحـات الزملاء نستنكر هذا الموقـــف من جانب الحكومة الوطنيـة ٠ انهـا حمـا نقـود الشـعب فى معركـة المصير ، فلماذا يحرموننا من شرف المعركـة ولمصلحة من ؟ وتدور منافسـات حـادة بين الزملاء والاخوان المسلمين المؤيدين من جانب والاخوان المسلمين المعارضين من الجانب الآخـر :
ـ ماذا جنيتم من تاييدكم للحكومة ؟
ـ هو موقف سياسـى لا ننتظر من ورائه شيئا ٠
ـ ومطلب الافراج عنـكم ؟
ـ جـزء من الحريات السياسية ٠
ـ ومتى يفـرج عنكم ؟
ـ هذا ما تقـرره المعركـة ٠
ـ قـد تطول ولا يفرج عنكم ؟

ـ لن يغير هذا من موقفنـــا ٠

ويعلو صوت مذيـع راديو القاهــرة :

ـ الاتحاد السوفيتي يوجه انذارا للمعتدين الغـزاه ٠

يصفق الزملاء والاخوان « المؤيدون » ، ويعلق بعض الاخـــوان المعارضين

ـ لصلحة من هذا الانذار ؟

ـ لصلحه المعركة المشتركه ضـد الاستعمار ٠

ـ سيكون الثمن باهظــا ٠

ـ مـــثلا ٠

ـ احلال استعمار محل استعمار آخــر ٠٠

ـ وما رأيــك فــي الآخـــر ؟

ـ أهـــون الشريـــن ٠

ـ كـــذا ٠

ـ نعــم ٠٠ وما رأيك ؟

ـ مصر الحـــرة المستقله ٠

وتحاول بعض العناصر من الاخوان المعارضين استفزاز الاخـوان المؤيدين ٠ ستوتر الأعصاب وتعلو الأصـوات ، تتبادل الشتائم ، والأيــــدى تتشابك . وتكـاد معركة تنشـب بين الطرفين ٠ لكن صـوت العقـل يعلو ، ويعـود الهدوء ٠ تتوقف المناقشــات والاستفزازات المتبادلة ، ويتفـق علـى عـدم اثـارة اى مناقشات جماعيه والتمسك باحترام كل لمشاعر وفـــكر الآخـر ٠

صوت « البروجـى » يعلو بنغمـة خاصـة تعرف معناهـــا المسجونون فى سجونهم ، ورجـال الحبس فى ثكناتهم . زيـاره أحـد لـــواءات الجيش أو البوليس ٠

ـ أى نوع من اللواءات يا ترى ؟

ـ الحافظ لـواء ٠٠ ومدير مصلحه السجون لـواء ٠٠ ومدير المبــاحث العامة لـــواء !

العربيــة الســوداء فى مقدمتها عــلم « اللـواء » تجرى بسرعــة نحـو باب السجن ، وصـوت « البروجـى » لا يكف عن الصبـاح ، وراديـــو القاهرة يواصـل اذاعــه الأناشيد والأغانــى الوطنيــة ، وشمس الظهيـــرة اللافحـــة فى الصحراء ، لا تحـول دون وقوف الزملاء على باب السجن ، وفوق الرمال الملتهبـــة ، فى انتظـــار ما يحـــدث ويرتفـع صوت حاسم ٠

ـ موقفنـــا كما هو لـــم يتغيـــر ٠

أذهب أنا وزكى مراد لاســتقبال اللواء القادم الينا ٠

يتقدم الينـــا اللواء الحافظ وعلى وجهـــه ابتســـامة عريضـة ويســـلم علينـــا باليد بود ملحوظ ، ويقول :

ـ أحمل أخبارا هامة للبكم ٠

ـ خيــرا ٠

ـ برقيــه من رئاســة **الجمهوريــة** تعـد بالافراج العاجـل ٠

ـ كنـا نود أن تحمل البرقيــة قــرار **الافراج** ٠

ـ مجلس الأمة سيناقش الأمـر غــدا ٠

ـ ربما تطـول المناقشـة ٠

ـ لا أعتقد ٠٠ مطلوب منــه اصدار **قانون بسرعــة** ٠

ـ وهـل تتحمل أعصابنــا الانتظار وجــزء من أرضنــا تدنســه قـــوات الاحتلال ؟

ـ أعـرف عنكم القدرة على التحمل ٠

ـ نحن غير مقتنعين بهـذا ٠

ـ أجدر بكم أن تثقـوا بقيادة المعركـة ٠

ـ كل الثقـة بجديتهـا في المعركـة ٠

ـ من المنطقي اذن أن تثقـوا بوعودهـا لكـم ٠

ـ تجربة الأيـام الماضيـة ـ منذ قرار تأميم القناة ـ علمتنا الحذر ٠

ـ ربما كان من الأفضل لكم أن تراجعوا موقفـكم ٠

ـ نرجو أن لا يكـون ذلك تهديـدا ٠

ـ بـل هو واجب الوظيفـة ٠ ٠

ـ نحن لا نعتـرض ٠ ٠

ـ وتعرفـون النتائـــج ٠ ٠

ـ نعرفهـا جيــدا ٠ ٠

ـ أنتـم تنتحــرون ٠

ـ لا ٠٠ وانما نســجل موقفنــا ٠

ويضحك المأمور ، ويقـول :

ـ الانســان موقف ٠

ويبدو على المحافظ عـدم الفهم ٠ ويشرح لـه المأمور ما ســمعه فـي المحاضرة ، وتكسو وجهه تعبيرات الدهشـة ممزوجه بتعبيــرات الاعجـاب والتقدير ٠ يقـول :

ـ لـم أكن أتصـور الأمـر بهذه الدرجـة ٠

ـ ألـم ينقـل البكم المأمور حوارنـا معـه ؟

ـ ليس من سمع كمن رأى ٠

ـ وها أنت قـد سمعت ورأيت ٠

ـ وتضاعف حـرج موقفـي ٠

ـ نأسـف ٠٠ ونرجو أن تقدروا موقفنـا ٠

وتتوالـى رجاءات **المحافظ والمأمور** وعـــدد من ضباط السجن وبعض الاخوان

المسلمين الذين كانـوا يتابعون الحوار :

ـ انتظار كـام يوم لن يقلل من قيمه موقفـكم ·
ـ انتـم فى منزلـة أولادى ·
ـ فى التانـى السلامة ·
ـ ألبس لكـم أولاد ؟
ـ وزوجـات وأمهـات ؟

ويذهب **المامور** الى خيمة **الزوار** ويصطحبهم الينـا :

ـ يا ولادى ·· حرام شبابكم ·
ـ أولادكم مين يربيهم ؟
ـ وزوجاتكم ·· ليه يترملوا بدرى ·
ـ وامهاتكم ·· رح تبقـى حالتهم أيـه ··

و · و · و · وبنتحـى بنـا البكباشـى **فؤاد جاسر** جانبـا ويهمس :

ـ أنا رايـى كصديق ننتظروا كام يوم ··
ـ انتظرنـا طوبـلا ··
ـ انتظار كام يوم كمان لن يقلل من موقفكم ·
ـ ولن يغير أيضـا من موقفهم ·
ـ وقتئذ يكون الحق معكم تماما ·
ـ أوليس الحق معنـا منذ زمن ؟
ـ اقصـد حى مسئوليتكم عن أرواح زملائكـم ··

مسئوليتنا عن **أرواح** زملائنا قبـل مسئوليتنا عن **أرواحنـا** نحـن · لكن الزملاء ممتلئون حماسـا · انهم مقتنعـون تماما بهذا الموقف · القرار ليس قرارنـا · انـه قرار كـل الزملاء وبالاجماع · هـل اهتز اقتناعنـا أمـام كل ما سـمعنـاه · من توسـلات ، وما رأينـاه من دموع فى العيـون ؟ هل يكون تاجيـل الموقف ضعفـا منـا ؟ وهـل الاصرار عليـه بعـد كل ما سمعناه ورايناه يعتبـر موقفـا جامـدا ؟ · موقفنـا واضـح ومحـدد يعرفـه كـل المسئولين وكل أهالينـا وبالتالـى قطـاع هـام من الجماهير ، وقدرتنـا على تنفيذه ليست محل تسـاؤل ، الانتظـار عـدة أيـام أخـرى سيكون فى صالحنا فى كل الأحـوال · اذا صـدر **القانـون** من مجلس الأمة ، فقد كسبنا **الافراج** ، واذا لـم يصـدر واتضحـت نواياهم بعـدم الافراج نكسب عطف أوسع قطاعات من الجماهير ورمز بسقط يخلد فـى سجل **الشـهداء** ·

كان ما يدور فى داخلـى هو نفس ما يدور بداخل **زكى مراد** :

ـ أيـه رأيك يا زكـى ؟
ـ نعود الى الزملاء ·· نناقشـهم ·

ـ أفضـل أن نعـود برأى واحـد ·
ـ وما رأيـك ؟
ـ المساومة ·
ـ كـم يومـا ؟
ـ أربعـة أيـام أخرى ·
ـ موافـق ·

وقبل أن يعود الحوار مع المحافظ والمأمور نشترط ·
ـ مـا سنتوصل اليـه يتوقف تنفيذه على موافقة كـل الزملاء ·

ويبتسـم المحافـظ · ·
ـ يعنى الرجوع لمجلس الأمـة ·
ـ تقريبـا ·
ـ ماذا تقترحـون ؟
ـ التأجيل أربعـة أيـام · ·
ـ خلوهـا سبعة أيـام · ·
ـ ولماذا سـبعه ؟
ـ اذهب خلالها الى القاهرة لعرض الأمـر بنفسـى ·
ويسـتطرد المأمـور ·
ـ وينتهـى مجلس الأمـة من المناقشـة · ·
ـ نقسـم البلد نصـفين ·
وبضحك المأمور :
ـ يبقـى خمسة أيـام ونصف · · بلاش كسـور ·
ـ اذن خمسة أيـام · ·
ـ لا سـتة · ·
ـ اذن اتفقنـا · ·
ـ ليس قبل موافقـة **الزملاء** ·

ويذهب معنـا الى الزملاء ، **فؤاد جاسر وحسين حموده** وعدد من أصدقائنا من الاخوان المسلمين المؤيدين · وبعـد اجتماع يستمر أكثـر من سـاعة نبـذل خلاله جهـدا مكثفـا لاقناعهم ، تارة بشرح مستفيض لموقفنـا خلال الحوار مع **المحافظ والمأمور** ، وتارة أخـرى بشرح الظروف الموضـوعية الآن ، وبعـد التأجيل ، وانهـا سـوف تكـون فى صالح موقفنـا فى كل الاحتمالات نصل الى موقف الاجمـاع الكامل ·

وحين يسمع المحافظ والمأمور والضباط قـرار الزملاء جميعـا بالموافقـة ، تتهلل وجوهم فرحـا ، ويعـدون ببذل كل الجهـود حتى يفـرج عنـا ·

وتجرى الاحداث بسرعـة مذهلة ، مع كل حـدث ترتفع موجـة التفـاؤل
وتتوقع افـراجا سريعـا ، لكن حدثا بعينـه يدمع بقصبة الافراج عنـــا
الى الخلف ، ويدفع فى نفس الوقت المعـركة الى بـداية النهاية .
أحكى لك عنـه فى الرسالة المقبلـة يا حبيبتى .

٢٣ يوليـو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٣٥)

حبيبتـــى

فى نفس اللحظـة التى توقف فيهـا القتـال **يـوم ٦ نـوفمبـر** ، ألغينـا قـرارنا الذى حدثتك عنـه فى رسالتى السابقتين · أحس بشمتيك تتحركان لتسألى سـؤالا أعرفـه ، وتعرفين أنت اجابته ، لكن بريق عينيك يطـلب المزيـد ·

قـرارنا السـابق الذى ألغيناه كانت حيثياته تتلخص فى كلمـات : ان ننهى جسدنا **برصاص الحكومة الوطنية** ، خير من أن نمـوت مـن الداخل حين نـرى أرضنـا المقدسـة تدنسها أقـدام الاستعماريين الصهاينة، ونحن هنـا فى السجن **مكبلون** · ولم يكن قرارنـا هـذا بسـبب الرغبـة فى الاستمتاع بحيـاة آمنـة مستقـرة بين الأهل والأصدقاء ، وانمـا كان لهـدف محـدد هو أن **نخـرج من السجن الى ساحة القتال مباشرة** · وكنـا على استعداد للعودة الى **السجن** مـرة أخـرى اذا لم ننـل شرف **الاستشهاد** فى ميـدان القتـال ، اذا ما اشترط الحكام ذلك ! كـان موقفنـا يا حبيبتى صادقا كل الصـدق ، غايته محددة ووسيلته جـزء مـن هـذه الغـاية ، فالوسيلة عند الثوريين ليست مبررا لهـا ، كمـا يفعـل الانتهازيـون والوصوليون · ان كانت غايتك شريفـة فيجب أن تـكون وسيلتك الـى هذه الغـاية شريفة حتى ولو كـان ثمنهـا **المـوت** ·

هذه المعـانى كانت محـور حديثنـا مع **مامور السجن** بعـد انتهـاء المـدة المتفق عليهـا كى نعلن تمـردنا ونخرج **من باب السجن** اذا لم يفـرج عنـا وبالتالـى نتعرض **للرصاص** ، قـال :

ـ أقترح أن تنتظروا لبعض الوقت ولا تقلقـوا ··

ـ سننتظر طويلا ·· ربما حتى انتهـاء مـدة **عقوبة السجن** وربمـا سـنوات أخرى **بعـدها** ··

قـال بدهشـة :

ـ وموقفكم السـابق ·· هل عدلتم عنـه **؟**

ـ لـم يعـد لـه ما يبـرره ·· **والغيناه** ·

ـ هل يمكن أن أعـرف السبب ؟

ـ ليس خوفـا أو جبنـا ٠
ـ لم يـدر هذا بخاطـرى ٠٠
ـ وانما لأن الظروف قـد تغيرت بعد وقف القتـال ٠
ـ ظننت انكم وجدتم فيهـا فرصـة للضغط ٠٠
ـ عفـوا ٠٠ وبعض الظن أثـم ٠
ـ ربمـا لأنى لا أفهم العلاقـة بين موقفكم الحـالى وبين وقف القتـال ٠
ـ كانت غايتنـا أن نخرج من هنـا الى ميـدان القتال مباشرة ، ويعود الى السجن من بقى حيـا منـا ، اذا اشترط ذلك الحكـام !

دقـات نـداء العشـاء تدعونا ، ويقبل المأمور والضباط دعوتنـا لتنـاول الطعام معنـا ٠ ويستمر التواصل الانسانى بين المسجونين ورجال ادارة السجن ، أثنـاء تنـاول العشاء ، وخلال الحفلة الساهرة ، التى أحيـاها الزمـلاء لمناسـبة وقف القتـال ٠

كانت هذه أول حفلة نقيمها منـذ بـدأ العـدوان على بلادنا ٠

وبعـد انتهاء الحفله وقبل أن ينصرف المأمور ، عائـدا الى منزله يقـول :

ـ كل يوم اكتشف فيـكم جديـدا
ـ نرجو ان يكـون محل تقديركم
ـ كل التقـدير
ـ وما آخـر جديد اكتشـفتـه ؟
ـ قدرتكم على العطـاء كبيرة
ـ ولكنهم يحبسـونها هنـا فى قلب الصحراء ٠
ـ ورغم ذلك فعطاؤكم لا يتوقف ٠٠ حتى فى الصحراء !

كـان المأمور يشير الى نشاطنا الثقافى والتعليمى فى سجن « جنـاح » بالواحات الخارجة ٠ كمـا قلت لك يا حبيبتى فى رسـالة سابقة ، اننـا وصلنا الواحات ولم نكن بهـا الامكانيات التى تسمح بالحد الأدنى للحياة ٠ وكان أول ما قمنـا بـه هو توصيل الميـاه الى السجن ، واعـداد مطبـخ لطهى الطعـام ، ومخبز لخبز العيش ، ومستشفى ٠ بعـد ذلك قمنـا باعداد « كافتريـا » نتنـاول فيهـا وجبات الطعام ٠ ونستخدمها فـى القـاء المحاضرات ، كمـا كنـا نستخدمها كمدرسة ٠ أكثـر من ٢٠ مسجونا مـن المسجونين العاديين الذين جاءوا معنا كانوا أميين ، تعلموا القراءة والكتابة وبعضهم درس حتى الاعـدادية ، وبعضهم حتى الثانوية العامة ٠ واثنـان التحقـا بالجامعة ، وأكثـر من ١٠ سجانة واصلوا دراستهم ومنهـم مـن التحق بالجامعـة ٠ فى نفس الوقت فتحنـا فصـول دراسية للزملاء الـذين لم يتموا تعليمهم ، وفصول للغـات المختلفة ، والرياضة ، والرسم ٠

كثير من الزملاء تعلم الرسم على يـد وليـم اسحق وسعيد عبد الوهاب وكـان « ملك الصحراء » خيمة خاصة يستخدمها كمرسم بعـد أن قـام هو بنفسـه بصنع الحامل والبراويز التى يشـد عليهـا القماش ٠ ان عـدد

اللوحات التي رسمها ولم اسحى للزملاء . وللزوار من أهالينـــا ، وللسجانة والضباط تكفى لأكثر من ثلاثة **معارض كبيرة** • كان أمــلا « لملك الصحراء » بعـد أن توقف عن الرســم ما يقــرب من أربع سنوات ، أن يرسم • وتكاتفـه الزملاء جميعــا كي يحققوا لــه هذا الأمل ، بمساعدة المأمور والضباط والاصدقاء توفــر لــه كل ما يلزمه من مماس والوان زيت وجواش وورق وخلافه •

ما زالت صوره وليــم فى ذاكرتى حين وصله أول طــرد بــه القماش والألوان والفــرش • احتضنهم بحب وأخــذ يجـرى مى انحـاء الســجن يصيح :

— راح ابتــدى ارســم تانى •• أنا ملك •• أنا ملك •

— ملك أيه ياوليم •• ما خلاص مفيش ملوك ••

— لأ فيــه •• أنا ملك •• أنا ملك الصحراء

— لكن أنت ما تنفعش ملك يا وليم •

— مش الملك يملك ••

— وبيقولوا أنه لا يحكم

— أنا أملك الآن ما استطيع أن أعبــر به بالفن

— تبقى ملك الفن ••

— لأ •• ملك الصحراء •• لأن فى هذه الصحراء الجرداء راح أخلق فيهــا فــن •

— يعنى مش راح تحــكم

— لأ •• ســايب لكم الحــكم ••

ويكمل ضاحكــا ••

— فى المشمش طبعـــا !

أذكر أنه ظل يعمل طوال النهار فى صنع الحامل وبعض البراويز الخشب ليشــد عليهــا قماش الرسم • وظل طول الليل يصنع كرسى خاص ليجلس عليــه أثنــاء الرسم وبعــد « الطبيعة الصامتة » التى سيرسمها فى الصباح، كنت معــه كل تلك الساعات أقــوم بعمل صبى النجار حينا ، وصبى الفنان حينــا آخــر ، وبين الحدن والآخــر نعمل قهــوة « بن غامق » • !

— يا درش البن ده قشطه اليمن طول عمرى أشتريه من الراجل الخواجة اليونانــــى فى شــارع شبرا ، عارفــه ؟

— مش واخد بــالى يا ملك ••

— يا أخى اللى جنب الملة « مملة شبرا » المشهورة ••

— أيوه •• أبوه •• افتكرت •• لكن يعنى لازم البن ده ؟

— مش ممكن أشرب الا « قشطة اليمن » •

وكان يرفض باستمرار أن يقــوم أحــد بعمل القهوة •

— أصل عمل القهوة فن

ـ طيب أولع لك الوابور ·
ـ وابور أيه بس ·· هيـه برضه القهوة تتعمل على وابور
ـ أمـال تتعمل على أيـه ؟
ـ على نار هادية جـدا

ويقوم بعمل كومة صغيرة من الرمل ، ويضع عليهـا قطعـا من غصـون الاشجار الجافـة بعـد أن يقطعها قطعـا صغيره · ثـم يشعل فيهـا النـار ويتركهـا حتى تتحول الى جمـرات :

ـ طيب أحط الميـه والبن والسكر ··
ـ أيـه هـوه ·· كـده مـره واحـدة ·

يأتي بالكنكـة ويبـدأ بوضع البن ، ثـم السكر ، ثـم الميـة ·

ـ ولازم بهـذا الترتيب ··
ـ طبعـا ·· دى بقى اسمها كيمياء ·· ملعقـة صغيرة من البن لكـل فنجـان و ½ ملعقـة صغيرة من السكر ، ثـم تضع الميـه ، ودى برضـه بالمقاس · الميـة تبقى أقل شـوية من سعة الفنجان ·
ـ وبعدين نقلب بالملعقـة ··
ـ شـوية قبل وضعها على النـار ·· وبعدين أثنـاء وضعهـا على النار الهـادية ·
ـ وتقعد قـد أيه بقى على نارك الهادية دى ؟
ـ أنا برضه نارى هادية يا درش ·· ؟
ـ مش قصدى ··
ـ ده أنا مولع من جـوه ··
ـ نار القهوة « الهادية » دى عاوزه بيجى ساعة علشان تغلى ·
ـ وماله مش لازم المسـائل تنضج ··
ـ طبعـا ·· بس مش على الهادى قـوى كده ··
ـ بالضبط ·· يعنى على النـار المناسبة ·
ـ وأنت متأكـد ان هيـه دى النـار المناسبة ؟
ـ التجربة الذاتية ·· فضلا عن تجربة الملايين تؤكـد هذا ··
ـ طب الذاتيـة وفهمناها ·· انمـا حكاية الملايين دى تبقـى أيـه ؟
ـ ملايين الفلاحين يا درش ·· القهوة ·· والشاى ·· والأكل ·· كلـه على النـار الهـادية دى !
ـ معـاك حق ·· اقتنعت ·
ـ نشرب القهـوة ·· هات الفنجان البنى ·· يـدى للقهوة طعم ·
ـ آهى دى بقى مش فاهمها ·
ـ أولا · أنا أحب اللون البنى ، لأنـه لون مصرى أصيل · وثانيـا : القهوة البنى ، أغمق من الفنجان ، ودرجتى اللون تريحنى ·

- حقيقى .. انسان وفنان .
- أيه ده .. اكتشاف جديد .
- أبـدا .. انما تأكيد حقيقة ..
من يملك تكوينا انسانيا حقيقيا لا يملك فقط القدرة على التعامل الانسانى مع البشر ، وانما على التعامل أيضا مع الأشياء - ويبدأ « ملك الصحراء » فى اعداد مادة اللوحة التى سيقوم برسمها فى الصباح « حنظل » جمعه من الصحراء ، و (دوم) كان قد أوصى أحد السجانة بشرائه من « جناح » زهور عباد الشمس وبعض الورود ، وبعض فروع شجر الخروع . يضعها بطريقة ثم يتأملها من بعيد ، ويعود الى ترتيبها مرة ثانية بطريقة أخرى .. وثالثة ورابعة .. و . و .. وأروح فى نوم عميق . وفى الصباح الباكر أرى وليم وقد جلس أمام الحامل والفرشاة فى يده . وعلى اللوحة خطوطا وألوانا . جلست أتأمل هذا المشهد الانسانى . ما الذى يجرى داخل هذا الفنان وهو يمسك بفرشاته لأول مرة منذ أربع سنوات ، منذ انتزعوها منه ؟ ما الذى سيخرج من أعماق هذا الفنان ، بعد كل ما لاقاه فى سجون مصر ، وأبى زعبل وليمان طره ، والواحات طوال أربع سنوات ؟ ما الذى يريد أن يقوله ، حين وضع « الحنظل » المر و « الدوم » الشديد الجفاف ، مع زهور عباد الشمس ، والورود التى زرعناها هنا فى الصحراء ؟

تجرى يده بسرعة على اللوحة ، خطوط .. ألوان ، أتأمل اللوحة تارة ، وتارة أخرى اتأمل ما يجرى على وجه هذا الفنان من انفعالات . وفجأة - رأيت على وجهه ما لم أره أبدا من قبل خلال سنوات السجن . هل يمكنك يا حبيبتى تصور تعبيرات وجه أم وهى ترى طفلها يذبح أمامها ، وهى لا تستطيع انقاذه ؟ بالهول ما رأيته على وجه الفنان الصادق الذى يريد أن يعبر عما فى داخله ولا يستطيع . كان يقف على حافة السكين بكل كيانه ووجدانه ، ويرفض الهزيمة . وظل صراعه العنيف ضد احساسه بالهزيمة أكثر من ساعة . القى بالفرشاة وخشبة الألوان جانبا ، والتفت الى وعلى وجهه ابتسامة تحد :

- مش هو ده اللى أنا عاوز أقوله .

وأنظر الى اللوحة بألوانها الجميلة وأقول مشجعا :

- مش من أول مرة يا وليم .

ويخرج من أعماقه تنهيده طويلة ويقول :

- ودى أول مرة ارسم فيها يا درش ؟
- قصدى يعنى منذ أربع سنوات .
- طيب وانت أيه رأيك فى اللوحة دى ؟
- المهم رأيك أنت الأول .

ـ لو شفت اللوحـة دى فى معرض تلفت نظرك ؟

ـ ما انت عارف ياوليـم أنا معلوماتى فى الفن التشكيلى لاتزيـد عـن معلوماتى عن اللغـة الهيروغلوفية ٠

ويمسك بحجر ويلقى به وبخرق اللوحة ويمزق القماش . ثم يقول :

ـ ما تعمل لنا فنجان قهوة ٠

ـ وأقـول ما زحـا :

ـ هو انا برضه أعرف أعمل قهوة ٠

ويبتسـم ابتسامة باهتـه :

ـ زى بعضـه أعملها بقى بطريقة « المثقفين » ٠

بقـدر صـدق الانسان مع نفسـه بقـدر ما يكون احساسه بالهزيمـة كبيـرا ٠ وحين ينتصر على الهزيمة فى نفسه يصبح كالطفل فى طهـارته وبراءته وتلقائيته ، حقيقة جسدها لى وليـم اسحق الفنـان ، حين ظـل لمدة شهر كامل ، رسـم خلاله أكثـر من عشر لوحيات وبمزقهـا ٠ وفى كل مـرة كان يعانى آلاما تفـوق طاقـة البشر ، حتى أننـا دون أن يشعر ـ فهو يرفض بشراسـة أى مجاملة أو عطف ـ كلفنـا الزمـلاء الذين يتجـاوب معهم انسانيا ، بألا يتركـوه وحـده أبـدا وكنت أنـا الازمـه طـول الوقت فيمـا عـدا الأوقات التى أكون مشغولا فيهـا ٠ وكثيـرا مـا كـان بعض الزملاء يقومون بعمل « النوبتجيـة » بـدلا منى حتى لا أترك وليـم ٠

وذات يـوم لازمتـه منـذ الصباح وهو يكمل لوحة كان قـد بدأهـا ٠ وكنت وأنا أتأمله أحس من تعبيرات وجهه بأنه سـوف ينتصر على الهزيمة التى ظل يعـانى منهـا طوال شهر كامل ٠ فى الدقائق الأخيرة كان يضـع اللمسـات الأخيرة على اللوحة ، وابتسامة هادئة تكسـو وجهـه ، ووضـع الفرشاة جانبـا وقـال :

ـ نعمل بقى فنجان قهوة ٠

ـ بطريقة **الفلاحين والا المثقفين ؟**

يضحك من اعماقه ويقـول :

ـ لا ٠٠ بطـريقة **الفلاحين** طبعـا ٠

وجلس يتأمل اللوحة ، وقـد استغرقه عالمـه الخاص ٠ وجلست الـى جانبه اتأمل اللوحة ، لكن شيئا آخـر لم يستغرقنى سوى فرحى وسعادتى بانسان احبـه انتصر على الهزيمة بعـد ان عانى منهـا طويلا ٠ بعـد أن رشف بلذة كبيـرة رشفة قهوة مصنوعة من بن « قشطة اليمن » سألنى :

ـ أيه رأيك بقى يا درش ؟

قلت مازحـا :

ـ فى اللوحـة والا فى القهوة ؟

ويبادلنى المزاح :

ـ فى المهوة طبعـا ٠
ـ لا ٠٠ دى فهوة مفمين ٠
ـ طيب وفى اللوحـة ؟
ـ فيهـا ما نريـد أن تقوله ٠
ـ لكن رأيك انت أيـه ؟
ـ ما تقوله رائع وعظـم ٠
ـ بلسانى أم بفرسانى ٠
ـ وهل يمكن الفصل ؟
ـ كثيرون يفعلون ذلك ٠
ـ ليسوا فنانين ٠ هم آفاقون ٠
ـ لكنهم فى الصورة ٠
ـ مزيفون داخل اطار صورة مشوهه ٠

ويستمر حوارنا متصـلا ، نتحدث ، ونشرب قهوة بطريقـة الفلاحين ، ونسمع موسيقى بيتهوفن وباخ وشوبان ، ونتأمل الصوره ٠ ونمشى وسـط الصحراء خارج الخيمة ثم نعـود اليهـا ، ونعـاود التأمل فى الصـورة ، وتمتزج أشـعة الفجـر ، مـع صـوت الموسيقى مع حوارنـا الانسانـى ، مع نظراتنا الجانبيـه الى اللوحـة ، ونعيش لحظـات فى عـالم خاص ، ونتمنى أن يكـون هذا هو عالم الناس كلهـا ٠

ـ فجـر يـوم جديد ٠
ـ هو آت لاريب فيـه ٠
ـ أحلم أن يكون كمـا أراه فى هذه اللحظـة ٠

وأفيق من حلمى على صوت ينـادى على :
ـ يا زميل منتظرينك فى «**الفرن**»

كنت أذهب الى « الفرن » ثلاث مرات فى الاسبوع مع طلوع الفجر ، كى أقوم بعملى هناك ، وكان تخصصـى « **فـرد عجينة الخبز بالنشابة** » ٠ وعن نظـام العمل فى الفرن ، والمطبخ ، والمنشآت الأخرى ، سأحكى لك عنهـا فـى رسالتى المقبلة يا حبيبتـى ٠

٢٤ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة (٣٦)

حبيبتـــى

قبل أن أدخل السجن قـرأت وكتبت كثيرا عن الكادحين وعرمهم وآلامهم ، غير انى لـم أحس بهم تماما الا عندما أصبحت **كادحـا** ما يقـــرب مـــن ثلاث سنوات فى سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجية** ٠

منـــذ اللحظة الأولى التى وصلنـا فيهـا الصحراء ، لم يكن أمامنـــا كـــى نعيش ســوى أن نتحول الى كادحين حقيقين ، نأكل من عرقنـا وكدحنـا ٠ كنـــا ثلاثين كادحـا فقط حين وصلنا الى **أرض الصحراء** الجرداء من كـل مقومات الحياة الضرورية ٠ وفرضت هذه الظروف القاسية أن يقـوم كـل واحـد منـــا بعمل يومى عـام فى المعسـكر ، وعمل آخـر خاص فى خيمـــة السكن ٠ فى نفس الوقت خلق تخصص فى الأعمـال العـامة ، خبـــازين ، وطباخين ، وممرضين ، ونجارين ، وحدادين ، وفلاحين ، وأخترت أن أكون خبازا وكـــان تخصصى «فـرد » رغيف العيش وهو عجينــة « بالنشابه » ٠ والعمل فى الفـرن يبـدأ مع **غـروب** شمس كل يـوم حتى **ظهـــر** اليـــوم التـــالى ٠ المتخصصون فى العجن والثلاثة يذهبون مع غروب الشمس يمزجون الدقيق بالماء والخميرة والملح ، ثم يعجنون ويلتون حتى يصـــبح للعجينة « **عـــرق** » ، فيغطونهـــا باجولة من الخيش ، ويشترط فى هؤلاء الكـادحين أن تكـــون صحتهم جيـدة ، وعضلاتهم قـويه ، وأجسامهم طويلة ٠ وقبـل الفجـر بقليل يذهب الى الفـرن متخصص آخـر ٠ يمسك بطـرف أصابعه قطعة من العجين ليـرى قـوة « العـرق » فيهـا ، ثـم يذوقها بلســـانه ليتأكـد من « **حدقهـا** » ٠ اذا وجـد كل شىء على ما يرام نادى على فـريق العمل ويقسم الى اثنين يقف كل منهما على « **عين** » الفـــرن ، واثنين يضعان الخشب والحطب تحت « **صاجة** » الفـرن ويراقبان اشتعال النـار ، كلما خمد لهيبها يعطـــونها المزيـــد من الحطب ، واثنين يقفـــان على « ماجـور » العجين ويشترط فيهمـا أن تكـون عضلاتيهما قـــوية ، حيث مهمتهما **أن** يخرجا مـن « الماجور » كمـة مـن العجين لا يقـل وزنهـــا عن **١٥ كيلو** ، ويضعاها على « الطاولة » حيث يتلقاهـا اثنـان آخران أحدهمـا يقطع بيـده هذه الكومة الكبيرة الى قطع صغيرة ، يزنهـا الثانى ، ثم يدفع بهـا الى أربعـة من حاملى « النشـاب » الذين عليهم أن « يفـردوا » القطع الصغيرة « المكورة » من العجين الى ما يشبه العيش « الاسكندرانى » الرقيق والمنفوخ ٠ وطبعـا هنـاك فـرق بين النوعين وهو أحد الفروق التى لاحصر

لها بين المبشنة والربف • وبعد فرد قطع العجين لتأخذ شكل الرغيف تحملها بمهارة من تضعها على « **الكريك** » لبدفعها آخر الى عين الفرن • وبعد خبز العجين والتأكد من أنه « استوى » يستقبل العيش المخبوز وهو سخن « ملهلب » ثلاثة آخرون فى يد كل منهم سفنجه مبلوله بالماء بمسح بها بسرعة « **وجه** » الرغيف حتى « **يلمع** » • وبقوم آخرون برص الخبز على ألواح من الحديد ، ثم يقوم الموزعون بتوزيع الخبز على « الخيام » • كل خيمه حسب عدد افرادها ، ولكل فرد ثلاثة أرغفة فى اليوم ، مع وجود استثناءات للبعض الذين لا تكفيهم ثلاثة أرغفة فقط ، مثل محمود زينهم من الأخوان المسلمين وهو بطل مصارعة حرة •

فى أيام الشتاء خاصة ، كنت أخرج فى الفجر من تحت أربع بطاطين الى **بـرد الصحراء القارص** ، وأسير فى الخلاء حوالى **٢ كيلو متر** حتى أصل الى **الفرن** • وقبل خروجى البس ملابس داخلية « كستور » ثم بدلة السجن « العبك » وبلوفر « صوف » وفوق كل هذا التفح **ببطانيتين**• وفى كل مرة كنت أحسب أنى قمت بعمل التحصينات اللازمة ضد البرد ، كان « **سرسوبا** » أو « **سرسوبين** » أو عدد من « **السراسيب** » **تخترق** جلدى ، ولحمى لتستقر فى عظامى باردة **كالثلج** ! • وكنت أجرى بسرعة الى حيث **الدفء** فى الفرن ، وعند عودتى من العمل فى عز الظهر والشمس عمودية على رأسى مباشرة كنت أضع بطانية عليها حتى لا أصاب **بضربة شمس** ، وأحمل البطانية الأخرى والبلوفر الصوف • وبداخلها ٣ أرغفة عيش « سخنين » و « نقاوة » ، وكانت هذه الأرغفة الثلاثة علاوة استثنائية لكل العاملين فى الفرن الذين يبدأ عملهم فى الفجر فقط •

وفى أيام الصيف يبدأ الجو الرطب بعد منتصف الليل حتى بعد الفجر بقليل ، ومع أشعة الشمس الأولى يبدأ الجو فى السخونة التى تمتصها الواح الصاج فوق رؤسنا فى **الفرن** ، ترسلها الى اجسامنا بلا رحمة ، وكلما زادت حرارة الشمس ، كلما ازدادت كميات العرق التى تخرج من أجسامنا • ولا يأتى الظهر الا وتكون أجسامنا عارية تماما ، الا من « الشورت » طبعا !

ودون مبالغة ، كان « **خبزنا** » أفضل من « **خبـز** » القاهرة ، ولا يقل جودة عن « خبز » الاسكندرية ، وهذه شهادة **مأمور السجن وضباطه** الذين كفوا عن أكل « خبز » جناح وكانوا بأكلون من « خبزنا » ! وشهد الاهالى الذين حضروا الينا فى زيارات ما شهدت به ادارة السجن • وكنا نعطى لكل زائر ٣ أرغفة بأخذها معه عند عودته ، بالاضافة الى ما كان يأكله خلال الزيارة التى كانت تستمر يومين متتاليين •

ودون مبالغة ـ مرة ثانية ـ تمكنا من صنع كحك العيد وبسكويت وغريبة بمناسبة الأعياد • كما صنعنا « جاتوه » و « تورته » فى

المناسبات المختلفة خاصة فى أعياد ميلاد الزملاء . لكن ذلك لم يحدث الا بعد فترة أدخلنا خلالها التحسينات الضرورية . فقد بدأنا « بتكنولوجيا » **محلية** . ثم استوردنا تكنولوجيا **مناسبة للبيئة** . مثلا بدأنا « تحمية » الفرن بنيران الحطب ، واهتدينا الى استخدام « **السولار** » . كذلك المطبخ بعد أن كنا نطبخ على « الكانون » . وفى صفائح ، أصبحنا نطبخ فى « حلل » كبيرة وعلى « بوابير » كبيرة تشتعل بالسولار ، كتلك التى نراها فى المطاعم الشعبية وعند « **بتوع الطعمية** » . وكثيرا ما كان يدور نقاش طريف بين المتمسكين بالقديم ويرون ان الأساليب البدائية تعطى « نكهة » « خاصة » « للطبيخ » وللخبز . وبين المتحمسين بالجديد وأساليبه الحديثة التى توفر الجهد والوقت . وكان انصار القديم يضعون الجهد الاكثر نظير الطعم الألذ والأفضل . ويرد عليهم دعاة الجديد بأن الجهد الأقل نظير الوقت الأطول للثقافة والتزود بالمعرفة ، وخلال المناقشة يطرح أحد الخبثاء سؤالا : أيهما أكثر متعة . الطعام اللذيذ ، أو قراءة كتاب ، أو سماع قطعة موسيقية . والطريف ان بعض الزملاء وقعوا فى « حيصة » السؤال الخبيث فراحوا يتبارزون

ـ أنا شخصيا أفضل قراءة كتاب عن أكلة دسمة .

ـ أمال عامل زى عجايز الفرح ليه مش عاجبك الاكل ؟

ـ أنا لم أنتقد الاكل الا فى الأيام الأخيره .

ـ يعنى بعد استيراد « التكنولوجيا » .

ويضحك الجميع ويصفقون مهللين ..

ـ تبقى من أنصار القديم ..

ويدرك « المطب » الذى استدرج اليه ويشاركهم الضحك والتصفيق .

والحقيقة أن ادخال التحسينات باستمرار على المنشآت العامة فى السجن وفر لنا كثيرا من الجهد والوقت . وساعد ذلك على زيادة نشاطنا الثقافى والفكرى والفنى .

فقد استطعنا تنظيم وقتنا بصورة دقيقة ساعدت الجميع على التحصيل الفكرى والثقافى بشكل كبير . فقد كتب المرحوم « خليل قاسم » روايته الشهيرة « **الشمندورة** » وكتب صلاح حافظ مسرحية « **الخبر** » وكتب مجدى فهمى كتابا عن « **التفسير المادى للتاريخ** » . وترجم حلمى **طوسون** « مبادىء الفلسفة » وشريف حتاتة « مبادىء الاقتصاد السياسى ومعظم أشعار فؤاد حداد وزكى مراد وكمال عمار كتبت خلال فترة سجن جناح ، وتعلم عدد من الزملاء لغات جديدة ، انجليزية ، وفرنسية ، وروسية . هذا الى جانب النشاط المسرحى فقد قدمت مسرحيات من تأليف صلاح حافظ ورؤوف نظمى وعبد المنعم سعودى .

هكذا بدأنا من الصفر ببدائيات بدو الصحراء الى امكانيات تقترب

(م ١٥ ـ الرسائل)

من **مثيلاتها** فى المدينـة • وأقمنـا على أرض الصحراء القاحله نـوادى سياسيه وثقافيه ومرسـم ومسرح • ونحولنـا نحن مـن كادحين فى بلاد شديدة التخلف يعملون أكثـر من ١٨ ساعة فى اليـوم • الى كادحين فـى بلاد متقدمة يعملون ٧ ساعات فى اليـوم ! لقـد نمكنـا من تحويل هـذه البقعـه من **الصحراء** الجرداء الى **أرض تنبض بالحياة** ، ومجتمع صغير تسوده المساواة التامـه . لكل فـرد فيـه حقوق وعليـه واجبات ، الجميع يعمـل عمـلا يدويا لا فـرق بين زميل وآخـر • وكل ما يصل الزملاء من نقـود وطرود **لصالح الجميع** فيمـا عـدا استثناءات قليلـه كحوافز مادية • وشهد كل من زار هذا المجتمع من الاخوان المؤيدين والمسجونين العادين والضبـاط والجنود بمثاليتـه من حيث العلاقات الاجتماعية السائدة ، والمساواة المطلقـة فى الحقوق والواجبات ، وتوفير أفضل الظروف للتزود بالمعرفة والثقافة •

ومثلمـا كنت أحس بالكادحين قبل دخولى السجن بشكل نظرى ، كذلك كان تصورى للمجتمع الاشتراكى وشعاره « من لايعمل لاياكل » مجـرد تصور نظـرى • وحين طبقنـا هذا الشعار فى تلك **الأرض الجـرداء** أصبح هـذا التصور حقيقة • لقـد دلت تجربتنـا خـلال السنوات الثلاث التى قضيناها فى **سجن « جناح »** ، على أن تخطيط أقل الامكانيـات القائم على وحـدة الفكـر والعمل هو الطريق الوحيـد لبنـاء مجتمـع المسـاواة فى الحقوق والواجبات للجميع • واذا كـان الانسـان هو آداة خطـة البنـاء وهدفهـا لبنـاء مجتمع متقـدم ، فقـد نجحنـا أيضـا فى تحويل هذه المقولة الـى حقيقة • ففى ظل أصعب الظروف لـم نتوقف لحظـة واحـدة عـن تثقيف أنفسنا • وكمـا قال لنـا يومـا أحـد الضباط الاصدقاء أن تسود هذه الروح بين عاملين أحرار وفى مجتمع حـر ، أمـر يستحق التقدير أمـا أن ينجح **مسجونون** فى ظروف بالغـة الصعوبة ، ولا يعرفون متى يخرجون للحـرية **فهو أسـطورة** ••

ذات يـوم من أيام سجن جنـاح ، دار حوار طـريف بين عـدد من الزملاء بـدأ بنكتة من أحـد الزملاء العمال :

— أنا شخصيا مبسوط جـدا هنـا •

وتلقى النكتـة زميل عامل آخـر

— نعمة يحفظها من الزوال •

باستنكار يقول زميل مثقف :

— مبسوط أيه •• ونعمة أيه •• يا زملاء •• الحرية هى كل شىء •

— ليس بالحرية وحدها يحيـا الانسـان •

ويـرد المثقف :

— دى نظـرة ضيقة الأفق •

— ليـه بقـى ؟

— **أن تفضل الأكل على الحـرية •**

وبضحك زميل ثالث من العمال :

– وقع فى « المطب » .. وهل هناك تناقض بين الأكل والحرية ؟

– أصل لـه مفهومه الخاص عن الحرية .

ويغضب الزميل المثقف ..

– أفهم من كده أنكوا تفضلوا **السجن** « عنا » عن الحرية .

ويقول الزميل الأول الذى بدأ الحوار بنكته

– ببساطة .. نتمنى الخروج من السجن .. ونرجو أن تتوفر لنا **فى** بيوتنا ما نأكله هنا ..

وتبدو « الدهشة » على وجه الزميل المثقف :

– للدرجة دى ؟

– وأكثر يا زميل !

– ازاى ؟

ويصيح الزملاء العمال :

– لا بقى .. ده مش معقول .

ويدرك الزميل المثقف – متأخرا – أنه **نسى** ما قرأه وسمعه عن حياة العمال والكادحين .

هذا الحوار يا حبيبتى لم يحدث بالطبع . وانما هو صورة فنية أردت بها أن أجسد لك حقيقة عارية . الانفصام بين الفكر والممارسة . كثيرون من أبناء الطبقات المتعددة الذين حملوا الفكر التقدمى لم يستطيعوا حل التناقض بين **ما يحملونه من فكر . وبين ممارستهم للحياة** ، لسبب محدد هو أنهم ذاتيون . ولست هنا فى مجال التحدث عن الاضرار التى أصابت الحركة الثورية حين تولى **بعضهم** مراكز قيادية ، وانما أريد أن أصور لك سلوكهم فى سجن « **جناح** » فى نظام حياتنا وكيف استطعنا من خلال ادارة شئونهم . أن نصل الى المجتمع النموذجى الذى كتبت لك عنه فى عدة الرسائل . فقد كانوا خارج السجن « **يشتركون فى المعركة مع الحكم الوطنى** » أثناء العدوان الثلاثى وبعده بشهور . وألقى القبض عليهم . وصدرت أحكام ضد بعضهم ، وأفرج عن البعض الآخر لبراءته ، ثم ارسلوا جميعا فى **الواحات** فى أوائل **عام ١٩٥٧** . وكان أول ما ثاروا ضده هو نظام « الحياة العامة » عندنا والتى تقوم على أساس [illegible] **لصالح** الجميع » مع استثناءات قليلة جدا . لقد حاولوا أن يدمروا كل المعانى العظيمة التى استطعنا أن نغرسها فى نفوس زملاء المسجونين القدامى – **منذ عام ١٩٥٢** – لكننا عالجنا الأمر بمرونة وحكمة واستطعنا أن نحمى مجتمعنا النموذجى وسوف تكون رسالتى القبلة عن هذا الموضوع يا حبيبتى .

٢٥ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٧)

حبيبتـــى

مع كـل دقيقــه تمر منــذ التقيت بــك يزداد يقينـــى بلحظــة الصـــدق التى أعيشـــها ، ويزداد اصرارى على التمســك بهـــا حتـــى آخـــر دقيقـــة من عمرى · ربما لا يجـد واحد من زملاء المسيرة مـا يغضبـه فى رســائلى السابقة ، لكنى أرجح أن هنـــاك من سيجد فى رسائلى المقبلـــة ، مـــا ســوف يغضبه · وربمـا يلقـى فى وجهـــى بعـدد من الاتهامات ، لكنهـــا لن تصـل باى حـال الى نـلك التى الصقوهـــا بعـدد من الثوريين · ومتى ؟ فى **ديسمبر عـام ١٩٥٦** · وكان المدانون وبعض الذين أدانوهم صـــدرت ضدهــم **أحـــكام بالسجن والأشــغال الشاقة** · على أن هذا ومثله ليس مجال حديثى فى هذه الرسائل ، وسيكون لهـا مكـان آخـــر · وحـديثى هنـــا ينصب فى الأساس على نموذج من السلوكيـات الشـخصية داخل السجن حيث يكـون الانسان **عاريـا** تماما لا يســتطيع ستر عورة من عوراتـه ، تحت أى قنـاع أو ســتار · لقـد دلت تجربتـى الخاصـة على أن الســلوك الشخصى هو محك صـدق الثورى · فالثوريـون يا ابنـة الســتينات من **طينة خاصـة** · وبقـدر ما يكـون التكوين الانسانـى للثائـر سويـا ، بقـدر ما ينبت الفـكر ، وينمو ويزدهر ، ثـم يجنـى ثمـارا يانعـة لـه وللآخرين · وفى قـاع النفس اللا انسـانية تضيـع كـل جرعـات الفـكر التقدمى الانسانـى ، اذا وصلته ، أو تقف عند مخـه التى لا يرسـلها الا الى لسانه فقط ، ليلوكهـا فى حديث **مبهـر** ، أو مقـال **رشـيق** يحتوى على « **بهارات** » ثوريـة جـدا ! · واليـك تجربتنـا معهم فى نظام الحيـاة العامـة :

منذ بـدأ تواجدنـا فى السجون بالعشرات منذ **الخمسينات** ونحـن نطبق نظاما للحياة العامة يقوم على أساس **مصادرة** كـل الامكانيـات التى تـرد الينـا واعـادة **توزيعها** على الجميـع يتسـاوى فى ذلك من تصلـه امكانيات مهمـا بلغت قيمتهـا ، ومـن لا يصلـه **شىء** علـى الاطـلاق · طبقنـا هذا النظـام فى **سجن مصر وفى ابـى زعبـل وفى ليمان طره وفى سجن « جنـاح » بالواحـات** · وخـلال تلك السنوات ـ **٥٢ الى ٥٧** ـ لـم يثر أصحاب الامكانيات ـ على قلتهم ـ أقـل معارضـة لهذا النظـام وبلغت حماستهم لـه انهـم كانـوا يعملون باستمـرار علـى مضاعفـة

امكانياتهم كلما اشرفنــا على الافــلاس الذى يهددنــا بان نعيــش على ما يقــدمه لنــا **السجن** فقط وهو دون **الكفاف** .

وكانت المفاجأة **فــى أوائــل عــام ١٩٥٧** حين وصــل الينــا من **ســـجن القناطــر الخيرية** عــدد من أصــحاب الامكانيات ومعهم عــدد من المعدمين ويحملون معهم نظامــا للحيــاة العامة يقــوم على أســاس مصــادرة ٥٠ ٪ فقط من الامكانيات لصــالح الجميــع ، والـ ٥٠٪ الباقيــه لصـــالح **أصحــاب الامكانيــات** .

ويــدور نقاش بين الزملاء القادمين من سجن القناطر الخيريه وبين مسئول الحياة العامــة فى سجن « جنــاح » بالواحــات الخارجــة ويتوقف حتى اتخـــاذ قــرار .

وجائنـــى مســـئول الحياة العامــة ، فقــد كنت فى ذلك الوقت املك اتخــاذ القرار ، قــال :

— اليــك استقالتــى .
— وهــل املك قبولهــا ؟
— ولماذا لا تملك ؟
— انت منتخب ولست معينــا .
— أقدمها للجمعية العموميــة .
— ربما أمكن علاج الموقف .
— لا أظـــن .
— كيف ؟ انهم زمــــلاء . . !
— أشــك فى ذلك .
— كلامك خطير .
— وأتحمل مسئوليته .
— الى هذا الحــد ؟
— وأكثـــر
— انتظر . . سنرى كيف نعالج الموقف .

وابــدأ نقاشــا مع الزملاء :

— المسألة فى غاية الحساسية وأرجو ان توافقــوا على نظامنــا . .
— وهل تصادر الامكانيات خارج السجن لصالح كل الزملاء ؟
— أفضــل أن نرتفــع بمستوى المناقشــة .
— لكنك لم تجب على الســؤال ؟
— ما زلت أحترم ذكاءكم . . أنتم تفهمون ما أعنيه .
— أليس لكل انسان احتياجاته الخاصــة . ؟
— بالتأكيــد . . ولكن زيدونــى أيضاحــا .
— المريض الذى يحتاج الى طعام معين .

ـ يوفـره له نظامنـا سواء كان من ذوى الامكانيات أو من عديمهـا ·
ـ المدخن الذى يشرب ٤٠ سيجاره في اليوم مثلا ·
ـ ربما نجد ظروف لا يجد فيها سيجارة واحده ·
ـ وعندئذ تـكون المسـألة مفروضـه ·
ـ أليس من الأفضـل أن يكون الأمـر بارادتكم ؟

كان **مجدى فهمى وسعد باسيلى** يشاركانى فى هـذا الحوار ، تداولنا فى الأمر مـره أخرى واتفقنـا على نقل حوارنا معهـم الـى كـل الزمـلاء ، وهو يتضمن ادانـة لموقفهم ، فى ذات الوقت يتضمن اصرارا على نظامنـا للحيـاة العامـه والذى ارتضيناه ما يقـرب من **خمس سنوات** · فى ذات الوقت نقترح نظاما آخـر مرنا جوهره المصادرة ولكن مـع استثنـاء بعض الأشـياء والتنـازل عن ١٥٪ مـن قيمـة مـا يـرد اذا زادت القيمـة عن ٥ جنيهات ولمن يرغب · وكان من المسـتحيل أن نتجاهـل انانيـة من يملكـون الامكانيات والتى يمكن أن تدفعهم بعد تغليفهـا « **بموقـف مبـدئى** » الى تقليـل ما يقدمونه أو حتى الى الامتنـاع عـن تقـديم شىء بالمـرة · وعند مناقشـة هذا النظـام الجديد معهم وافقـوا بشرط ان تزيـد نسبه الاستثناء الى **٢٠ ٪** اذا زادت قيمة ما يـرد من امكانيـات عن ١٠ جنيهـات ولـم نعترض · فالذين تقـل قيمه امكانياتهم عـن ٥ جنيهـات لن يطالبـوا بنسبة لانهم مع المصـادرة الكاملة ، وأولئـك الذين تزيـد قيمه امكانياتهم عن ٥ جنيهات فهم الذين يصرون على حقهم فى جزء لهم ·

ومع أننا بذلنـا جهـودا مكثفـة لاقنـاع زملاءنـا القدامى للموافقـة علـى هذا النظـام الجديد ، ولكـى تـكون نظرتهم الى ذوى الامكانيات **واقعيـة** · فـان العلاقات الانسانية بينهم لـم ترتـق أبـدا الى مثل ما هـى عليـه بين الزملاء القدامـى ·

ربمـا طـال حديثى طويـلا عن الموقف من نظـام الحياة العامـة داخـل السجن ، وانما أردت بذلك أن أطـرح جانبـا من جوانـب السلوكيـات المصاحبة للمناضـل خاصـة داخل السجن حيث الهدف الأساسـى هـو خلق أرقـى علاقات انسانيـة بين الجميـع ، كضرورة للمقاومة الجماعيـة لكـل الظروف الصعبـة التـى يواجهونهـا فى السجن ·

لقـد حسبنا عندما حضر الينـا الزملاء من سجن القنـاطر الخيرية فـى أوائل عـام ١٩٥٧ اننا سنسمع الكثير عن تجربـة **تعاونهم** مع الحكومـة الوطنيـة ، وسنسمع أكثر عن دورهم فى **المقاومة الشعبية** فى بورسـعيد ، وأخيرا ، وليس آخرا ، عن سبب تفاؤلهم الشديد فـى **قضية الافراج** عنـا بعـد تأميم قنـاة السويس ، ثم بعد العدوان الثلاثـى ، ولكن بـدلا من كل هذا وجدناهم يستهلكـون وقتنـا فى قضيـة تتعلق بذواتهم فـى المقام الأول !

ذات مساء من ربيع عـام ١٩٥٧ ، وكنت مستلقيا على سريري الحسى في الخيمة ، وجدت نفسى أمـام شريط طويـل من ذكريـات الماضى البعيـد . **الأربعينات** . **وثمانية عشر شهرا وسبعة عشر يوما من الخمسينيات** . ما هى حصيلتها اليوم ؟ فجأة طفرت الدموع من عينى غزيرة . خرجت من الخيمة مسرعـا الى مكـان بعيـد وسط الصحراء ، ممر ١٤ برميـل سوره فى المكان ويكـاد يحيل ظـلام ليله الى نهـار لكن عينـاى لا تـراه ، ولا تحس الا بظـلام مستبد حـالك السـواد . هواء ربيـع الصحراء نقى ومنعش ، لكنى اكـاد **أختنق !** وآلام حـادة فى كل جسمى . تشتد انى عظامى وتكاد تحطمها ، دوار يلفنـى وصـداع يكاد يحطـم رأسـى . وأروح فى اغماءة . أصحو منها على صوت ودود ، وأرى **الدكتور رؤوف نظمى** وعلى وجهه ابتسامته الانسانية :

ـ نومة لذيذة فى الهواء المنعش ده .

ـ نومـة واغمـاءة ؟

ـ وانت برضـه من الصنف اللـى يغمى عليه ؟

ـ أبـه بقـى ؟ انسان ميكانيكـى ؟

ـ قدرتك على التحكم فى انفعالاتك كبيرة .

ـ وكل قدرة لهـا حـدود ..

ـ أثق فى انهـا لن تصل الى تلك الحدود .

ـ أرجـو ..

يقـول وابتسامته لا تفارقـه :

ـ تسمع حتـة الزجل دى ؟

ـ أنت عارف يا رؤوف .. أنا أحب اسمعك وأنفعـل بكلماتك .. لكـن حالتـى لا تسـمح .

ـ طيب ما نيجـى نروح عند الملك ؟

ـ لأ ، أفضل أن أجلس عنـا قليـلا ..

ـ لوحـدك .. لأ ..

ـ أرجـوك ..

ـ لا تنس أننى مشروع طبيب .

ويتركنى دقائق . ويذهب ذهنـى بعيـدا الى أواخـر الأربعينـات .

كان **رؤوف نظمى** واحـدا مـن المناضلين الذين على كسب ثقـة الجماهير ، بين طلبـة **كلية الطب** حيث كـان طالبـا ، وبين عمـال وأهالـى حـى بولاق حيث ولـد هنـاك . احترف العمل الثورى وهو فـى السنة النهائيـة ، ثم قبض عليـه وقـام خلال محاكمته بعمل **دفـاع سياسـى** يعترف فيه بعضويـة التنظيم الذى فصلـه ويدافـع عنسياسـته علـى الرغم من بعض تحفظاتـه عليهـا .

هـل كان من باب الصدفـة أن يدان رؤوف نظمى وعـدد آخـــر مـن الزملاء وكلهم من المعروفين بشعبيتهم **كأحمد الزقـم وعبد الخالق الشهاوى** · وغيرهم من الذين أدوا دورا هامـا فى الحركة الثورية مثل **داود عزيز ووليـم طانيوس** ؟ · وأن تصـدر هذه الادانـات والمعركة الوطنيـة فى عنفوانها ؟ مـا أخطر الذاتيـة حين تتمكن فى نفوس الذين يملكـون اتخاذ القـرار !

وأرى **رؤوف نظمى** قادما نحـوى ومعه **مجدى فهمى** ، وملك الصحراء ، ويدور حوار انسانـى أحكيه لك فى رسالتـى المقبلة يا حبيبتى ·

٢٨ يوليو ١٩٧٧

القاهـرة

الرسالة (٣٨)

حبيبتي

لماذا خرجت في تلك الليلة التي حدثتك عنها في رسالتي السابقة من خيمتي الى وسط الصحراء ؟ هل كانت الرغبة في وقفة مع النفس ؟ كلا . فالتقييم الذاتي هو جوهر الوقفة مع النفس . هل كانت محاولة لتقييم موضوعي للمسيرة منذ انتزعوني من موكبها ؟ كلا .لست أدري على وجه الدقة ما الذي كان يسيطر على كياني ويكاد يهده هكذا . ربما كان ميتا أقرب الى أحساس أم ذبحوا وليدها أمام عينيها . لقد شدني هذا الاحساس المؤلم والبالغ القسوة وأنا أرى طريق المستقبل المنظور حالك الظلام . بعد أن كان في بداية الخمسينات يبشر بمستقبل مشرق . ولكن لماذا تملكني هذا الاحساس بعد مجيء زملائنا من سجن القناطر الخيرية منذ شهور وفي تلك الليلة على وجه التحديد ؟ حقا كان لهذا الاحساس ارهاصات ، لكنها لم تجعلني يوما قبل ذلك اليوم المشهود أتشاءم في المستقبل المنظور وبمثل هذه النظرة شبه اليائسة . منذ القي القبض علي كانت لنا ملاحظات سياسية وفكرية وتنظيمية على عمل زملائنا في الخارج ، بعثنا بها اليهم ، ولم نلق منهم يوما ادنى اهتمام . كانوا من عليائهم يرسلون الينا بكم هائل من التقديرات والتحيات ، لمواقفنا البطولية في السجن ! ولصمودنا في وجه الارهاب ونجاحنا في المحافظة على وحدة الزملاء داخل السجن ! لكن دون اشارة واحدة الى ما نرسله لهم من نقد حول مواقفهم السياسية والفكرية والتنظيمية . وكنا نقابل كل هذا الكم من التقديرات والتحيات بفتور بلغ حد السخرية في بعض الاحيان ثم وصل الى حد الاستنكار حين وصلني قرارهم الذي ينص على التقدير الخاص بي ؛ ضمن قائمة قرارات الادانة لعدد من أخلص الزملاء ؟ وسجلنا استنكارنا هذا في شكل رفض لهذا « التقدير » وادانة الهدف منه ، في ذات الوقت اتخذنا قرارا كنا نملك حق اصداره برفع الاتهام عن الزملاء المدانين . ومع ذلك فقد ظلوا في « عليائهم » ولم تصل الينا كلمة واحدة منهم . حتى حين أوقفنا قرارا منهم « بالتحقيق » مع زملائنا « القدامى » والمسجونين منذ أكثر من خمس سنوات سكتوا ولم ينطقوا بحرف واحد . وكانت

النفسية التي تقف خلف التعبير هو موقفهم من نظـــام الحياة العامــة ٠ لقد ضاع كل شيء ولم تبـق ســوى قيمة الروح الجماعيـــة التي نجحت في تكديعهـــا عدد زملائنـــا القدامى ، فهـــل يريدون تدميرهـــا بعد أن **دمروا كل شيء في الخارج** ؟ ٠

ويستدعي من تأملاتـي صوت « **ملك الصحراء** » ٠

ــ ولا يهمك يا درش ٠

ــ ولا يهمنـي من أيـه يا ملك ؟

ويعلق **رؤوف نظمـــي** :

ــ طـول ما فينا نفس مش راح نسكت أبــدا ٠

ــ وايه اللي تقدر نعمله أنفاسنا الباقية ٠٠ في السجن ؟

ويسود الصمت لحظة ٠٠ يقطعه قــول **مجدى فهمى** :

ــ وقف التدهــور على الأقــل ٠

ــ أرجو أن لا نكون قــد وصلنا الى نقطة اللا عــودة !

ويبتســم مجدى فهمي ويقــول :

ــ لا دى الحكاية عاوزة فنجان قهوه من بن « **قشطة اليمن** » ٠٠ **أيـــه** رأيــك يا ملك ؟

ويصيح الملك .

ــ اجرى يا رؤوف جهز لنــا عــدة الشغل ٠ ٠

ويلتفت الى رؤوف نظمى ٠ ٠

ــ عاوز قهــوة « مثقفين » ولا قهوة « فلاحين » يا درش ؟

ــ ما كفايانــا مثقفين **يا رؤوف** ٠ ٠

وفى خيمة الملك أجد عددا من الزملاء الذين تربطنـــي بهم علاقــة أبويـــة ، مجموعة من الشباب لا يزيـد عمر أكبرهم عن ٢٣ عاما ٠ **نبيـــل حلمـــى** الطالب بالسنة النهائيــة بكلية الآداب ٠ جسمه النحيـــل يحمل امــراض الكبــد ، والكلى والاشتباه في الصفراء ٠ **مجــدى نجيب** ابتســامته الانسانية وتلقائيته التـــي تبشر بمولد فنــان كبير على يــد الملك ٠ **ماجــد حـــافظ** الطالب بالثقافــه العامــة « العمدة » الذى يسهر على راحتنـــا ٠ **مصطفـى حامـد** عامل الخراطــة الذى تعلم القراءة والكتابــة فى أقـــل من ثلاثـــة أشهر ٠ وكتب بتشجيع منى تحليلا سياسيا نشرناه فى النشرة الداخليـــة **ومحمد خليفــه** طالب الثانوية العامة الذى حــكم عليــه بالأشغال الشـــاقة **عشر سنوات معى** ٠ **وفايز مــراد** طالب الثانوية العامة بتكوينه الانســانى السوى المعطاء ، وابتسامته الذكية أحيانا ، والخبيثة أحيانا أخرى ، وسعيد عبد الوهاب الفنــان الموهوب ٠

ما ان دخلت خيمة « الملك » حتـــى احتوت كيانـــي المهـــدود كلمــات الزملاء « أبنائـــى » ٠

ماجــد حافظ « عمدة خيمتنـــا » يقول :

ـ انمد نفسك با زميل ٠
ـ لبه با عمده ؟
ـ جرادل الميه فاضيه ٠ ٠
ـ معاك حق ٠٠ نسبت ٠
ـ يعنى أيه نسيت ٠ ٠ افترح عقوبة على نفسك ٠
ـ أمنرح أنت با عمدة ٠
ـ العمدة لا يفترح ٠٠ وانما يقرر ٠
ـ فرر وسأنفذ فورا ٠
ـ خذ ٣ سجابر هوليود « لارج » ٠ ٠
وأضحك قائلا ٠ ٠
ـ على كده راح أنسى كل مرة ٠٠
ويقول متوعدا :
ـ لأ ٠٠ المرة الجاية بقى ٠ ٠ حاتشوف ٠
ويقول **مجدى نجيب** ٠ ٠
ـ انى اتهم ٠ ٠
ـ أيه يا مشروع فنان ٠
ـ تعطيل المشروع ٠
ـ ازاى ؟
ـ انت نسيت يا أستاذ ان موعدنا اليوم لرسم « بورتريه » لك ٠ ٠
ـ معاك حق يا مجدى ٠ ٠ متأسف ٠ ٠
ـ أقترح عقوبة لنفسك ٠ ٠
ـ ترسمنى مرتين ٠ ٠
ويضحك الجميع من قلوبهم ٠ ٠
ويقول **مصطفى حامد** :
ـ كله كوم ٠ ٠وحسابى معاك كوم لوحده ٠
ـ كان موعدى معك ٠٠ لمراجعة مقالى للنشرة ٠
ـ وده معناه أيه عند الثوريين ٠ ٠
ـ تخريب الثورة طبعا ٠ ٠
ـ اقترح عقوبة لنفسك ٠ ٠
والتفت الى الملك ضاحكا ٠ ٠
ـ اقترح انت يا ولمم ٠ ٠
ويقول وليم ضاحكا :
ـ الشنق طبعا ٠ ٠
ويضج الزملاء بالضحك ٠ والتفت الى **رؤوف نظمى** قائلا :
ـ احدث طريقة للعلاج يا رؤوف ٠

وبقول بـود وحب :

ـ أولادك وأحبابك . . عاوزينك !

وأحس بكياني المهدود وقد تبددت كل آلامه ، وصوت من داخلي يصرخ بأعلى صوت **الحقيقة مؤلمة** ، نعم ، لكن مسئوليتك تضاعفت **عشرات المرات !**

ويناولني الملك فنجان القهوة . .

ـ فنجان قهوه « قشطة اليمن » بعدل المخ . .

وأقول ضاحكا .

ـ ما دام قهوة « فلاحين » يبقى راح يعدل المخ . .

ـ همه دول يا درش ممبش غيرهم .

ويحتج **مصطفى حامد :**

ـ والعمال راحوا فين ؟

ـ يا سيدى العمال . . **قيادة .**

ـ للسلطة والا من خارجها ؟

ـ ما خلاص اتعدلت . .

يضج الجميع بالضحك وهم يتناولون قهوة « قشطة اليمن » التى تبرع بها الملك على شرف « درش » ويهمس **مجدى فهمى فى أذنى :**

ـ أول مرة تخرق اتفاقنا . .

ـ كنت فى حالة سيئة جدا .

ـ هذا أدعى . .

ـ معك حق . .

ـ اذن لنا قعدة .

الهدوء يعود الى نفسى المضطربة وأنام الساعات الباقية من ليلة ذلك اليوم . وفى مساء اليوم التالى التقى مع **مجدى فهمى** فى احدى « قعداتنا » التاريخية :

أسأله :

ـ هل كان موقفا بائسا . .

ـ بل كان خطوة نحوه .

ـ ولكنى انسان .

ـ حقيقة وموقفك دليل جديد يؤكدها .

ـ وأن تكرر ؟

ـ تصبح مهزلة .

ـ وتكتمل المأساة .

ـ لا يزال فى نفسك ما يسمح بتكرار الموقف .

ـ وكيف يزول نهائيا ؟

ـ **أن تكون أنت ؟**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- كان فى الخارج بريق من أمـل ٠
- ليكن الأمـل هنـــا ٠
- نبـدأ من الصفر مـره أخـرى ٠
- وهل نملك غير ذلك ؟

كنـــا نتحدث ونحن نسير فى الصحراء ، وعيــون الزملاء من بعـــد ترقب ، ما كادت تراناـــا متعانقين ، بعكس نـور القمر ظلنـــا ، جســـما واحـد ، يخـــرج علينـــا سعيد عبد الوهـــاب ، لا نـدرى من أيـن وهو يصيح ٠ ٠

- اثبتوا ٠٠ خليكو زى ما انتــو ٠ ٠
- أيــه يا فنـــان الجيل الصاعـــد ؟
- حتـــة دين منظـر ٠٠ مدهش ٠
- راح ترســمه يا سعيد ؟
- أتأمله ! الفن تأمـــل يا أستاذ ٠
- دا الحب يا ســـعيد ٠
- وهـــوه الحب مش فن يا أســـتاذ ؟

الحب بجميـــع أنـــواعـــه هو علاقـــة انسانيـــة جوهرهـــا الصـــدق ٠ الصدق مع الذات ، والصدق مع من نحب ، حبيبـــا كان ، أم زميـــلا ، أو واحدا من ذوى القربـــى ٠

وهذا الحب « الانسانـــى » ليس غايـــة فى ذاتـــه ٠ أنـــه غايـــة وفى نفس الوقت وسيلة الى غايـــة اسمى ، هى حب الوطـــن بكل ما يفرضـــه هـــذا الحب من التزام ومسئولية ، واســـتعداد لبذل الحيـــاة ذاتهـــا من أجلـه ٠

والتفت الى مجدى فهمى قائـــلا :

- مجدى ٠٠ انت دائما تصيب كبـد الحقيقـة ٠ ٠
- ليس دائما والا أصابنى الغرور !

ويستطرد ضاحـــكا :

- ما هـــى آخـر حقيقة أصبت كبدهـــا ؟
- قولك ان الأمـل من هنـــا ٠
- فعـــلا لـم يعد الا من هنـــا ٠

ومنذ ذلك التاريخ نفضنا كل الأوهام عن كاهلنـــا ، لنبـــدأ مـن جديـد٠ من السجن ؛ وبالزملاء الذين اثبتوا خـــلال نضالهم خـــارج السجن وداخله ، انهم قادرون على مواصلة المسيرة ٠

كيف بدأنـــا ؟ وما الذى أنجزنـــاه منذ منتصف عـــام ١٩٥٧ حتـــى انتقلنـــا من سجن « جنـــاح » بالواحات الخارجة الى سجن « المحاريق » بنفس الواحات فى أغسطس عـــام ١٩٥٨ ؟

هذا ما سوف أحدثك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـــى ٠

٣٠ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة (٣٩)

حبيبتى

كان علينا بعد **منتصف عام ١٩٥٧** بعد اهتزاز الثقة بزملائنا فى الخارج ، أن نستمد أملنا فى مواصلة المسيرة من زملائنا فى السجن بعد خروجنا • كان قرارنا : من السجن نبدأ من جديد • هذا على الرغم من الأخبار التى وصلتنا عن مباحثات الوحدة بين التنظيمات الثلاثة وقرب وصولها الى تنظيم واحد « شامخ » ! ولقد كان شعار الوحدة جذابا للغالبية العظمى من قواعد وقيادات التنظيمات الشيوعية فى مصر • وكان موقف المسجونين من الوحدة يتجسد فى وحدتهم الطبيعية فى مواجهة ظروف السجن وانعكاس هذه الظروف على أفكارهم السياسية والايديولوجية والتنظيمية • لذلك رحبنا بأخبار مفاوضات الوحدة • وان كان هناك سؤال يجول فى أعماقنا : لماذا اندفعت القيادات التى عاشت سنوات طويلة منقسمة على بعضها ، وتحكم كل منها على الآخر بالانحراف ، والانتهازية ، بل والخيانة ، الى **الوحدة** ، وبهذه **السرعة الجنونية** ؟ وهل تنبع هذه الوحدة من ايمان حقيقى بضرورة انهاء **الانقسام الطويل** ، أم أنها محاولة بائسة لقيادات تشعر **باهتزاز** ثقة قواعدها بها ، وتحاول استرداد هذه الثقة ؟

وكان علينا أن نجيب على السؤال الكبير •

كيف نعد انفسنا ، ونعد الزملاء لمواصلة المسيرة بعد خروجنا من السجن على أسس نظرية وسياسية أكثر وضوحا ؟ وكانت الاجابة هى : دعوة كل الزملاء الى تقييم كل المواقف الفكرية والسياسية لزملائنا فى الخارج منذ **٢٣ يوليو ١٩٥٢** بهدف الخروج **بدروس مستخلصة** • وفى وجه معارضة شرسة واتهامات عديدة لنا من بعض الذين حضروا الينا فى **عام ١٩٥٧** ، قررنا تخصيص النشرة الداخلية لمناقشة موضوعات أذكر منها : الموقف من ثورة **٢٣ يوليو عند قيامها** • الموقف من أزمة **مارس ١٩٥٤** • الموقف خلال **العدوان الثلاثى** • مفهوم الوحدة الوطنية وعلاقته بقضية الديموقراطية والحريات السياسية ، **كذلك مناقشة أهم** الموضوعات النظرية التى تضمنتها بعض التقديرات الأساسية التى كتبها زملاؤنا فى الخارج وأهمها : « **حزب السلطة** » • و « **الوحدة مع الانتهازية تغليب لها** » و « **قرارات ديسمبر ١٩٥٦** » •

وخلال **أشهر** قليلة صدر من النشرة الداخلية « الوعى » **عشرون عددا** احتوت على الرأى الرسمى وكان الذين يدافعون عنه يدافعون فى الواقع عن ذواتهم ، وعلى الرأى المعارض ، وقد جاء بآراء جديدة . وأخرى كانت **مرفوضة رسميا** فى وقتها على الرغم من صحتها . وفضلا عن أن هذه الاعداد من النشرة ، كان لها قيمتها السياسيه والفكرية ، فانها قد أكدت حقيقة ان **اطلاق حرية** كل الزملاء فى المناقشة ترفع من وعيهم ، وتؤكد ذاتهم ، وتزيدهم ثقة بأنفسهم . ولقد كانت هذه التجربة التى لم تحدث فى تاريخ التنظيمات الثورية فى مصر أو خارج مصر **مؤشرا** لمفهوم جديد بدأت صياغاته الأولى منذ ذلك الحين عن **الديموقراطية داخل التنظيم** ، ربما استطيع أن أكتب عنه فى وقت آخر فليس موضعه هنا .

لكن ما أود قوله هنا ، هو أن هذه التجربة الفريدة رغم أنها كانت منافية للتقاليد التنظيمية المعروفة ، فانها قد أجابت على العديد من الاسئلة المطروحه وقتئذ . كيف يثق الزملاء بقدرتهم على مواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن بعد أن نفضوا عن كاهلهم التعلق بأوهام نشاط زملائهم فى الخارج ؟

كيف يحتفظون بطهارتهم الثورية ونقائهم الفكرى بعد اتمام الوحدة بين التنظيمات الثلاث وما سوف يواجهونه من ارهاب فكرى تحت ستار « **المحافظة على الوحدة** » ؟

كيف يمكن أن يفهموا عددا من الحقائق ويستخلصوا منها تجربة جديدة لمواصلة نشاطهم بعد الخروج من السجن . حقيقة سكنية الوحدة ، وحقيقة سقوط القيادات التقليدية ، وحقيقة أنه لا أمل الا فى الجديد الذى يقوم على أكتافهم ، وحقيقة أن قضية الافراج عنا قد تراجعت الى الخلف ، وأصبح الأمل هو فى الخروج من السجن بعد **انتهاء مدة العقوبة ؟**

كيف يمكن أن يصمد الزملاء فى وجه « ظروف السجن الصعبة » محافظين على شرف التزامهم بالفكرة رغم هذا الواقع المؤلم ، داخل السجن وخارجه ؟

لقد خلقت تلك التجربة الفريدة نواة صلبة . تملك وضوحا سياسيا وفكريا « كان سلاحها فى القتال ضد اليمين وضد اليسار داخل تنظيم الوحدة الجديد » وكان سلاحها الذى قاتلت به دفاعا عن شرفها والتزامها .

وشهدت الشهور السابقة على نقلنا الى **سجن « المحاريق »** بالواحات **الخارجة فى أغسطس عام ١٩٥٨ أحداثا** « عامة واخبارا مثيرة » ! . من بين هذه الأحداث « الهامة » شهدت **تعثر** مفاوضات الوحدة بين **التنظيمات الثلاثة** واعلانها بين تنظيمين . فأقمنا احتفالات « بهيجة » لمناسبة

هذا الحدث « **السعيد** » . ثم شهدت اعلان الوحدة بين التنظيم الواحد الجديد وبين **التنظيم الثالث** ـ واقمنا احتفالات « **مهيبة** » لمناسبة هذا الحدث « **التاريخى** » . ثم شهدت انقساما ـ بعد أقل من أربعة أشهر من « **التنظيم الكبير** » ! وكان المنقسمون هم الذين اتحدوا معهم منذ أشهر عبر أن الانقسام والوحدة ، ثم الانقسام مرة أخرى لم يؤثر على علاقة **المسجونين القدامى** التى دعمتها الخبرة المشتركة خلال سنوات السجن . ولقد ساعدت هذه العلاقة القوية على تنظيم مقاومتنا لما ينتظرنا فى سجن « **المحاريق** » **الجديد** . فبعد اعلان « **الوحدة الثلاثية** » حمل الينا زملاء القى القبض عليهم فى أوائل عام **١٩٥٨** حوكموا ونقلوا الينا فى « **جناح** » أخبار بناء **سجن جديد** « **مخصوص** » **لنا فى المحاريق بالواحات الخارجة** . ما الذى ينتظرنا فى السجن الجديد ؟

ويضحك **حليم طوسون** قائلا :

ـ اللى أكلناه وز . وز . راح يطلع علينا بط . **بط** .

كان نقلنا من ليمان طره ـ بعد **الاضراب العام** الذى دخله كل **المسجونين فى الليمان** ـ الى سجن هو أقرب الى معسكر ، اجراء سريعا لعزلنا عن المسجونين هناك ، وحتى يتم بناء **سجن** « **المحاريق** » **فى قلب الصحراء** .

هل يطبق علينا نظام السجون التقليدى ، فى سجن مثل هذا فى قلب الصحراء ؟

ويهمس الينا أحد الضباط الأصدقاء . .

ـ سينتقمون للسنوات التى أخذتم فيها **حريتكم** هنا فى « جناح » . .

ـ وهل يملكون أكثر من النظم التقليدية للسجون العادية ؟ .

ـ لقد أعدوا لكم **نظاما خاصا** .

ونبدأ فى اعداد أنفسنا للحياة فى **سجن** « **مغلق** » **فى قلب الصحراء** . لم يدر بخلدنا يوما أننا سننتقل الى سجن له « زنزانات » مرة أخرى فى قلب الصحراء . حسبنا أنهم قد القوا بنا هنا الى ما لا نهاية . لكنهم كانوا يتلمظون غيظا ، فكيف **نكون مسجونين ونعيش كالبشر** ؟ كانوا يريدون « بسجننا » أن نمتنع عن تعاطى « الثقافة والفكر » فاذا بنا ننهل منهما لنغذى عقولنا وأرواحنا ؟ كيف يغمض لهم جفن ، أو يهدأ لهم بال ، ونحن هنا ، فى **الصحراء** التى ارادوها قبرا لنا نغنى ونرقص ، ونقيم الاحتفالات ، ونعرض المسرحيات ؟

كم بقى أمامنا من وقت كى نعد أنفسنا للظروف الجديدة فى **السجن الجديد** ؟ ويأتى الينا الخبر « من منبعه الأصلى » من مكتب

قائـد **السجن الحربـي** • ! ويحمله الينـا الزميـل **محمد مختـار جمعـه** الذى وصل الينـا حديثا ، فى أبريـل ١٩٥٨ ، بعد اعـلان الوحـدة « الشامخة » ! بما لا يزيـد عن ثلاثة شـهور • كان **مختـار جمعـه** مجنـدا فى الجيش حين القوا القبض عليه • عذبته **المخابرات العـامة** ، « **نفختـه** » و « **جلدتـه** » وحرقت **ظهـره بالحديد المحمى** « **وخلعت أظافـره** » ، **ووضعـوه عاريا فى الماء المغلى** ، كى يعترف على واحد من زملائه ولكن دون جـدوى • كان بطـلا ، فاقت بطولتـه **الأسـطورة** • وحين ضاقوا ذرعـا ببطولته وهم الجبنـاء رغم كـل ما يملكـون من حديد ونـار قرروا ارسـاله الى سـجن « جناح » **بالواحات الخارجـة** • وفى مكتب **قائـد السجن الحربـي** قبـل ترحيله بساعات سمع **محمد مختـار نقاشـا بين قائـد السجن وبين أحـد ضباط المخابرات** :

ـ مش كان أحسن نرميـه هنـا ؟

ـ مفيش فايـده • • لن يتكـلم •

ـ راح يا خذ حريتـه فـى « جنـاح » • •

ـ كلها كام شهر ويروحوا كلهم « المحاريق » •

وتأتى الينـا أخبار أخرى تؤكـد ان سجن « **المحاريق** » **على** « **التشطيب** » وأن بعثـة من **ضباط المباحث العامة** ، **والسجون والمخابرات** ، قامت بزيارته للاشراف على التشطيبات النهائيـة ، ووضـع نظام لحياتنـا هنـاك • وقررنا أن ندخل فى سباق مع الزمن حتى لا نفاجأ بنقلتنـا الى **المجهـول** الذى لـم نستعد لـه •

المعرفـة هى زادنـا الذى لا يمكن أن نعيش لحظـة بدونـه وتحت أى ظـرف من الظروف مهما بلغت قسوته • هذه الكتب والتقارير والبحـوث **والمجلات** سـوف يلقـون بهـا الى أفـواه النيران لتلتهمها • ولكـن متـى استطاع اعـداء المعرفـة الانسانية ، بكل ما يملكـون من أدوات البطش والارهـاب ، وعلـى مـر العصور ، أن يحجبوا **المعرفـة** عن طلابهـا ! وكان أول قرار نتخـذه هو اعـادة نسـخ كل ما نملكـه من كتب وبحـوث على ورق [illegible] « **بفـرة** » و[illegible] [illegible]ـة لشراء كميات منه ، بسرعة من بلدة « جناح » التى تشرب أهلها [illegible] [illegible]الف » ، وتكليف أهالينا بشراء أكبر كميـة منه من القاهـرة • وخلال أقل من شهرين تم نسـخ عدد كبير من الكتب الهامة ، وكـل التقارير والبحوث التـى نملكهـا علـى ورق « البفـرة » بخط رفيـع جـدا وغايـة فى الوضوح ، نسـتطيع قرائتـه دون جهـد كبير •

كان حماس الزملاء وهم يقومون باعـادة نسـخ ما فـى هذه الكتـب **والتقارير** مـن معرفـة على ورق « **البفـرة** » يفـوق التصـور • كانـوا حريصين عليها حرصـهم على **حياتهم** • وهل يمكن ان تـكون لحياتهم معنى

بدون **الثقافة والفكر** ؟ **الثائر لا يموت** ، اذا قتل أو مات ، انه يموت فقط عندما يحجبون عنه **المعرفة** • وأبدا لن نستسلم ، لن يقتلوا ما فى داخلنا من حب وصدق وشرف وانسانية نغترفها من معين المعرفة الانسانية الذى لا ينضب أبدا •

كانت عملية النسخ تجرى بسرعة لتسبق الزمن • مجموعات الزملاء **تعمل ٢٤ ساعة** فى اليوم ، هذا يقرأ وآخر يكتب وثالث يراجع • مسئول « الحياة العامة » يدور على المجموعات المختلفة ، يوزع عليهم السجائر ، يرفضون حينا ويطلبون بدلا منها ورق « بفرة » وحينا آخر يقبلون حتى تعينهم على السهر طول الليل • لم نكن فى حاجة الى جلسات توعية كتلك التى عقدناها قبل نقلنا **من ليمان طره الى « جناح »** • ان حماس الزملاء وأقبالهم على اعادة « نسخ » ما لدينا من فكر وثقافة تجسد لما يدور فى نفوسهم ، أنه أقوى من أى كلام يمكن أن يقال فى مثل هذه الظروف ، ما الذى يمكن أن يقال لزملاء أعدوا أنفسهم لمواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن وهم لا يملكون شيئا سوى ارادتهم ، وتحديهم لواقع مؤلم وصعب داخل السجن وخارجه ؟ كان دأبهم على هذا العمل المضنى ، كما كانت تعليقاتهم الممزوجة بالسخرية ، تجسيدا لاصرارهم على **رفض الهزيمة** •

وفى غمرة هذا النشاط الكبير الذى يستعد للحياة الجديدة ، المعروفة والمجهولة فى **سجن « المحاريق »** تأتينا أنباء انتصار **ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ فى العراق** من راديو القاهرة • ونظل طول الليل نسمع تعليقات الاذاعات العالمية ، واعلان القاهرة بوقوفها الى جانب الثورة ضد أى تدخل اجنبى ، يبعثه **جمال عبدالناصر** من عرض البحر خلال عودته من **موسكو** • ونلمح بين بعض الزملاء تفاؤلا بافراج قريب ، ونقرأ بيانا يصدره أقطاب « التنظيم الواحد » الثلاثة ويوقعون عليه بأسمائهم !

ونتساءل بسخرية :

- ليه كده ؟
- وأيه المناسبة ؟
- ليجدوا مكانا تحت الشمس •
- ولن يجدوه كما يتوقعون •
- ربما كان وراء الشمس •
- لم يتعلموا بعد • •
- سيلدغون مرة أخرى •
- آه لو كانوا مؤمنين •
- ومن أين يأتيهم الايمان ؟
- ذواتهم فوق كل أعتبار • •

ـ اليـوم يمين ٠ ٠
ـ وغـدا يســـار ٠
ـ كلـه ماشـــى ٠
ـ وحسب الطلب ٠

ومرة أخرى يأتينا من زملائنـا فى الخارج ما يهـدد معنويات زملائنـا فى السجن ٠ **الافراج** أقرب ممـا تتصورون ، اعـدوا قائمة بأسماء عـدد كبير من **الاخوان المؤيدين** ٠

ونـرى تكاســلا فى عمليـة نسـخ الكتب والتقارير ، وتتضـاعف مسئوليتنا ٠ ولا نجـد سـوى الحوار معهم حبنـا ، والسخرية بمـا يقولـه الزملاء فى الخارج عن الافراج القريب حينـا آخـر ٠ وتجرى الاحــداث بسرعة مذهلة نداء شـــهر « **العسل** » الذى حسب زملاؤنـا أنه آت لا ريب فيـه يرفضه الطرف الآخر ، وتلوح بوادر شهر « **البصل** » ٠ ونتوالى التعليقـات السـاخرة :

ـ همه كانوا عاوزين عسل أبيض ولا أسود ؟
ـ مش مهـــم ٠ ٠
ـ مش مهم ازاى ٠٠ الأبيض غير الأســـود ٠
ـ لـه بقى ؟ الأبيض حلـو ٠٠ والأسود حلـو ٠
ـ برضـه الطعم مختـــلف ٠ ٠
ـ المهـــم ما يكونش مـــر ٠
ـ وهـل يميزون ؟
ـ انهم لا يبصرون ٠
ـ ربمـــا يحســـون ؟
ـ ذواتهم قتلت مصادر أحاسيسهم ٠

ويعود الزملاء الى حياتهم الســابقة فيواصلون عمليـــة نسـخ الكتب التى سنأخذهـا معنـا الى **سجن** « **المحاريق** » وينجزون كل ما كلفوا بـه ويجرى عمل **مخابىء لها** حتى لا تقع عند وصولنا الى سـجن « **المحاريق** » ٠ وفى المسـاء نلمح سيارة المأمور تقف على باب السجن الخارجـى فى وقت لم نعتـده من قبل ٠ ينزل من سيارته ونـراه متجهـا الى حيث يسـكن الاخوان المؤيدين ٠ بعـد مرور بعض الوقت يزف البنـا البكباشى **فؤاد جاسر** خبر **الافـراج** الصحـى **عن ١٠٠ من** الاخوان المؤيدين ٠ جاءنـا الرجل سـعيدا ليس لانـه سيخرج من السجن فقط ، وانما لأنه يـرى ٠ ٠

ـ ده مقدمة**للافـراج** عنكـم ٠ ٠
ـ مش بالضرورة ٠

ويقـول بدهشـــة ٠

ـ **ازاى بقى ٠٠ وانتو اللى خليتونـا نؤيـد الحكومة ؟**
ـ ولـــو ٠ ٠

ونتضاعف دهشته ٠٠

ــ مش ممكن ٠٠ ده شيء غير منطقى ٠

ــ المهم ٠٠ ألف مبروك ٠

ــ سأسحب تأييدى للحكومة اذا لم تفرج عنكم ٠

ــ يسجنوك معانا ٠٠

ــ زى بعضه ٠٠

ــ موقف مثالى ٠

ــ بل أبسط أنواع الوفاء ٠٠

ــ أى وطنى خارج السجن ٠٠ مكسب للمعركة ٠

ــ سأمتنع عن العمل السياسى ٠

ــ خطأ كبير ٠٠

ــ خير من التعاون مع من **يسجنون** أخلص الوطنيين ٠

ــ تغلب عواطفك !

ــ وهل من العقل أن تسجنوا ؟

ــ عقل الحكام ٠

ــ وهل تختلف عن عقولكم ؟

ــ اختلاف كبير ٠

ــ وما مصدره ؟

ــ الموقف الاجتماعى ٠

ــ لكن المعركة ما تزال وطنية ٠

ــ يحسبون أنهم قادرون على كسبها وحدهم ٠

ــ ولماذا وحدهم فقط ؟

ــ لضمان موقفهم الاجتماعى ٠

ــ ربما لا يفرج عنكم أبدا ٠

ــ الا اذا اضطروا الى ذلك ٠

ــ وما الذى يضطرهم ؟

ــ ظروف المعركة التى يمكن أن تفرض الوحدة الوطنية ٠

ــ فهمت ٠٠

ــ وماذا بعد أن فهمت ؟

ــ سأكون من أقوى المطالبين **بالوحدة الوطنية** ٠

وفى ساعة متأخرة من الليل يقيم الزملاء احتفالا يدعون اليه الاخوان المسلمين المفرج عنهم ، لكن لا يحضر سوى عدد قليل منهم **البكباشى فؤاد جاسر** ، **والصاغ جمال ربيع** ، **والصاغ حسن حموده** ، **وسيد الريس** ٠ وفى نهاية الاحتفال يلقى **البكباشى فؤاد جاسر** كلمة انسانية تتضمن

كل المعانـــى التى دارت فى حوارى معه · وفى البــوم التالـــى يشـــهد سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجة** مشاهد انسانية ، قـل أن بحـــدث مثلهـــا · أحكى لك عنـها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـــى ·

أول أغسطس ١٩٧٧
القاهـــرة

الرسالة (٤٠)

حبيبتــــى

وشــهد يوم الافراج عن المسجونين من **الاخوان المسلمين المؤيدين للحكومة الوطنية مواقف** انسانيــه عميقــة أكــدت الجوهــر الطيب للانســان • كانت قائمة أســماء المفرج عنهم فى مســاء اليوم السابق تشــمل كل ضبـــاط الجيش وعددا من المدنيين ، ولــم تتضمن أسماء اخــرين مــن الاخـــوان المؤيدين • وظلت هذه المســألة محل تســاؤل من الاخوان المؤيدين الذيــن شملتهم القائمه والذين لــم ترد اسماؤهم فيــهــا • مخاوف كبيــرة كـــانت تنتاب الباقين من المؤيدين ، ليس فقط لعــدم الافراج عنهم ، ولكن بســبب مــا ســوف يلاقونــه فى السجن بعد خروج قياداتهم • فلقــد كان الوضــع بين الاخوان المؤيدين والاخوان المعارضين قــد بلغ درجــة كبيـــرة من الســــوء • ولقــد بلغت هذه المخاوف حــدا جعلت الاخــوان المفــرج عنهــم يفكرون فى البقــــاء الى جوار زملائهم حتى يفرج عنهم هــم الآخرين •

وأشهد حوارا بين بعض الاخوان المسلمين المؤيدين والمفرج عنهم وبين مأمـــور الســــجن :

ـ هل تقبل **استضافتنا** عنــدك كام يــوم ؟

وتبدو علامات الدهشــة على وجــه المأمور •

ـ استضافتكم ! أين ؟

ـ هنــا فى **الســـجن** •

وتزداد دهشــة المأمـــور •

ـ هل أكذب أذنــى ؟

ـ لا تكذبهــــا • •

ـ تريدون البقــاء فى السجن !

ـ أيـــوه •

ـوليه ؟ مش راح تلاقوا تاكلوا بــره ؟

ـ مش دى المشــــكلة •

ـ وهــل توجــد مشــكلة ؟

ـ أيــوه •• اخواننا الذين لــم يفــرج **عنهم بعــد** •

ـ ستحل قريبــا جدا •

ـ ننتظر فى السجن حتى تحــل •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبصيح المأمور :

ـ جـــد والا هــزار ؟

ـ منتهــى الجــد ٠

ـ دى بيبقــى مسئوليــه على ٠

ـ ليه بقى ٠٠ نحن نريــد أن **نسجن** بارادتنــا ٠

ـ لا تملكــون ذلك ٠

ـ لا نملك أن نسجن أنفســـنا ؟

ـ ولا تملكــون الخروج من السجن بارادتكم ٠

ـ اذن سنعس هنــا على أبواب السجن ٠

ـ ولا تملكــون هذا أيضــا ٠

ـ لماذا ؟ ألــم يفــرج عنــا **؟**

ـ بعــد أن اسلمكم فى القاهرة ٠ ٠ **افعلوا ما شــئتم ٠**

ـ نحن عهـــدة ؟

ـ تمــــام ٠

ـ اذن لن نخرج من باب السجن ٠

ـ سأكون مضطرا لاستخدام القــوة ٠

ويتوتر الموقف لحظة ٠٠ ويقول المأمور مبتسما ٠ ٠

ـ **السجن بالقوة ٠ ٠ والافراج بالقوة** ٠ ٠ أيــه رأيكم ؟

ـ هل يمكن الاتصال بالقاهــرة ؟

ـ للحصول على اذن باستضافتكم ؟ أمــر غريب ٠

ويضحك واحــد من الأخوان :

ـ وما وجه الغــرابة ٠٠ ناس عاوزه تنسجن فيها أيه دى ؟

ـ فيها كسر ٠ ٠ **قرار جمهورى** ٠

ـ وهــل الحصول عليه صــعب ؟

ـ جـــدا ٠ ٠

ـ كان ســهلا قبــل ذلك !

ـ أنا لا أفهم فى السياســـة ٠

ويضج الجميع بالضحك ، بينمــا يـــدق جــرس التليفـــون ٠ يضــع المأمور السماعه ويقول مبتســما ٠

ـ وصــل القرار الجمهورى ٠

ـ باعــادة ســجننا ؟

ـ **بالافراج عنكم جميعـــا** ٠

يتعانقون ويتبادلون التهانــى ويعودون الى خيامهم يعلنــون الخبـــر ويستعدون للعودة الى الحريــة ٠

يهمس **فؤاد جاسر** فى أذنــى :

ـ ربع ساعة وأكون عندك ٠

ويهمس **جمال ربيع** :

ـ فين ملك الصحراء ٠٠ أنا عاوزه ٠

ـ أظن فى خيمته ٠

ينادى على **فؤاد جاسر** ، واخرج له من الخيمة ونجلس تحت ظل **شجر النروع** الذى زرعناه حول كل الخيام ٠ تخرج منه كلمات خجولة :

ـ الحاجات دى بقى مش لازمانى ٠ حاجة بسيطة كده ٠

ـ شكرا يا أستاذ فؤاد ٠ ٠

ـ والكام مرس دول ٠٠ يعنى برضه ٠

ـ ستحتاج الى نقود ٠

ـ لا ٠٠ عندى فى البنك ٠

ـ قصدى ٠٠ ربما تحتاج ركوب تاكسى مثلا ٠

ـ عامل حسابى ـ معايا **ثلاثة جنيه** ٠

وبينما أنا أنادى على مسئول الحياة العامة لأسلمه هذه الخيرات من علب الطعام المحفوظة والسكر والشاى والحلاوة الطحينية والسجاير ، فضلا عن **عشرين جنيها** ، أسمع صوت **ملك الصحراء** ٠ ٠

ـ انت فين يا أستاذ فؤاد ٠٠ أنا دايخ عليك ؟

ـ أنا أهو يا ملك الصحراء ٠ ٠ كان لازم أمر عليك ٠

ـ فاضى لمدة ساعة ٠ ٠

ـ ثلاث ساعات يا ملك ٠ ٠ انت عارف ٠

ـ طيب بينا على « الاتليية » ٠٠ معانا يا درش ٠

ـ نقعد هنا ٠٠ فى الضلة دى ٠

ـ لا فى الاتيلية ٠٠ عاوز أرسمك ٠ ٠

ـ حتبقى يا وليم ؟

وينهض ليعانقه فى حب وأخوة ٠٠ وفى خيمة وليم نجد كل شىء **معدا للرسم** ، يجلس **فؤاد جاسر** على كرسى ويبدأ **ملك الصحراء** يضع خطوطه الأولى ٠ يقول فؤاد ضاحكا ٠ ٠

ـ طيب ما أنا رايح لهم بنفسى يا ملك ٠ ٠

ـ وماله ٠٠ أصل وصورة ٠

ـ وطبعا الصورة أحسن ٠

ـ المقارنة بين صورة وأخرى ٠٠ وليس بين الأصل والصورة ٠

ـ وما هى مقاييس المقارنة ؟

ـ قدرة الفنان على ان يقول ما يحس به ٠ ٠

ـ وهل تختلف بين فنان وآخر ؟

ــ طبعا ٠٠ ما آراه انا قـد لا يراه غيرى ٠٠؟

ــ مثـــلا ٠٠

ــ فنان يغوص فى الأعماق الانسانية ٠٠ وآخـر يستهوية الشـكل الخارجـى ٠

ويضحك فؤاد ويقـول :

ــ وطبعـا انا شكلى الخارجى ٠٠ الحمد لله ٠٠

ــ شكلك الخارجى يجسـد ما فـى داخلك ٠٠

ويضـج بالضحـك ٠٠

ــ يا ساتر ٠٠ حرام علىك يا ملك ٠ أنا بأشوف نفسى فى المرايـة ٠٠

ــ لما تشوف الصورة راح تغير رأيـك ٠

ويدخل الصاغ **جمال ربيـع** تسبقه رائحـة « البارفان » النفاذة ، وبرتدى البدلة « **الملكـى** » ، آخـر أناقـة ، يحيينـا ويقـول موجهـا حديثـة الى **فؤاد جاسر** :

ــ مش كان احسن تلبس البدلة يا فؤاد ٠٠؟

ويرد الملك :

ــ مـا كنتش راح أرسـمه ٠

ــ يعنى مش راح ترسمنـى **يا ملك** ٠

ــ ما أنا رسمتك ثلاث صـور ٠

ــ كانت بهـدوم **السجن** ٠

ويقول وليـم ضاحـكا :

ــ واحـدة منهم **بالروب** ٠

ــ كانت هايـلة ٠٠

ــ أبـدا ٠٠ كانت وحشـة ٠٠ **أوحش صورة رسمتها** ؟

ويضحـك جمـال ٠٠

ــ كل ده بسبب الروب ٠٠

ــ أنا ما أحبش الأرواب والا البدل « الملكـى » !

ــ البس بدلـة « جمهورى » !

ــ ما انت خلعتهـا خلاص ٠٠

ويضج الجميع بالضحك ٠ ويقـول **جمال ربيـع** :

ــ وحياتك يا ملك ٠٠ صورة كده سريعه ٠

ــ فوتوماتـون ؟ ٠٠

ــ حتى ولـو بالقلم الرصاص ٠٠

ــ بشرط ٠٠ الوجه بس ٠

ونضج بالضحك مـرة أخـرى ، وتتوالى التعليقـات ؟

ــ يا خسارة القيافـة دى كلهـا ٠

ـ طب ياقـة انجاكتـة وعقـدة الكرافتـة ٠

ـ **لو بالألوان كان ممكن ٠**

ـ الظـل والنـور يغنى عن اللون ٠

ـ المهم تبقـى الصورة مختلفـة ٠

ـ وأيـه وجه الاختـلاف ؟

ـ صورة مسجون ٠ ٠ وصورة مفرج عنـه ٠

ـ تعبيرات الوجـه ٠

ويتدخل ملك الصحراء قائـلا ٠ ٠

ـ اذا كان كـده مس راح أرسـم ٠

وينزعج **جمال ربيـع** ٠ ويقـول .

ـ ليـه يا ملك ؟

ـ مش شـايف أى فـرق ٠

ـ ازاى بقـى ؟ دى مسألة مهمة قـوى ٠ ٠

ـ تبقى تنتظر كام يـوم لغاية ما أشوف الفرق ٠

ـ يا ملك بلاش هـزار ٠٠ مفيش وقت ٠

ـ استنى شويـة ٠ ٠ يمكن أشوف حاجة استحق أرسمها ٠

ـ الله يسامحك ٠٠ مش لاقـى حاجة فيـه تستحق ترسمها ؟ ٠٠

ـ أنت فاهم قصـدى ؟

ـ طبعـا ٠٠ طبعـا ٠٠ أمامنـا وقت ٠

أكثر من ساعة لـم يتحرك خلالها **فؤاد جاسر** من جلسته ٠ يهمس قائـلا :

ـ نشرب سيجارة يا ملك ٠

ـ وفنجان قهوة « قشطة اليمن » ٠

ـ قهوة « فلاحين » ولا « مثقفين » يا ملك ٠

ـ كلك نظـر يا درس ٠ ٠

ـ قهـوة « فلاحين » طبعـا ٠

ـ تبقـى بتحب الاستاذ **فؤاد جاسر** ٠

ويضحك ولبم وأضحك ويصيح فؤاد جاسر ٠

ـ أيـه الحكاية ٠٠ فهمونـى علشان أضحك معاكم ٠

أقـوم باعداد قهوة « الفلاحين » بكل ما يلزمها من طقوس ، وأشرح لفؤاد الحكاية ، ويجلس **وليـم اسـحق** يتأمل الصـورة التى أوشـك على الانتهـاء منهـا ٠ تعبيرات وجهـه تـدل على رضـاءه عنهـا ، وهـو نـادرا ما يرضى عن صـورة يرسمها ٠ أقول لوليـم :

ـ أسرع صورة ترسمها يا ملك ٠

ويقول بأســـى :
ــ وربما آخــر صــورة !
ويقــول فؤاد جاسر بصوته الودود :
ــ ربنا يديك طولة العمر يا ملك ٠
ويرد بأســى :
ــ مين عارف راح ارسـم فى سـجن « **المحاريق** » **والا لا** ٠ ٠
وأقــول منســجما :
ــ لن نتوقف عن الرسم يا وليـم٠٠ شـن ٠
ويــرد بسخرية مريــرة ٠
ــ أنق فى عجله التاريــخ ٠ ٠مش كــده ؟
ونسود لحظـــة صمت تقطعها نبـرات صــوت ولـــم يحمـل الأسف
ــ متأسف يا درش ٠ ٠ انت مش ناقص هموم ٠
ــ وأنت جزء هــام من همومى يا ولــم ٠
ــ ما هو علشــان كده ٠٠ كان لازم ألم لسانــى :
وأقول ضاحــكا ٠ ٠
ــ طب لــم صــورة فؤاد بقــى ٠
ويعود الى فرشاته وألوانــه ٠ تعبيرات الأســف ما تزال علــى وجهه ٠ الفرشاه تهتز فى يــده قليــلا ٠٠ بتركها ترتشف رشفه قهــوة ٠ وأقـــول ضاحكـــا ٠ ٠
ــ قهــوة « فلاحين » اكسير الحيــاه ٠
يعود الى فرشاته ويمسكها بحيوبه ويمزج على « البالتــا » عــددا مــن الألوان ، يضعها فى اللوحة ويقــول :
ــ سوف يا درس ٠٠ عينك فيها سبه كبير من **عنين فــؤاد** ٠ ٠
ــ وأيــه اللى بيجمع بينهم يا وليــم ٠ ٠
ــ **صــدق الانســـان** ٠
ونسمع أصوات تنــادى على **فؤاد جاسر** ٠ حــان الوقت لسفر المفــرج عنهم ٠ فؤاد لا يتحرك من مكانــه ويظــل جالسا فى صمت ووليـم يواصـل الرسم بهدوء ، وحوار سريــع يدور بين تعبيرات تجسدهــا اللحظـــة علــى وجه فؤاد ونلتقطهـــا روح الفنان لتضعها ريشته فى الصورة ٠
ــ أحسن صورة رسمتها فى حياتــى ٠
وينهض **فؤاد جاسر** من جلســته ويعانق **وليـم اســحق** ، يقبله والدموع تجرى على خدوده ٠ وأرى فؤاد يبذل جهـــدا خارقــا للتغلب على انفعالاته ، وأقــول ضاحــكا :
ــ خد بالك يا فؤاد الألوان لســه طريــة ٠ ٠
وبصعوبة شديدة نسحب **فؤاد جاسر** خارج خيمة وليـم اسـحق كـــى يذهب الى خيمته ليرتدى ملابســه « **الملكــى** » ويأخــذ حاجياتــه ، فموكب

المفـرج عنهم قـد اوشـك على التحرك .

وعند **باب السجن** يتجمع كـل الزملاء ليودعـوا اخوانـا لهم **دخـلوا** السجن وهم مختلفـون معهم فى كل شـيء ، وخرجوا منـه وقـد انفقـوا على شيء واحـد ولكنـه أساسـى وجوهرى ، **مساندة الحكم الوطنـى بقيـادة جمال عبدالناصر** ، من أجل مصر أم جميـع الوطنيين ، وحبيبة كـل الشرفـاء .

وخارج **أسوار السجن** ، بالقرب منها ، تشـهد صحراء **الواحـات الخارجة** ، مـا لـم تشهده أبـدا عبر الأزمان والعصـور . **صـورة عـدد من الاخوان المسلمين يعانقون** فى ود **ومحبـة من يختلفون معهم فى الفـكر ، ويجمعهم** حب مصر .

متى تشهد القاهـره هذه الصـورة ؟ متـى ؟ . بـل متـى يشـهد الوطن العربى كله هذه الصورة ؟ متـى ؟ .

وتتحرك العربات تحملهم الى **الحرية** ! وتعود الينـا بعـد أيـام قليلة كـى تحملنـا الى **سـجن الحاريق** ! .

اكتب اليك رسالتى المقبلة وانا فى الطريق اليه يا حبيبتـى .

٢ اغسطس ١٩٧٧
القاهـرة

تم الجزء الأول

الجزء الثاني ((تحت الطبع))

رقم الايداع ٤٥٩٤/٧٨

الترقيم الدولى ٧ ـ ٥٨ ـ ٧٢٠٠

« دار الطباعة الحديثة »
اول شارع الجيش ـ تليفون ٩٠٨٣١٨
القــاهرة



عن الكتـاب

قضى المؤلف اثنى عشر عامـا فى سـجون وليمانات ومعتقـلات المملكـة المصرية ، وجمهورية مصر ، والجمهورية العربية المتحدة • وبعـد خـروجه ظـل سنوات اخـرى يتامل بعض احـداث جيله ••• وفى لحظـة صـدق مع نفسـه سـجل هذه التجربـة الغنيـة •

ان رحلة المؤلف فى سجون مصر كمـا سجلها فى هذا الكتاب لـم تكـن رحلة حقـد على احـد •• ولم تكن رحلة انتقـام بالكلمات من السجانين •• لان السجانين ببساطـة مذهلة يموتون فى اللحظـة التى يقبلون فيهـا هـذا العمـل •

ان رحلة هذا الكتـاب تؤكـد ان سؤال الانسان عن حقـه فى الحب أمـر طبيعى •• وان فهم الانسان لظروف مجتمعه امـر عـادى جـدا حتى وان كـان غـال الثمن •

والكتاب قـد يبدو فى ظاهره مجرد رحلة فى السجون السياسية •• لكنه فى اعمـاقه رحلة انسان يبحث عن حقـه الطبيعى فى الحرية والحب • انه رحلة الاصرار على الحق التى تجعل العذاب الذى يفرضه السـجان هـو طاقة جديدة ينيـر بهـا الانسـان ايام المستقبل •

حاول ان تفهم حقك فى حب الحياة والناس بان تقـرا هذا الكتـاب أكثـر مـن مـرة •

الناشر

